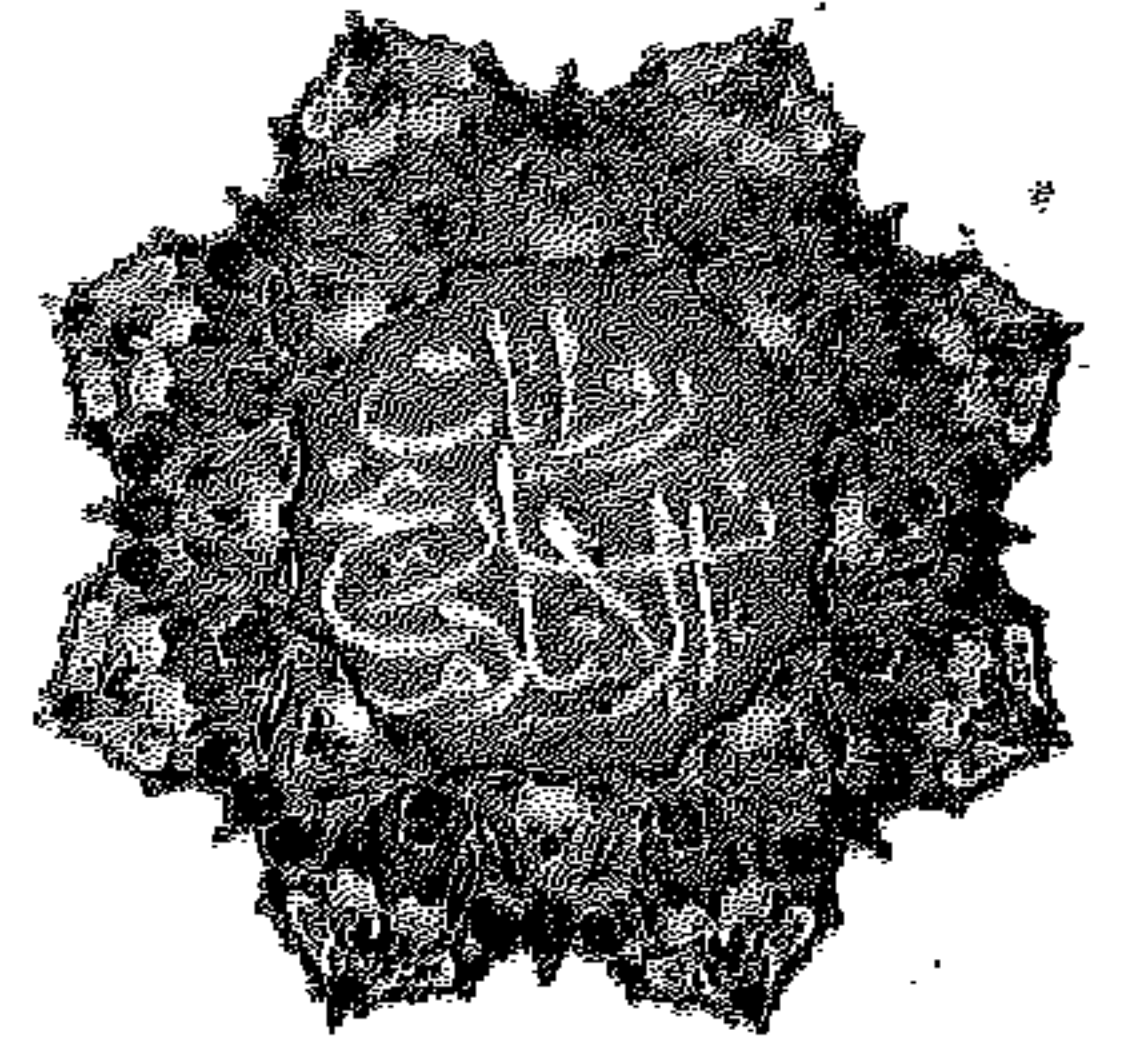
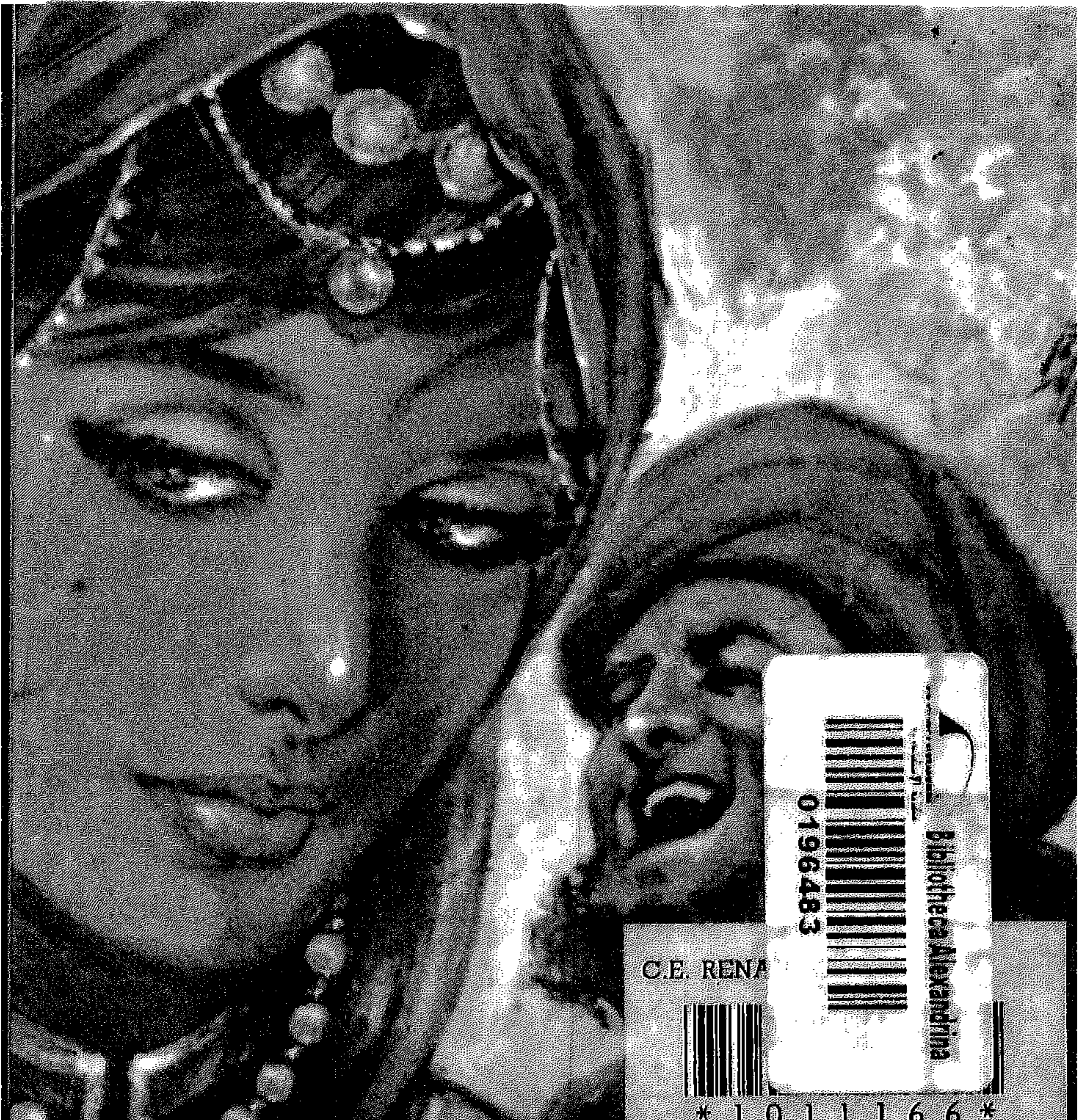


١٧ رَمَضَان



جُزْءٌ زَيْدَان



C.E. RENAISSANCE

Bibliotheca Alexandrina

0196483

* 1 0 1 1 1 6 6 *

١٧ رمضان

تتضمن تفصيل مقتل الامام علي وبسط حال الخوارج
تتمة الفتنة التي حدثت بسبب مقتل الخليفة عثمان ،
مقتلار بنى امية بالخلافة وخروجها من أهل البيت

COMITÉ D'ÉTABLISSEMENT

R.N.U.R. FLINS

Bibliothèque

78410 AUBERGENVILLE

N° Inventaire Z..8..6..6.....

Cote Z.A.X.R.....853.4.

المكتبة الادبية - بيروت

أبطال الرواية

- | | |
|------------------------------|------------------------------|
| علي بن ابي طالب * | : رابع الخلفاء الراشدين |
| معاوية بن ابي سفيان * | : اول ملوك الدولة الاموية |
| عمرو بن العاص * | : والى مصر |
| قطام بنت عدى * | : غادة الكوفة |
| العجوز لبابة * | : مربية قطام |
| سعيد الاموى * | : عاشق قطام |
| عبد الرحمن بن ملجم * | : قاتل الامام على |
| الحسن والحسين * | : ابنا على |
| عمرو بن بكر * | : المتآمر لقتل عمرو بن العاص |
| البركة بن عبد الله التميمي * | : المتآمر لقتل معاوية |

مراجع هذه الرواية

- | | |
|--------------------|---|
| تاريخ ابن الأثير * | هذه المراجع هي التي اعتمد عليها المؤلف في تأليف الرواية ووثاقها التاريخية |
| التقويم العام * | أسد الغابة * |
| تاريخ الخليل * | مروج الذهب للمسعودي * |
| السيرة الحلبية * | تاريخ القرظي * |
| | ابن دقاق * |

فذلك تاريخية

الخوارج جماعة من رجال الامام على بن ابي طالب تقموا عليه قبوله التحكيم على اثر وقعة صفين ، وكانوا قبل ذلك في مقدمة الذين حرضوه على قبوله . لكنهم لما راوا التحكيم ادى الى خروج الخلافة من يده الى يد معاوية بن ابي سفيان نقضوا بيعته ونبذوا طاعته ، وطمعوا فيها لأنفسهم فبايعوا واحدا منهم يدعى عبد الله بن وهب ، وحاربوا تحت رايته زمنا

ولما صدر حكم الحكيمين بخلع على وتثبيت معاوية اشتد ازر معاوية ، وبويع بالخلافة في الشام

وكان الخوارج ما زالوا في بدء امرهم ، فأخذ على يتجهز لحرب معاوية . وفيما هو في ذلك جاءه الخبير بتألب الخوارج ونمردهم ، فنصح لهم بالطاعة وبين لهم انه لم يخطيء بقبول التحكيم وانه لم يقبله الا اجابة لطلبهم ، واكنهم لم يرتدعوا . فرأى ان يستاصل شأفتهم قبل خروجه الى معاوية ، فحاربهم في مواقع عدة أشهرها موقعة النهروان وراء دجلة بالقرب من بغداد ، وقد انتصر فيها عليهم نصرا مبينا وثبتت شئهم ، على انهم عادوا الى الاجتماع في الخفاء

وفي سنة ٣٨ هـ فتح عمرو بن العاص مصر ، وقتل محمد بن ابي بكر عاملها . وتولاها باسم معاوية . فأصبح معاوية خليفة في مصر والشام ، وجعل مقامه دمشق . وبقي على بن ابي طالب خليفة في العراق والجزيرة والحجاز واليمن ، وجعل مقامه الكوفة .

ثم احد معاوية يبعث سراياه الى بلاد الامام على يبغى فسحها ليستأثر بالخلافة . فأنفذ جندا الى مكة . واخر الى اليمن . وتالتا الى الجزيرة ، وظلوا يحاربون ويناوئون واسكنهم لم يبلغوا اربا حتى دخلت سنة اربعين للهجرة . فتأهب الامام على للخروج الى قتال معاوية ، في جيش فوامه اربعون الفا من انصاره بايعوه على الفور او الموت . وفيما هو في ذلك فاجاه القدر فمات مقنولا كما بشرى تفصيل ذلك في هذه الرواية

غادة الكوفة

الكوفة مدينة اسلامية ، مصرها سعد بن ابي وقاص احد كبار الصحابة ، في السنة السابعة عشرة للهجرة على عهد الخليفة عمر بن الخطاب بعد فتح العراق ، وكان عمر قد اشار عليه « بان يقيم في مكان لا يحول بينه وبين المدينة بحر ولا جسر حتى اذا اراد ان يقدم اليه على راحته قدم » . فبنى الكوفة غربى الفرات على شاطئ بحيرة كانت هناك بقرب مكان الحيرة ، بينها وبين الفرات بضعة وعشرون ميلا

وكان بناؤها في اول امرها بالقصب ، فاصابها حريق فاستأذنتوا الخليفة في بنائها باللبن فقال : « افعلوا ، ولا يزيدن احدكم على ثلاثة ابيات ، ولا تطاولوا في البنيان ، والزموا السنة يلزمكم الدولة » . ففعلوا وجعلوا طرقها نوعين : المناهج وعرض كل منها عشرون ذراعا ، والازقة وعرض كل منها سبع اذرع . وما بين المناهج اماكن البناء وقدرها اربعون ذراعا ، والقطائع وقدرها ستون ذراعا

وكان المسجد اول شيء خطوه فيها ، فوقف في وسط المدينة رجل شديد النزع رمى الى كل جهة بسهم ، ثم اقيمت المباني فيما وراء السهام ، وترك ما دونها للمسجد وساحته . وبنوا في مقدمة المسجد ظلة او رواقا اقاموه على اساطين من رخام كان الاكاسرة قد جلبوها من اخربة الحيرة . وجعلوا على الصحن خندقا لثلا يقتحمه احد بنيان ، وبنوا لسعد بن ابي وقاص قصرا بجانب المسجد نقلوا حجارته من اجر بنيان الاكاسرة وسموه قصر سعد

وقد زاد عمران الكوفة حين اتخذها الامام على مقرا له بعد وقعة الجمل سنة ٣٦ هـ اذ تقاطر اليها المسلمون من جميع الانحاء ، وتكاثرت فيها الابنية وعمرت الاسواق وانشئت حولها الحدائق والبساتين مما يلي بحيراتها

وكان في ضاحية الكوفة على شاطئ البحيرة حديقة من نخيل ، حولها سور من جدوع النخل يحيط بها الا من جهة البحيرة . وفي وسط الحديقة بيت مبنى من اللبن ، يدل جمال بنائه على ان سكانه من اهل اليسار ، وقد بنخل اليك اذا دخلت حديقته انه مسكن بعض الامراء ذوى الخدم والحشم ، لما يرى بين نخيلها من آثار المعالف والاورتاد والسلاسل والقيود ، ولتاكل

جدوع بعض النخيل من كثرة شد الأمراس اليها وتعود الخيل تقشيرها وهي
مشدودة اليها

ففي ليلة من اوائل السنة الأربعين للهجرة ، والوقت خريف ، وقد نضج
الثمر على نخيله وليس من يقطفه ، فتساقط بعضه على الارض وليس من
من يلتقطه . كان القمر بدرأ وقد اطل من وراء الاكام فأرسل ظلال النخيل
مستطيلة متقاطعة ، وكان الجو هادئا والسكوت سائدا لبعد المكان عن المدينة
وضوضائها ، فلم يكن يسمع غير تقيق الضفادع على شاطئ البحر يتخلله
صرير الصراصير وقرقرة القر . وربما هب النسيم فأسمعك حفيف سعف
النخل هنيهة ثم انقطع . ولقد تعجب لوحشة ذلك المكان مع ما تراه من
آثار الأتس ودلائل الأبهة

وهناك في المنزل المؤلف من ثلاث غرف متصل بعضها ببعض ، وقد فرشت
أرضها بحصر من سعف النخيل فوقها جلود الماعز ، وضعت في احداها
طنفسة جميلة عليها وسائد من الخبز ، ووضع في بعض جوانبها مصباح ضعيف
النور ، وجلست على احدى الوسائد فتاة في مقتبل العمر اشرق وجهها بماء
الشباب ، وقد حلت شعرها الاسود فأرسلته على كتفها فحجب بعض
جبينها ، وغطى عذاريتها فحجب قرطبيها وسالفيها ولكنه زاد عينيها كحلا
واشراقا . ولكن عينيها الدعجاوين اليراققين قد غشيها الدمع فاخذ ينحدر
على وجنتين محمرتين بينهما أنف دقيق مستقيم تحته فم صغير . فاذا
ازداد انسكاب الدمع تلقته باطراف جدائلها أو بأحد كميها . وكانت لابسة
حليها لسود زادا جمالا وفتنة . وكان هذه الغادة استأنست بوحدتها
فأطلقت لنفسها عنان البكاء حيث لا رقيب ولا حسيب فأخذت تندب
فقيدين عزيزين قتلا في يوم واحد

تلك هي « قطام بنت شحنة بن عدى » من قبيلة الرباب ، فتاة الكوفة
الفتانة التي ذاع صيتها في الافاق وسمع بجمالها القاصي والداني حتى
اصبحت فتنة الكوفيين ومضرب أمثالهم ، وشخصت اليها الأبصار وحامت
حولها القلوب ، فباتت معجبة بجمالها لا تعرف هما ولم تدق غمها حتى بليت
بقتل أبيها وأخيها مفا في وقعة النهروان ، اذ كانا من جملة الخوارج الذين
قموا على الامام على لقبوله التحكيم فأنضموا الى من نقض بيعته وحاربوا
في جملة من حاربه

وكانت قطام ثابتة الجأش شديدة الميل الى الانتقام ذات حيلة ودهاء ،
ما انفكت منذ قتل أبيها وأخيها وهي تندبهما وتلمس الانتقام لهما . ولكنها
لم تكن تستطيع المجاهرة بذلك والكوفة مقر الامام على ومجتمع انصاره
وشيعته . فأقلمت بمنزلها هذا في ضاحية الكوفة وحيدة ليس معها سوى
عبد كهل ربي في اهلها منذ صباه ، وقد هجرها بعد أن بليت بمصيبتها جميع

الخدم والأعوان ما عداه . وكانت ترتاح الى بث شكواها له ، وكان هو يخفف
منها ويعدها بنيل المرام

وفي اصيل ذلك اليوم . كانت قد انفلتته ليستقدم لها عجوزا من مولدات
الكوفة ، كانت قد رببت بين ذراعيها منذ نعومة اظفارها وهي تحن اليها
حينها الى امها ، فلما طال غيابه وسدل الليل نقابا ولم يعد ، شغلت بذلك
عن أحزائها وهو اجسها وهي وحيدة في هذا البيت . ولكنها كانت اذا سكنت
هنية تذكرت اباهم واخاهم ومن كان يقيم في تلك الدار من الخدم والعبيد
فتعود الى البكاء والنحيب



وفيما هي في ذلك سمعت وقع اقدام مسرعة عرفت انها خطوات عبدها
ريحان ، فأجفلت ولكنها استأنست به فوقفت وأسرعت لاستقباله . وكان
ريحان طويل القامة ، شديد السواد ، خفيف العضل ، سريع الحركة ،
جأحظ العينين ، افطس الانف ، عظيم الوجنتين ، يبرز الأسنان يزيد بها بروزا
تدلى شفته السفلى وانحسار شفته العليا ، وكان يتفانى في خدمة
سيده فابتدرها بالسلام . فقالت : « ما الذي أخرجك يا ريحان وانت تعلم
اني وحيدة هنا . اين العجوز لبابة ؟ »

قال : « انها قادمة على اثرى »

قالت : « وما سبب غيابك حتى الآن ؟ »

قال : « كنت في انتظارها وهي تخاطب شابا وتجادله . . . »

قالت : « ومن هو هذا الشاب ؟ »

قال : « لا ادري . : وهذه هي قد اقبلت وستقص عليك الخبر مفصلا »
وما اتم كلامه حتى دخلت العجوز تتوكأ على عكازها وقد احدثت
ظهرها ونال منها الكبر فزادها قصرا ولكنها ما زالت سريعة الحركة شديدة
العصب ، وكانت عمصاء العينين غائرة الفم مخلوه من الأسنان ، مجمدة الخدين
غائرتهما . فتقدمت الى قطام وقد غطت شعرها الشائب بنقاب اسود تجره
وراءها لطوله وقصرها . وحالما دنت منها قبلتها واخذت تخفق عنها وتقول :
« لا بأس عليك يا ابنتي ، اعذريني لا يطائى في الحضور »

فلم تزد الفتاة الا بكاء وهي تقول : « ما الذي يشغلك عنى يا خالة وانت
تعلمين ان ليس لي معز في أحزاني سواك »

قالت : « هونى عليك يا قطام واستريحى ، فقد جئتك بالفرج باذن الله »

قالت : « من اين ياتينى الفرج ولا يفرج كربتى الا الانتقام ؟ »

قالت ذلك وحرقت أسنانها وهي تتشاغل بجميع شعرها وأرساله وراء ظهرها . ثم مسحت عينيها بكمها الطويل وأرسلته على كتفيها فبسات أساورها ودما لجها حول معصمها الممتلئ ونظرت الى العجوز كأنها تسألها الإيضاح

فضحكت العجوز وهي تنظر اليها ، ثم كفت عن ضحكها فجأة وكأنها تذكرت أمرا محزنا فاستاءت قطام من ضحكها وهي تبكي وقالت : « ما بالك تضحكين ؟ اتهزئين بكلامي . انى والله لا أقنع بما دون الانتقام »

فأمسكتها العجوز بيدها وأقعدتها على الوسادة وجلست الى جانبها ، ونظرت الى ريحان نظرة فهم منها أنها تريد خروج وجه لتخلو الى قطام . فخرج فليثت قطام تنتظر ما تقوله العجوز . فاذا بها تظل كأنها تتهيا لحديث طويل ثم قالت : « وماذا تريد يا قطام ؟ »

قالت : « أريد أن أثار لأبى وأخى اللذين قتلها على ظلما ، ولا بد لى من الانتقام »

قالت العجوز : « ما قولك فى انى وجدت لك من يأخذ لك بشارك ؟ »

قالت : « من هو ؟ قولى »

قالت : « اصبرى ولا تكونى لجوجة . أتعرفين سعيدا ؟ »

قالت : « واى سعيد ؟ » . قالت : « سعيد الاموى الشاب الجميل الواقع فى هواك »

قالت : « دعينا من الحب والغرام وحدثينى عن الانتقام »

قالت : « سبحان الله ! اجيبينى عن سؤالى . الا تعرفين هذا الشاب المغمم بك ، المفتون بسواد عينيك ؟ »

فتململت وقالت : « نعم اعرفه ، وماذا فى معرفته ؟ . بالله عليك لاتذكرى الغرام ، انى لا اشعر بعاطفة الحب ، ولا يهمنى احببى الناس ام ابغضونى »

فابتسمت العجوز ابتسامة الاستخفاف وقالت : « يا للعجب ! . ما اكثر لجاجتك . اذا كنت تعرفين سعيدا هذا فهل تحبينه ؟ »

فاجابت على الفور : « لا . لا . لا احبه ، ولا احب احدا ان قلبى فى شاغل عن الحب بالبغض . انى ابغض بعض الناس ولا احب احدا »

قالت : « اذا كان لابد من الانتقام فيجب ان تحبى سعيدا »

قالت : « كيف احبه وليس فى قلبى موضع لغير البغض والمقد . انى حاقدة ناقمة »

قالت : « أنا اعلم ذلك ، ولكن احبى سعيدا ولو الى حين وهو ينتقم لك »

فبغنت قطام ، ونظرت الى العجوز وجعلت تتفرس فيها لتتحقق انها تجد

ولا تهزل ، فلما آتست الجد في لهجتها قالت : « هل تقولين حقا ؟ . وهل سعيد يرضى أن يركب هذا المركب الخشن ؟ »
قالت : « انى أجعله يركبه ، فان لم يكن أهلا له فهو ليس أهلا لحبك .
ما رأيك ؟ »

فصمتت هنيهة ثم قالت : « أحبه ؟ . نعم أحبه اذا كان الامر كذلك ولو الى أجل قريب . ولكننى لا اظنه أهلا لهذا العمل ، بل لا احسبه يقدم عليه . ولكن قولى لى هل تتكلمين من عند نفسك ام سمعت ذلك منه ؟ »

فاعتدلت العجوز في مجلسها ، ونظرت الى قطام وقالت : « اعلمى يا حبيبتى ان سعيدا هذا قد علق بك وأحبك منذ بضعة أعوام ، ولكنه لم يكن يتجرأ على مخاطبة أبيك في الامر ، لأن أباك كان يومئذ في جملة القائمين بنصرة على . وسعيد كما تعلمين أموى . أى انه ممن تقموا على (على) وقاموا للمطالبة بدم عثمان . فكان يعلم انه اذا خطبك من أبيك يومئذ فلن ينال غير الفشل : أما بعد ان خرج أبوك على خلافة على ، ونبذ طاعته في جملة من خرجوا عليه بعد التحكيم ، فقد حدثت سعيدا نفسه بأن يخطبك ، فكلمنى في شأنك مرارا . ولكن أباك كان مشغولا بمحاربة على وشيعته فلم يتمكن من التوسط له . فلما علم بقتله وقتل أخيك . واحسرتاه عليهما (وتنهدت وهى تتظاهر بمسح دموعها) عاد الى مخاطبتى في ذلك . وقد كنت أسوفه لعلمى بحزنك الشديد ، ولكنه لم يزل يتردد على ويستنهضنى واعداء بأن يبذل كل مرتخص وغال في سبيل التمتع بهذا الوجه الجميل ، الى ان جاءنى اليوم وأعاد الكرة وألح كثيرا ، فلمحت له الى انه اذا طمع في رضاك ، فلا سبيل الى ذلك سوى الانتقام لأبيك وأخيك ، وقد آتست منه ارتياحا فاطلت الكلام معه وريحان في انتظارى ، وهذا هو سبب غيابى عنك . فما قولك ؟ »

فلما سمعت قطام كلامها استبشرت بنيل مرامها فقالت : « وهل ترينه يفى بالعهد ، او يستطيع قتل على بن أبى طالب . انى لا أقبل مهرا اقل من ذلك »

قالت : « اظنه يقبل ، وارى أن أستقدمه اليك ، ونظرا الى ما عهده فيك من المهارة لا اشك في انه يأخذ على نفسه العهد أن يقوم بكل ما تريدينه ، ولا سيما اذا أظهرت له ميلا ، وذكرت له انك تحبينه ، وتفننت في أساليب الدلال والتمنع : مشترطة انك لا تتزوجين منه الا بعد قتل على . فاذا عاهدك على هذا صبرنا حتى يقتله ، فاذا لم يفعل ، او لقي حتفه ، كان دمه على رأسه والسلام . ما قولك ؟ »

فأشرق وجه قطام. وارتاحت الى هذا الراى وقالت : « لا بأس بما اشترت به . أستقدميه لنرى ما يكون . ولكن لاتنسى أن تذكرى له انى لم أقبل بعد ، وبالفى في وصف تمنى ، وعلى بعدئذ أن أكمل الحيلة »

فأغرقت العجوز في ضحكها وقالت : « سألحك الله يا قطام ، الا تزالين تحسبيني ساذجة ، وهل تجهلين أين قضيت هذه الشيبة ؟ انى قضيت عمرى فى مثل هذه الشؤون ، فكم زوجت من رجال ، وكم أقنعت بالزواج نساء كان قبولهن اياه ضربا من المحال . لا تخافى على ، كما انى لا أخاف عليك . » قالت ذلك ونادت ربحان فأسرع اليها . فقالت له : « هل تعرف الشاب الذى كان عندى الليلة ؟ »

قال : « نعم أعرفه » . قالت : « سر اليه ، انه ما زال فى المنزل حيث رايتنا الليلة ، وقل له : (ان خالتك لبابة تدعوك اليها) . . » قال : « واذا أبى ، فماذا اقول له ؟ »

قالت : « لا اخاله أبى ، بل سيسبقك فى المجيء ، فاذهب وادعه » . قال : « سمعا وطاعة » . وخرج



كان سعيد شابا أمويا فى حوالى الثلاثين من عمره ، توفى أبوه وهو طفل فكفله جده وقضى صباه وشبابه مع جده فى منزل الخليفة عثمان وكانا من أخلص مريديه . فلما قتل عثمان كان سعيد وجده فى مقدمة الناقمين لعثمان والمطالبين بدمه . فلما كانت موقعة الجمل كان سعيد فى جملة رجال أم المؤمنين ، وظل جده مقيما بمكة لشيخوخته . فلما فشل جنود المؤمنين وعادت الى مكة عاد هو معها وظل عند جده ولم يخرج لموقعة صفين

ولكنه كان يتردد على الكوفة ، وكان يسمع بقطام هذه وجمالها ، وقد رآها مرارا وهى بالخمار فوقعت من نفسه موقعا عظيما ولكنه لم يجرؤ على التقدم لخطبتها ، لان اباها كان قبل تحكيم الحكيم من شيعة الامام على ، فلم يكن ليزوج ابنته بأموى يطالب بدم عثمان . فلما خرج الخوارج عن طاعة الامام على بعد التحكيم ، استبشر سعيد وأمل نيل مرامه ، ولكنه لم يتمكن من السعى فى طلبها الا بعد مقتل ابيها وأخيها . فجاء الى لبابة ووسطها فى الامر ، فاستخدمت هذه كل دهائها فى اغرائه بقتل على ، وتركت بقية الخيلة لقطام لعلمها انها لا تنقل عنها دهاء ومكرا

وكان سعيد حسن الطوية قليل الاختبار ، وبخاصة فيما يتعلق بدهاء العجائز ، ولكنه كان جميل الصورة ممجبا بجماله وقد أعمى غرامه بصيرته فلم يعد يرى غير قطام أو يحلم الا بها . فلما جاء العجوز فى تلك الليلة وخطبها فى شأها وأظهرت ما أظهرته من التمتع ازداد رغبة فيها وبدل كل ما فى وسعه من الوعود فى سبيل ارضائها ، وأغرى العجوز بكل ما يرضيها من المال والحلى فوعده ان تسمى فى ترغيبها . ومضت وتركته يتقلب على جزر الانتظار

فلما جاءه العبد يدعوها اليها خفق قلبه وهرب مسرعا يتعثر بأذياله
فاخترق أسواق الكوفة وهو لا يرى شيئا مما فيها لا اضطرابه وتهيبه اجتماعه
بقطام منى قلبه وغاية مرامه ، فكان اذا تصور رضاءها اشرق وجهه وطار
فرحاً . ثم يعترض تصوره ما آتسه في حديث العجوز من أن الفتاة تمنع ،
ويتذكر ما بدر منه من الوعد بالانتقام ، فتنبض نفسه ويضطرب لهول الموقف .
على ان هيامه كان يهون عليه كل عسر ويصور له المحال ممكناً . فخيّل اليه
ان قطام اذا رأت جماله وتحققت ما هو فيه من الوجد لا تلبث أن تقع في هواه
وتفضى عن أمر الانتقام

وفي ذلك ومثله قطع طريقه ، وريحان يخطو أمامه خطواته المتباعدة لطول
ساقيه ويحاول الإبطاء في مسيره لئلا يسبق سعيداً ولكنه ينسى ويعود الى
الإصرار ، فاذا تنبه الى انه قد سبقه عاد يمشى الهوينى حتى يلحق به . كل
هذا وسعيد في شغل بأحلامه وأمانيه

ولما جاوزا المدينة ، أنسا سكوتاً لا يسمع فيه الا صوت الحصى تحت أقدامهما ،
والكوفة كثيرة الحصى والرمال ، حتى وصلا الى باب البستان ودخلا بين
النخيل ، فقال ريحان : « أمهلنى يا مولاي ريثما ادخل المنزل ثم اعود اليك »
فظل سعيد يمشى بين النخيل ، وهو يتشاغل برؤية ظلالها ، وبلاستماع
لنقيق الضفادع على شاطئ البحر ، بينما يهين نفسه لمقابلة قطام ، فيصلح
عمامته ويمشط شاربيه ولحيته ، وينفض جبته . ويصلح وضعها

ولما طال انتظاره قلق وحدثته نفسه بان يستأذن في الدخول الى الدار .
وفيما هو بهم بذلك سمع حركة ومشياً ، وبعد هنيهة ظهر له نور عند الباب
وسمع ريحان يناديه ، فهرب وقلبه يخفق وركبته ترتعشان رعشة الحب
والبغته ، فعثرت رجله بحبل من الياف النخيل كان مشدوداً الى جذع نخلة ،
فكاد يقع ، ثم تقدم نحو باب الدار فاستقبلته لبابة مرحبة ، ومشى أمامه
وريحان يتقدمها بالمصباح . فدخلت به حجرة قطام ، ودعته للجلوس على
وسادة وجلست هي على وسادة اخرى ، وترك ريحان المصباح هناك وخرج
وكان سعيد يتوقع ان يرى قطام هناك ، فلما لم يرها قلق ، وزاد في قلقه
سكوت لبابة عن الحديث وجودها . فقال : « مالي اراك سباتة يا خالة ، الم
ترسلى الى بالمجىء ؟ » . قالت : « بلى »

قال : « واين قطام ؟ » . فتنهدت وقالت : « هي هنا في الغرفة الاخرى ،
وسنذهب اليها بعد قليل »

قال : « اراك في قلق . ما الذى جرى . قولى »

قالت : « لم يحدث شيء » . وتظاهرت بانها تكتم خبراً ، فقال : « ولكنى
اراك كئيبة ، أخبرينى ، لقد نفذ صبرى »

قالت : « لا تقلق يا ولدى ، ليس هناك ما يدعو الى القلق . غير انى مللت من

استعطاف هذه الفتاة وترغيبها وتشويقها ، فلم أر منها الا البكاء والنحيب ولم اسمع الا قولها : (الانتقام . الانتقام) . وكل من يخاطبها في غير هذا الموضوع لا يسمع منها جوابا »

قال : « ألم تذكرى لها شيئا من حديثى معك ؟ »

قالت : « كيف لا ، اننى لو لم اذكر لها اسمك مشفوعا بوعدك بالانتقام لما اجابتنى » . ثم ادنت فمها من أذنه وقالت : « ولكننى آنست من خلال تمنعها أنها ترتاح الى ذكر اسمك ، واظنها تحبك ولكنها مأخوذة شغلها الانتقام عن الحب ، ولذلك سرت لما اخبرتها بوعدك وان لم تصدق قولى كأنها تحسبني اعيب بها ، اولعها استبعدت ذلك منك أو خشيت رجوعك فيه لجهلها ما أنت مفطور عليه من الحمية وكرم الاخلاق »

قالت العجوز ذلك بنعمة تدل على ثقتها التامة بشرف نفس سعيد وصدق وعده . ثم شغلت نفسها بالسعال ومسح آماقها مما يتحلب فيها من الدمع المتواصل من اثر الشيوخة ، وصبرت لتري ما يبدو منه قبل اتمام الحديث اما هو فآثر قولها فيه وهاج ما فى قلبه فقال لها : « اننى لا الوم قطام فانها لاتعرفنى بعد ، فهى معذورة اذا اساءت الظن بى . ولكن اين هى ؟ ارينى اياها فأؤكد لها وعدى فتعلم من هو سعيد » . قالت : « هى هنا »



واخذت لبابة المصباح بيدها ومشيت امام سعيد الى حجرة تجلس فيها قطام على اريكة وهى تبكى وشعرها مخلول . فلما رأت النور يقترب منها أسرع فضمت شعرها وأرسلته الى ظهرها وغطت رأسها بنقاب أسود . ولم تكذ تفعل ذلك حتى دخلت العجوز وهى تقول : « خفى عنك يا قطام وارفقى بنفسك واشفقى على شبابك كفاك بكاء ونحيبا . انهضى فسلمى على محبك سعيد . . »

فقطعت قطام كلامها قائلة : « ألم اقل لك لاتذكرى الحب والفرام بل اذكرى القتل والانتقام . انى لا احب الا الانتقام ، ومن ينتقم لى فهو الخليق بأن أعطيه قلبى . ولكن . . . »

فتقدم سعيد وقد أصبح بعد رؤية قطام على تلك الحال لا يرى شيئا غيرها ولا يبنى إلا رضاها وقد شق عليه قولها : (ولكن) لما ينطوى عليه من ضعف ثقتها به ، فقال لها : « ألا ترضين يا قطام ان اكون أنا المنتقم لك ؟ »

قالت وهى تظهر عدم الاكتراث : « لا . لا ارضى ان تعرض نفسك لهذا الامر من اجلى ، فانى اولى منك بركوب هذا المركب الخشن » . ثم رفعت يدها وأشارت بسبابتها الى صدرها وقالت بصوت تتخلله غصة البكاء : « انا

أقتل قتلة أبى وأخى بيدي . أنا أقتلهم . أنا أقتل عليا وان كنت فتاة . ان حب الانتقام يقوينى ويشجعنى . ولا حاجة بى الى تعريض سسواى لخطر القتل . انك شاب لا يهملك من امر على شىء فكيف تتصدى لقتله من اجل غيرك ، ذلك لا يكون «

فانخدع سعيد بكلامها وحسبه صادرا عن شهامة وغيره حقيقتين ، فازداد رغبة فى الاقدام على ذلك العمل . وقال لها : « كيف تقدمين يامليحة على هذا الامر وأنا بين يديك . لعلك لا ترين فى الكفاءة . وكيف حسبت اننى لا يعنينى قتل على ، ألا تعلمين ان بنى امية يطالبونه جميعا بدم عثمان ؟ فاذا قتله فانى ارضى قومى فضلا عن ارضاء قطام . ان بذل النفس يسير فى سبيل ارضائك . واذا اذنت لى ان ادعوك حبىبتى فكل شىء هين «

فلما تحققت قطام وقوعه فى الشرك ، ارادت ان تتمكن من عهده بصك تستكتبه اياه ، فأمسكت نقابها بيدها وتظاهرت باصلاحه ، فانكشف معصمها عن الاساور والدمالج ، وبانت عيناها وقد ذبلتا من البكاء فازدادتا جمالا ، ورنّت اليه وتاملته كأنها تزن مقدرته على ما وعده به . اما هو فلا تسل عن حاله بعد تلك النظرة ، فثارت عواطفه ونظر الى العجوز كأنه يعرضها على التوسط فى الامر . فتظاهرت لبابة بأنها تساعد فى غرضه وقالت لها : « ألم يكفك ما قاله هذا الشهم ؟ ألم اقل لك ان وعده صدق ، وفضلا عن ارضائك بقتل على فهو يرضى عشيرته وأهله ايضا ؟ . اعلمى يا قطام انه لا بد من رجل يقتل هذا الخليفة ، ومن يسبق الى قتله يكن صاحب النصيب الاوفر والاجر الاعظم «

فقطعت قطام كلام العجوز قائلة : « انا اعلم انه مقتول لاحالة ، فان لم يبق من الرجال من يفعل ذلك فعلته انا بيدي . انظرى الى هذه الحللى فى معصم واذنى ، انى لم أنزعها ليس لانى لم احزن على أبى وأخى ، بل لانى واثقة مر الانتقام لهما ، ومتى اخذت بالثار فقد احييت القتيلين فكيف احزن ؟ . ام ما قاله سعيد فمروءة منه ، ولكن الانسان ياخالة عرضة للتردد فلعل سعيدا اذا خرج من عندنا يرى رايا آخر ، او يتهيب الامر فيرجع عن الوعد . فانا لا اريد ان اقيده بعهد ارى انه ربما عاد فندم عليه . ولست أقول هذا استهانة بجرأته ومروءته ، ولا استصعابا لقتل على ، فان قتله من أسر الامور ، ولكنى اخشى ان يكون تقيده سعيد بهذا العهد على غير رغبته «



هم سعيد بان يجيب قطام ليؤكد لها صدق وعده ، فأوقفته العجوز عن الكلام وتظاهرت بالدفاع عنه وقالت : « اسمحى لى يا قطام بكلمة اقولها لك . انت لاتعرفين سعيدا بعد ، ولكننى اعرفه واعرف صدقه ، وأنا أسألك بالنيابة عنه : هل تريدان ان يكتب لك عهدا بأنه يفعل كل ما قاله لك ؟ «

فلما سمع سعيد ذكر كتابة العهد تهيب وعظم الامر عليه ، وكانه صباحا من سكره لحظة تبين فيها خطر الامر ، على انه ما لبث ان عاد الى سكرة الغرام ، ولا سيما بعد ما سمعه من كلام العجوز الدال على ثقته به

اما قطام فكانت تنظر الى كل حركة تبدو من سعيد ، فلم يفتها ماجال في خاطره ساعتئذ من الندم وهو يحاول التظاهر بغير ذلك . وارادت ان تحمله على كتابة العهد فقالت للعجوز : « اراك اقامت نفسك نائبة عنه في امر لا تصح النيابة فيه ، ولعله غير راض به ، وفي سكوته دليل على ذلك . فدعينا من هذا الموضوع ، ولا تعرضي سعيدا للخطر وانت تعلمين ما له من المنزلة في قلبي ، وان اكن قلما رايتك ، فافضل ان اعرض نفسي للخطر ولا اعرضه »

فعظم ذلك القول على سعيد وثار الحمية في راسه ، فنهض وقال لها : « اتحسبين سكوتي يا قطام عن تردد او خوف ؟ لا وحبك ، فما انا ممن يضمنون بالنفس في سبيل الحب ، وقد اكون ترددت في بادىء الراى . واما بعد ان علمت يما لي عندك من المنزلة فاني اكتب العهد ولا ارضى الا بكتابتك . هاتوا رقا ومدادا » . فنهضت للعجوز مسرعة لاحضار الرق والقلم ، وكانت قد اعدت كل شيء قبل مجيئه

وانتهز سعيد فرصة غيابها وازاح مقعده واصلحه بحيث يواجه قطام . اما هي فنظرت اليه وابتسمت وقالت بصوت يتخلله الدلال : « لا تعرض نفسك للقتل يا حبيبي ، ما لنا وللصكوك الا يكفيننا القول ؟ »

فما آنس سعيد منها هذا التقرب وسمع قولها : « حبيبي » حتى اخذ ييشها حبه وغرامه وتفانيه في سبيلها ، وطابت له تلك الخلوة القصيرة وانتشى بمبادلتها اياه عواطف الحب ، واعتقد انه اسعد انسان على وجه الارض بفوزه بحبها له . غير عالم بان قصدها لم يكن سوى اغرائه بقتل على ، وقد اضرمت انه اذا فشل في مهمته فلن تأسف عليه اذا قتل . وارادت ان يكتب الصك حتى لا يرجع عن وعده

وادركت العجوز ان في ابطائها وسيلة لاتاحة الفرصة لقطام كي تتمكن من اغرائه ، فابطات لغير داع ، ثم عادت وبيدها رق من جلد المسعر وقلم من القصب وقرن ايل فيه مداد اسود . فلما رآها سعيد ، وراى الصك في يدها عاوده الخوف ، وحدثته نفسه بالرجوع عن الوعد ، ولكن الحياء والحب منعاه . ولم يخف ترده على قطام فتلافت ذلك بابتسامه ونظرة وهو يرنو اليها ويقول في نفسه : « ما اسعدنى بهذا اللقاء ، وما اجل هذا الحب لولا هذه الشروط » . ولم تترك له قطام فرصة للتردد فقالت للعجوز : « ان اتيت بهذه الادوات يا خالة ؟ اما زلت تصرين على ان يكتب سعيد هذه ؟ لا . لا اظنه يكتبه » . وابتسمت وهي ترنو اليه ، ثم قالت : « وكاني به ندم على ما فرط منه لا عن جبن او خوف لا سمح الله ، ولكنه راى قطام

لا تستحق هذه العناية ، وراه يقول في سره : (امن اجل امرأة اقتحم مثل هذا الخطر) . « . قالت ذلك ونظرت اليه نظر المحب العاتب

فلما سمع سعيد كلامها ورأى دلالها نسي كل خطر ، ولم ير له مخرجا من من خجله الا بالمبادرة الى تناول الرق ، فتناوله من يد لبابة وامسك القلم وقد اخذ منه الهيام ماخذا عظيما حتى توردت وجنتاه واحمرت عيناه . فوقفت العجوز الى جانبه والمصباح في يدها ، فكتب ويده ترتعش ولسكنه يتجلد لئلا يبدو ذلك لقطام فتظنه خائفا واليك نص كتابه :

« انا سعيد بن . . الأموى اعاهد قطام بنت شحنة على قتل على بن ابي طالب مهرا لزواجي بها ، فاذا لم افعل لم اكن كفوا لها ، وعلى عهد الله وميثاقه
كتبه سعيد الأموى »



وما فرغ سعيد من كتابة العهد حتى دفعه الى قطام وهو فخور بما فعل ، ليرىها انه ليس جبانا كما ظنته ، ولكنه لم يكذب يدفعه اليها حتى شعر بالخطر الذى عرض نفسه له . على انه لم يتبين الخطر جيدا لما حال بينه وبين عقله من غيابة الوجد والهيام

اما قطام فتناولت الرق وقراته الماما ، ثم نظرت الى سعيد وقالت : « يظهر أنك كتبت العهد حقيقة ، اليس عارا على قطام أن تأخذ منك صكا على عهد عاهدتها عليه في مثل هذا الموقف ، كأنك حملت كلامى على محمل الجد ، وقد قلت لك الآن : (انى لا ابالى من يقتل عليا ، وانه اذا لم يقتله احد فسأقتله انا) . اما وقد كتبت فانى احفظه عندى تذكرا لهذه الليلة التى اعدتها احسن ليالى العمر . . وارجوان نجتمع قريبا لثيل المرام » . قالت ذلك وفي صوتها رنة الدلال

فصدق سعيد كلامها واطمان قلبه ، ولكنه علم بانه لا ينال قطام الا بعد قتل الامام على بن ابي طالب فعاد الامر الى خطورته ، فانتقبضت نفسه وأراد ان ينفرد بنفسه فاستأذن بالخروج . فقالت له قطام : « امكث عندنا . . او اذهب لعلك تهتدى الى سبيل يقرب جمعنا الدائم » . قالت ذلك وابتسمت ورننت اليه ، ثم تأوهت وودعته ، فخرج سعيد ولبابة تشيعه ، فرأيا ريحانا لايزال ساهرا فى الحديقة يطوف حول المنزل خوفا من الرقباء والعيون

ولما خرجت لبابة بسعيد قالت له : « انى اهنتك برضاء هذه الغادة فقد نلت الليلة ما طالما تلهف عليه اهل الكوفة بل سائر اهل العراق ، ومن الغريب انها كانت مع فرط حزنها لاتنظر اليك الا وهى تبتسم . . فما اجل الحب اذا كان متبادلا . واما العهد الذى كتبت فليس من الاهمية فى شىء . فهب انك

صادفت خطرا فان قطام لا ترضى ان تتعرض له « فودعها ومشى يتعثر بأذياله ، وكانه غادر قلبه عند قطام . فلما انفرد عادت اليه هواجسه فتصور خطورة الامر الذي اقدم عليه . ولما لم يبق له حيلة في الرجوع عن عهده جعل ينتحل لنفسه اعذارا تخفف قلقه وتحسن له ارتكاب ذلك المنكر . فخيّل اليه أنه اذا قتل عليا فانه ينتقم لسائر بني امية ويفاخرهم جميعا بما لم يستطعه أحد منهم . فينال حظوة في عيني معاوية فضلا عن تمتعه بقطام . ولما تصور قربه منها اختلج قلبه في صدره وهان عليه كل عسير

فمشى وهو في هذه الخيالات الكاذبة حتى دخل الكوفة ومر بجامعها القائم في وسط الساحة الكبرى . وكان الجو هادئا والقمر منيرا فرأى ما يحقد بمنزل الامام على من الابنية والخيام بمن فيها من كبار بني هاشم من شيعة . وهو يعرف منهم جماعة صناديد لا يهابون الموت . فخارت قواه وكبر عليه الامر وظل في طريقه الى منزله يفكر في حيلة ينال بها ما يريد



وكان منزله في سوق من اسواق الكوفة فوصل اليه وهو يظن نفسه بعيدا عنه ، وانما نبهه جمعجة جل رابض في فنائه فظنه جملة وقدعهده في ماواه قبل ان يغادر المنزل . فدخل الفناء فرأى جمالا واناسا كأنهم قادمون من سفر فبغت . فتقدم اليه واحد منهم ولم يكذب يلقى عليه السلام حتى عرف انه من رجال جده ابي رحاب فذهل ولم يرد التحية وقال له : « ما وراءك يا عبد الله ما الذي جاء بكم ؟ »

قال : « انا قادمون من عند جدك مولانا ابي رحاب »

قال : « وما الذي حملكم على المجيء ؟ »

قال : « جئناك في مربة عاجلة »

قال : « وما هي ؟ »

قال : « ان ابا رحاب وقد شاخ ووهن عظمه بعثنا يستقدمك اليه »

فذهل وصاح قائلا : « وما الذي اصابه . امريض هو ؟ »

قال : « مرض الشيخوخة فقط ولكنه مشتاق لرؤيتك وقد امرنا ان نسرع بالمجيء بك اليه »

قال : « وأين يكون هو الآن ؟ »

قال : « في مكة »

قال : « اذهب الى مكة ، »

قال : « ذلك ما امرنا به فافعل ما بدا لك »

فلبت مدة صامتا يفكر ثم مشى وهو يقول : « لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » . وصار عبد الله فى اثره حتى دخلا المنزل . ثم التفت سعيد وهو ينزع عباءته وقال : « لابد من امر ذى بال اقلق جدى فدعانى اليه فهل تعرفه ؟ »

قال : « لا اخاله دعاك الا ليراك قبل حلول اجله لانه شاخ وضعف وانت تعلم حبه لك وان ليس له سواك »

قال : « لاحيلة لنا فى الامر فلنبت الليلة ونصبح مسافرين » . وقضى ليلته يفكر فى قطام وسفره

ولما اصبحوا ركب سعيد ناقته وركب عبد الله ورفاقه جمالهم وهموا بالمسير ، فرأى سعيد ان يودع قطام قبل السفر فاستمهل رفاقه وسار يلتمس منزلها وهو فى لباس السفر . فلما اشرف على المنزل تذكر ليلته امس فلم يضطرب لقلقه على جده وقد خاف عليه الموت قبل وصوله اليه . فدخل المنزل فلقى ريحانا فسأله عن قطام . فقال : « انها خرجت فى امر وسوف تعود »

فقال : « الى اين ذهبت ؟ »

قال : « لا ادرى »

فشغل بال سعيد لخروجها فى الصباح ، وهو لا يرى ما يدعو فتاة مثلها الى الخروج ، فدبت الغيرة فى قلبه وقال : « وهل ذهبت وحدها ؟ »

قال : « مع لبابة »

قال : « اتظنها تبطىء كثيرا ؟ »

قال : « لا ادرى وربما بقيت الى المساء او الى الغد اذ يخيل الى انها ذهبت الى بعض اهلها خارج الكوفة »

دار الحديث بينهما وسعيد يتردد بين ان ينتظر عودتها وبين ان يسير . وتمنى لو يعلم مكانها ليذهب اليها فيودعها ويزيل شيئا من غيرته عليها . ولو تحقق مجيئها بعد ساعة او بضع ساعات لانتظر ولكنه خاف ان يطول غيابها اياما . فنوى المسير وقال لريحان : « اقريء قطام السلام عند رجوعها ، واذكر لها انى شاخص الى مكة لامر عاجل وقد جئت لوداعها فلم أجدها . وسأعود قريبا باذن الله »

وخرج الى رفاقه وساروا قاصدين الى مكة وقلبه فى الكوفة . ولم يكذب يخرج منها حتى ندم على خروجه دون ان يرى قطام . ولكنه التمس عذرا لنفسه ما شغله من امر جده

أبو رحاب

وكان أبو رحاب جد سعيد شيخا طاعنا في السن . ربي سعيدا في حجره بعد موت أبيه ، وكلاهما على دعوة بني أمية في المطالبة بدم عثمان . وكان غرضهما الانتقام لعثمان لانهما أقاما زمنا طويلا في منزله . وكان أبو رحاب على حبه لعثمان غير غافل عن أخطائه التي دعت الناس الى اضطهاده ، وكثيرا ما حثه على الإصلاح ومصالحة المسلمين فلم يصغ له الا قليلا . وعلم أبو رحاب بعد ذلك ان جماعة من ذوى الأغراض كانوا يشنونه عن الإصغاء ويحرضونه على العداة . حتى اذا قتل عثمان كان أبو رحاب وسعيد في جملة المطالبين بدمه ، ولكنهما عندما عادا من وقعة الجمل قعد أبو رحاب عن المطالبة ، لأنه تحقق أن أصحاب تلك الوقعة انما جاربوا عليا طمعا في الملك لا غيرة على عثمان

واقام لاجليس له بمكة الا سعيد . وكان سعيد ينوى الانضمام الى جند معاوية في وقعة صفين فمنعه جده . وكان أبو رحاب يعلم ان سعيدا يحب قطام حبا شديدا وانه سباع للزواج بها . ولذا كان يأذن له في الذهاب الى الكوفة لتلك الغاية . وطال غياب سعيد هذه المرة وأحس أبو رحاب بضعفه يتزايد ، فأراد استقدامه ليتزود من رؤيته قبل موته ويوصي له بوصية لها علاقة كبرى بشؤون حياته وربما غيرت مجارى أعماله وحولته عن مقاصده وآماله . فبعث رجلا من خاصته اسمه عبد الله في وفد الى الكوفة لهذه الغاية . ولبث ينتظر رجوعهم وهو يتقلب على فراش الضعف والهزم كأنه يستمهل ملاك الموت ريثما يصل حفيده لئلا يذهب ما في نفسه ادراج الرياح وتضيع حياة سعيد عبثا

اما سعيد فانه قضى مسافة الطريق بين الكوفة ومكة وهو بين شوق الى قطام وقلق على أبي رحاب . وكان من شدة حبه لقطام يود بقاء جده حيا ليبشره برضاها وقبولها لانه طالما صرح له برغبته فيها . وكان أبو رحاب يتمناها له . وكان سعيد اذا فكر في ذلك فرح ثم يعترض فرحه امر العهد وقتل الامام فيضطرب فيعلل نفسه بما يناله من الفخر اذا قتل عليا علاوة على استرضاء جده لانه يطفىء ما يجيش في نفسه من نار الانتقام لعثمان فيفرحه قبل موته

قضى اكثر ايام الطريق في مثل هذه الافكار لايبالي بمن حوله من الرفاق كأنه سائر وحده . ولم يكن يشغله عن ذلك ما يلاقه في طريقه من الجبال

والاودية والصحارى ، وما يمر به من الربوع والاحياء والخيام ، حتى اشرف على مكة من اكمة . فاذا هي في منبسط من الارض تحيط بها الجبال والكعبة قائمة بين ابنيها قيام الملك بين الاعوان . وكانت الشمس قد مالت الى الغروب فأسرع في مسيره يلتمس منزل جده وقلبه يخفق خوفا عليه من بأس يصيبه قبل وصوله

ولم يكد يدخل مكة حتى أسدل الليل نقابه فساق ناقته يلتمس المنزل قبل اشتداد الظلام ، وترك رفاقه يهتمون بشؤونهم . وكانت عادته اذا دخل مكة ان يطوف بالكعبة قبل الذهاب الى البيت ، ولكنه سار هذه المرة توالى المنزل وهو مضطرب خوفا على حياة جده

فخرج على منعطف يؤدي الى البيت رأى فيه أناسا عرف انهم من الاهل والاصدقاء فحياهم وسألهم عن حال ابي رحاب . فلما عرفوه طمأنوه وسبقه بعضهم لبشر المريض بقدم حفيده . فلما اطمأن قلب سعيد على جده هدا روعه وترجل عن ناقته وسلمها الى الخادم ومشى وهو بالعباءة والكوفية والسيف . فانتهى الى باب كبير مقفل دخل من خوخته ولم ينتظر ان يفتحوه له . ومر في فناء لم ير فيه احدا وسار توالى الى الحجرة التى يقيم بها جده عادة وفيها مضباح منير دون سائر الحجرات . وقبل الوصول الى الباب استقبله رجل خارج من عنده يمشى الهوينى على اصابع قدميه مخافة ان يوقظ المريض من نومه العميق . فعرفه سعيد انه من بعض ذوى قرياه فسأله عن جده

فاجابه : « انه نائم نوما عميقا وقد مضى عليه بضعة ايام لا ينام فلما احس بالنعاس اخرج الناس من غرفته ولم يبق سواى واوصانى الا اوقظه الا اذا جئت أنت »

قال : « دعنى ادخل عليه وهو نائم » قال ذلك ونزع حذاءه ودخل الحجرة يسترق الخطى . فاجتاز العتبة واطل على حجرة مضيئة بسراج على مسرحة قصيرة من الخشب الصلب فوق حافة بارزة من الحائط بجانب فراش . وكانت فتيلة السراج ثخينة يتصاعد من لهيبها سناج يتطاير فيترك في صعوده انارا سوداء على الحائط قرب السراج ، ولو كان لون الحائط نقى البياض لظهرت آثار السناج اكثر جلاء ولكنه كان مدهونا بطين أسمر

تقدم سعيد نحو الفراش وقلبه يخفق اشتقا من ان يكون جده قد رقد رقادا ابديا . فمشى على حصير من سعف النخل يكسو ارض الغرفة ، عليه غطاء كالبساط مصنوع من جلد مصقول . وكانوا لما اشتد به الضعف رفعوه عن الارض الى مقعد مستطيل ، ظهره شبكة من نسيج الجلد ، وهى قد دمن جلد يشدونها بين جوانب المقعد كالشبكة يجلسون عليها مباشرة او يجعلون فوقها الفرش ، وقد توسد ابو رحاب فراشا رقيقا والتحف ببرد من صوف اسود يغطيه الى اعلى الصدر ، واستلقى على ظهره ويده مضمومتان تحت

الغطاء وعيناه مغمضتان يظللهما شعر حاجبيه فيزيدهما غورا

فلما اقترب سعيد من جده نظر الى صدره فرآه يتنفس تنمسا هادئا فهذا اضطرابه وسكن بلباله ولبت واقفا يتأمل في مظاهر الهرم . فذكر ان جده كان من كبار الهامة طولا وعرضا ، ولكنه أصبح هيكلا من عظام مكسوا بالجلد . اما وجهه فلم يكن ظاهرا منه الا الأنف والجبهة وما بقى منه كان مغطى بالنسر الابيض الناصع . وازداد منظره رهبة حينئذ لضعف النور حتى خيل الى سعيد لما أشرف على فراش جده أن رأسه كتلة من القطن المندوف يتخللها ننيات مظلمة هي الأنف والوجنتان والجبهة ، واما ما خلا ذلك فقد غطته اللحية والشاربان والحاجبان ، واستطالت لحيته وانبطت حتى غطت عنقه وصدره ولكنها كانت قليلة الشعر تشف عن عنق دقيق مستطيل بانث عضلاته وفي مقدمتها القصبة وقد برزت بروزا عظيما أما الرأس فقد كان حليقا او لعله اصلح

وكان شيخنا الراقد قد دله قلبه على مجيء حفيده فتحرك وتامل ثم فتح عينيه البراقتين وأجال نظره في جوانب الغرفة فوقع على سعيد فتبسّم . فلما رآه سعيد قد استيقظ جثا أمام فراشه وهم بتقبيل يديه . فرفع أبو رحاب ذراعيه وضم سعيدا الى صدره وطفق يستنشق رائحة عنقه وخديه بلهفة وسعيد يطاوعه على كل حركة يريد لها . فأطال أبو رحاب عناقه وسعيد صابر حتى أحس بماء ساخن ينحدر على خده علم أنها دموع سخينة ولكنه لم يدر أدموع الحزن هي أم دموع الفرح . على أنه خاف عليه فاستأذنه ونهض عن صدره فرآه يحاول الجلوس فأعانه بيديه ونظر اليه وهو جالس فذهل لشدة ضعفه حتى تخيله قفصا من عظام

وأخذ أبو رحاب يصلح لحيته وشاربيه ويمسح عينيه . ثم مد يده الى سعيد فعلم هذا انه يريد يده فأعطاه ايها ، فأمسكها بيديه فأحس سعيد كأنها أصابع من حديد ليبس أنامله وجفاف جلدتها وبرودتها ، وشعر برعشة رعشا متواصلا مما انتابه من الضعف الشديد



وما زال سعيد يشاهد في جده الضعف الشديد حتى سمع صوته فاذا هو كما يعهده جهوري رنان . فاستأنس به واطمأن لسماعه . وأول كلمة سمعها منه قوله : « الحمد لله على مجيئك سالما . لقد اطلبت الغيبة يا ولدي » قال : « لقد جئتك مسرعا حالما علمت برغبتك في ذلك؟ كيف أنت الآن وبماذا تشعر يا جدي ؟ »

قال : « كنت أحسبني على شفا الموت ولكنني لما رأيتك وأمسكت يدك شعرت برجوع قواي . فأنا الآن كما تعرفني من عشر سنوات وكان الله شدد عزيمتي ليتمكني من تزويدك بنصيحة هي آخر ما أتلفظ به في الحياة »
قال : « اني اشتاق لنصحك كل حين وارجو ان يمد الله في اجلك لتشهد زواجي بقطام » . تم التفت يمنا ويسرة لثلا يسمعه احد فرأى المكان خاليا فقال بصوت منخفض : « وتفرح بما يسبق ذلك من الانتقام الذي طالما تاقت نفسك اليه »

فنظر الشيخ اليه بعينين رأى سعيد بريقهما من خلال الحاجبين ، وكان قوس الشيخوخة واضحا حولهما ، ثم سمع جده يقول : « أما زواجك بقطام فقد فهمته وسرني بلوغك مرامك وأما الانتقام فلم أفهم علاقته بها »

فتبسم وقال : « الا تذكر يا جداه ما قمنا به منذ اعوام وقام به كل بني أمية من المطالبة بدم الخليفة المقتول ظلما . وهل جرؤ أحد على الانتقام بقتل القاتل ليخلو لنا الجو ؟ »

فقطب الشيخ جبينه كأنه غضب وقال : « من هو القاتل ومن سيقتله ؟ »
فأدنى سعيد شفثيه من اذن جده وقال : « ان القاتل على بن ابي طالب وأنا سأقاتله ، وفي ذلك مافيه من الفخر والفضل ، وأتمنى ان يمد الله في بقائك ليتم الامر تحت جناحك »

ولم يصبر الشيخ على سماع بقية الحديث لعظم اضطرابه وحنقه ، وعرف سعيد حنقه مما رآه من ارتعاش يديه واختلاج شفثيه واهتزاز لحيته . ولا تسل عن دهشة سعيد لما سمع جده يقطع عليه الكلام قائلا بصوت عنيف :
« لا لا . لا يا سعيد . . . لا تقتلوا البريء »

فذهل وظن ان جده لم يفهم كلامه فقال له : « تمهل يا جداه ، اى برىء تعنى ؟ انى سأنتقم من على بن ابي طالب ، فكيف تقول انه برىء وانت اول من دعا الى مطالبته بدم عثمان . يظهر أنك أخطأت مرادى »

قال : « كلا انى لم اخطيء مرادك فلا تخطيء انت مرادى . ان عثيا برىء . . . انه برىء مما اتهمناه به . انه لم يقتل عثمان ولا مالا على قتله ولا أراد سوءا بالمسلمين ، ولا ارتكب امرا يستوجب نقمة »

فوقف سعيد وهو يحسب نفسه في منام لعلمه ان جده كان من اوائل الناقمين على على فكيف انقلب الى الضد . فتبادر الى ذهنه ان جده قد خرف

وادرك ابو رحاب ماجال في خاطره فقال له : « لا يخالغ ذهنك شك في صحة

عقلي فاني انما اقول ما اقول عن روية وصدق نظر، ولم استقدمك من العراق
الا لهذه الغاية . ولا اقول ذلك جزافا بل اثبته بالبرهان «

ولبت سعيد مدهولا مستغربا لكنه صبر وقال : « وما الذي دعاك الى هذا
التغير العظيم . كيف يكون ذلك ؟ وكيف يكون علي بريئا من دم عثمان ؟ بل
كيف تعترف انت ببراءته . وقد كنت من أوائل متهميه ؟ »

فأشار الشيخ بيده الى سعيد ان يجلس ويهدىء روعه ويصبر ثم قال :
« اما ما دعاني الى ذلك . فهاتف سمعته يقول ويكرر القول : (ان عليا بريء
وانما يتهمه اهل المطامع وذوو الاغراض) . وكنت كيفما توجهت اسمع هذا
الصوت يرن في اذني حتى اقلق راحتي . فبحثت عن الامر بنفسي وتدبرته
ما اعلمه من تاريخ علي وعثمان وغيرهما من القائمين بهذه الفتنة ، فوجدت
معاوية وسائر بني أمية على ضلال ، بل هم اهل اغراض اتخذوا مقتل الخليفة
المظلوم ذريعة للحصول عليها »

وقطب حاجبيه وقد ابرقت عيناه من خلال قوس الاشياخ حول حدقتيه
وبان الجذ في لهجته ، فظل سعيد صامتا لا يبدى حراكا لما استولى عليه من
الدهشة



على خير من معاوية

ثم أجال الشيخ يده في لحيته وأصلح شعر حاجبيه وشاربيه والتفت الى سعيد وقال : « يزعم معاوية وأصحابه أنهم انما جردوا السيوف وسفكوا الدماء للمطالبة بدم عثمان كأنهم لم يكونوا يستطيعون الذب عنه قبل قتله . ولقد يضحكنى مطالبة عمرو بن العاص بدم عثمان ، وهو أول من أراد قتله وسعى في ذلك حتى افتخر بأنه قتله وهو في فلسطين . فقد علمت انه لما بلغه مقتل عثمان وهو في وادي السباع قال : (انا قتلته وأنا في وادي السباع) يعني انه سعى في قتله عن بعد . فلا يفرنك بعد ذلك مجيئه هو وأبنائه ماشين الى دمشق ليكون ويقولون : (واعثماناه ! . نعى الحياء والدين) . انهم انما فعلوا ذلك حيلة للانضمام الى معاوية . . .

« وأما معاوية وسائر بني أمية ، فهل تحسبهم شرعوا الأسنة وأيقظوا الفتنة مطالبة بدم ذلك الخليفة المقتول ؟ . اذا كانوا فعلوا ذلك غيرة وحنانا فما بالهم لم يدافعوا عنه وهو محصور يستنجدهم من المدينة الى الشام ؟ وهب أنهم تأخروا عن نجدته كرها كما يزعمون فما بالهم نسوه ونسوا اولاده . واذا كانوا يؤمنون بأنه قتل ظلما وأنهم انما قاموا للمطالبة بدمه ، فلماذا لم يولوا الخلافة ولدا من اولاده ؟ أرايت كيف اتخذوا اسم هذا الخليفة ودمه ذريعة الى السلطان ؟

« وهكذا فعل أيضا طلحة والزبير ، فقد قتل عثمان وهما في المدينة على قيد أذرع منه، فلو أرادا بقاءه لم يعجزهما الدفاع ولكنهم سكتوا عن قتله حتى اذا راوا الخلافة افضت الى علي ، تظاهروا بالدفاع عن عثمان وقالوا : (انه قتل ظلما) . . . »

وكان الشيخ يتكلم محاولا خفض صوته فلا يطاوعه التهيج فلا يلبث حتى يرتفع صوته تتخلله غصات وارتجاج . وأما سعيد فكان يسمع كلام جده وهو مطرق لا يستطيع النظر الى وجهه تهيبا واحتراما . فلما وصل أبو رحاب الى هذا الحد سكت برهة تشاغل فيها بمسح فمه وشاربيه من نغثات ريقه لأن الهرم اخلى فكيه من الأسنان ، فانتهاز سعيد تلك الفرصة وقال له : « كيف تحسب عمل هؤلاء طمعا في الخلافة ولا تحسب عمل علي مثل عملهم . وقد كانوا جميعا في المدينة ؟ وكيف اذا قتل الخليفة تكون البيعة لواحد منهم

والباقون ينتظرون ؟ . لماذا لا تحسب ذلك طمعا من علي ؟ »

فضحك الشيخ ضحكة اغتصابية او هي قهقهة تشبه الضحك لعظم ما قام في نفسه وهو في آخر يوم من ايام الدنيا ، واول يوم من ايام الآخرة . وقبل ان يتم قهقهته حول وجهه الى سعيد وقال : « أتسألني عن خلافة علي وقد كان الاولى بي ان أسألك نفسي ما الذي أعمانى عن حقه فيها من اول الامر ؟ صدق القائل ان الغرض يعنى ويصم . . . ان الخلافة لم تكن لأحد من الصحابة قبل هذا وهو ابن عم الرسول (صلعم) وصهره زوج ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين . وهو اول الناس اسلاما بعد خديجة ، وزد علي ذلك ان الرسول (صلعم) ربي في حجر ابي طالب والد علي . وقد كفله ودافع عنه في بدء الدعوة . وكانت قريش تكره دعوته حتى كثيرا ما هموا بايدائه وابوطالب يمنعهم بماله من المنزلة الرفيعة عندهم . فلما ولد علي ربي في حجر الرسول (صلعم) وأسلم وهو في العاشرة من عمره وذب عن الاسلام بقلبه ويده ولسانه . ولا أنسى يوم الهجرة يوم تأمرت قريش على ايداء الرسول (صلعم) في مكة فاعتزم الهجرة ، وكيف إن عليا أقام مقامه في منزله فتسجى ببردته ويات علي فراشه وعرض نفسه لخطر القتل ونجاه الله . هذا عدا حروبه في الغزوات والسرايا ، فقد شهد معظم المواقع وأشهرها ، وبذل نفسه في الذب عن الاسلام يوم كان معاوية وابوه واخوته في مكة من الداعداء الاسلام . ولم يسلموا الا بعد فتح مكة أي بعد قنوطهم من النصر »



كان ابو رحاب يتكلم والعرق يتصبب من جبينه كأنه اتى عملا شاقا يجهد نفسه فيه ، وسعيد صامت مطرق لا يزل في دهشته واستغرابه حتى كاد يغيب عن صوابه . ولم يجرؤ على كلام . وطال سكوت جده فهم بسؤاله فراه يتحفز للكلام فسكت واصفى . فقال ابو رحاب : « أراك دهشت لما سمعته كأنك لم تعلمه قبلا ، ولا ألومك اذا علمته وتجاهلته فاني اكبر منك سنا واعلم منك في هذه الشؤون وقد أعمانى الغرض ، وكأننى بعد ذاك الهاتف قد فتحت عيناي وصرت أنظر الى الحقيقة كما هي . . . »

« نعم ان عليا اولى منهم جميعا بالخلافة ، والرسول (صلعم) فضله عليهم جميعا وآخاه دون سواه فقال له علي مسمع من الصحابة : (انت اخى في الدنيا والآخرة) . وخاطبه مرة وقال : (لا يجبك الا مؤمن ولا يبغضك الا كافر) . ولقد تستغرب ما سأتلوه عليك وتعجب كيف لم يتول الخلافة قبل الآن . ولا سيما بعد قول الرسول : (ان عليا منى وانا من علي وهو ولى كل مؤمن بعدى) وقوله (صلعم) : (من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من

عاداه . فمن يعلم ذلك ويعجب لخلافته ؟ بل كيف لا يعجب لتقاعده عن الخلافة الى الآن ؟ »

وكان سعيد مطرقا وقد تغيرت سحنته وتولته الدهشة حتى ظن نفسه في منام ، وندم على مجيئه لانه اصبح بعد سماع ذلك الكلام حجرا بين مطرقتين لا يدري ايقوم بعهدده لقطام التي ملكت ليه ام يعمل بوصية جده وهو في آخر ايام الدنيا . فظل صامتا لا يبدي حراكا . وادرك جده ارتياكه ولكنه تجاهل ما يجول في خاطره وعمد الى اتمام الحديث فقال :

« فانت ترى يا ولدى ان عليا اولى بالخلافة من سائر الصحابة لقربته وصهره ووصية الرسول له ، ثم هو يمتاز عن سائر الناس بفضائل تكفي وحدها لتوليه امور المسلمين ، ولا أرى في معاوية شيئا منها . ان عليا رجل متقشف زاهد في الدنيا ، رايته مرة انزل سيفه في السوق فباعه ، فسئل لماذا فعل ذلك ، فقال : (لو كان عندي اربعة دراهم ثمن ازار لم ابعه) . ويكفي قوله في وصف المؤمنين : (ومن سيماهم ان يكونوا خصم البطون من الطوى . يبس الشفاه من الظما . عمش العيون من البكا) . ولو فتشت بيته اليوم ما وجدت فيه صفراء ولا بيضاء . وقد قضى عمره في اعزاز الاسلام وفتح الفتوحات ، ولم يلبس ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعة ولا ريعا . ومن كان في مقامه يقدر على حشد الاموال واقتناء العبيد والاماء والضياع كما فعل غيره من الصحابة كطلحة والزبير وعثمان ، وصاحبنا وابن عمنا معاوية . . . »



ثم سكت الشيخ وتنهد تنهدا عميقا وقال وصوته يعلو بالرغم منه : « ان معاوية خدعنا بتظاهره بنصرة الخليفة المقتول حتى كرهنا الامام عليا ، وقد كنا في ظلمات من الغرض لا نرى الحق ، واما الآن وقد انقشع الغشاء عن عيني فقد اصبحت ناقما على معاوية ، واذا فكرت في اعماله واعمال علي كدت اتميز غيظا ويتفطر قلبي اسفا على ما نال هذا الامام من الاذى . كيف لا وهو رجل عرفناه يوم انتصر علينا في وقعة الجمل ، فقد اشفق على عدوه اشفاقه على اولاده فأوصى اصحابه بالا يلحقوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يمسوا النساء ولا الاولاد بسوء . وكم اوصى عماله ان يقسطوا في احكامهم وقد اخبرني رجل انه سمعه يوصي احد عماله ويقول : (لا تضربن رجلا في جباية درهم ، ولا تبيمن رزقا ولا كسوة تشاء ولا صيف ، ولا دابة يعتمدون عليها . ولا تقيم رجلا قائما في طلب درهم) . ولو اردت ان اسرد لك من هذه الامثلة لضاق بي المقام وقد ينقض اجلي قبل الفراغ منها وانا انما استمهل ملاك الموت ريثما اتم وصيتي . . فاصغ لي نا ولدى ، تأمل عدل الامام علي وحلمه

وما ارتكبه معاوية وعماله من الاعتداء على المسلمين . وخوفا من التطويل وقد تعبت من الكلام ، اذكر لك حادثة قريبة العهد لا يزال صداها يرن في الاذان . . آه . . آه من القساة اهل المطامع . . اتعرف عبيد الله بن عباس؟ «
قال : « كيف لا اعرفه وهو ابن عم الرسول (صلعم) وابن عم علي بن ابي طالب . نعم اعرفه «

قال : « اصغ لما اقصه عليك واعتبر . لما فرغ معاوية من وقعة صفين وتحكيم الحكمين وظفر بالخلافة بحيلة عمرو بن العاص المعلومة ، بايعه اهل الشام وظل علي في العراق . ولم يقنع معاوية بما اوتيته من الحكم فبعث سراياه الى الحجاز والعراق للفتح يدعون الى بيعته وتقض بيعة علي . وكان رسوله الى الحجاز واليمن بسر بن ارطاة ، فجاء المدينة وتولاها لان عاملها فر من وجهه . ثم جاء مكة هذه منذ شهرين ولا يزال الناس يتحدثون بفرار صاحبها ابي موسى الاشعري من وجهه . فاكره اهلها على البيعة فبايعه اهل مكة مكرهين ، وقد كنت مريضا ولم ار وجهه . علي ان عمله هذا لا يستوجب ملاما . ولكنه سار الى اليمن وعاملها عبيد الله ابن عباس . فخافه عبيد الله فهرب الى الكوفة واستخلف عبد الله بن عبد المدان ، فلم يكن من بسر بعد دخوله اليمن الا انه امر بعبد الله هذا فقتله وقتل ابنه صبيرا . وسمع بابنين صغيرين لعبيد الله بن عباس قد اودعهما عند رجل من كنانة بالبادية ، فأراد قتلهما وبعث في طلبهما فجاء الكناني ومعه الطفلان فلما علم ان سرا يريد قتلهما ذعر وصاح قائلا : لم تقتل هذين ولا ذنب لهما فان كنت قاتلتهما فاقتلني معهما . فلم يكن من ذلك الظالم الا انه قتل الطفلين والكنانى . وعلمت ان الكنانى دافع عنهما حتى قتل . ولقد اعجبنى قول امرأة من كنانة رأت ابن ارطاة مارا بعد تلك الفاجعة فقالت له : (يا هذا قتلت الرجال فعلام تقتل هذين . والله ما كانوا يقتلون الاطفال في الجاهلية ولا في الاسلام . والله يا ابن ارطاة ان سلطانا لا يقوم الا بقتل الصبى الصغير والشيخ الكبير ، ونزع الرحمة وعقوق الارحام ، لسلطان سوء)

« هذه يا ولدى اعمال معاوية وعماله ، فاین هي من اعمال الامام علي؟ وكيف تنقم عليه بعد ذلك ، وتقول انه قتل عثمان وانه يستوجب القتل ؟ «



ولم يتم الشيخ كلامه حتى خارت قواه وعجز عن اتمام الكلام ومل القعود فاستلقى على ظهره وهو يلهث والعرق يتصبب من جبينه ، فخاف سعيد عليه فأسرع الى منديل مسح به عرقه واتاه بلبن كانوا اعدوه له فشربه واستلقى بلمس الراحة ، وسعيد جالس الى جانبه وقد وقع في حيرة ان حيرة . فذكر

عهده لقطاع ولبيت صامتا . وكان جده الشيخ يلتفت اليه خلسة يرقب حركاته
وسكناته . فأدرك ارتبائه وعلم انه يفكر في قطاع واهلها فحول وجهه اليه وهو
مستلق . وقال : « اظنك تفكر في قطاع واهلها الخوارج ، وقد يخيل اليك ان
تخرجهم من طاعة علي قد يطمئن في صدق ماقلته لك ، ولكنهم لم يخرجوا الا
طمعا في الدنيا فاثحلوا سببا لا يسمعه عاقل الا هزا بهم وايقن جورهم .
خلعوا طاعة علي لانه قبل التحكيم ، وما ذنبه وهم الذين اجبروه علي قبوله ؟
وهب انه اخطأ فهل يخرجون عليه ويحاربونه ؟ . ولكنهم رأوا معاوية قام في
الشام وكاد يفوز بالخلافة فطمعوا هم في الحكومة لانفسهم فأجمعوا علي تقض
البيعة ، ويؤيد ذلك انهم ولوا عليهم رئيسا منهم وبايعوه ولكنهم فشلوا في
حروبهم وعادت العائدة عليهم

« وليس فشلهم بالدليل الوحيد علي سوء نياتهم ، ولكنني اتلو عليك حكاية
سمعتها من رجل اثق بصدق روايته هي ان الخوارج عند اول خروجهم علي
علي بعد رجوعهم من صفين ، نزلوا عند النهران فرأوا رجلا يسوق حمرا عليه
امراة ، فدعوه فانتهره فأفزعوه وقالوا له : (من انت؟) . قال : انا عبدالله بن
خبيب صاحب رسول الله (صلعم) . فقالوا له : أفزعناك ؟ قال : نعم . قالوا
لاروع عليك حدثنا عن ابيك حديثا سمعه من رسول الله . فحدثهم بحديث (انه
تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيه بدنه يمسي فيها مؤمنا ويصبح
كافرا ويمسي مؤمنا) . قالوا مال هذا الحديث سالناك فما تقول في ابني بكر وعمر و
خائني عليهما خيرا . قالوا : فما تقول في عثمان في اول خلافته وفي آخرها .
قال انه محق في اولها وفي آخرها . قالوا : فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده
قال انه اعلم بالله منكم واشد توقيا علي دينه وانفذ بصيرة . فقالوا : انك تتبع
الهوى وتوالي الرجال علي اسمائها لاعلى افعالها ، والله لنقتلنك قتلة ماقتلناها
احدا . فأخذوه وكتفوه ثم اقبلوا به وبامراته وهي حبلية ، حتى نزلوا تحت
نخل مواير فسقطت منه رطبة فأخذها احدهم فتركها في فيه ، فقال آخر :
اخذتها بغير حلها وبغير ثمن فألقاها ، ثم مر بهم خنزير لاهل الذمة فضربه
احدهم بسيفه فقالوا هذا فساد في الارض ، فلقى صاحب الخنزير فارضاه .
فلما رأى ذلك منهم ابن خبيب قال : لئن كنتم صادقين فيما اري فما علي منكم
من بأس اني مسلم ما احدثت في الاسلام حدثا ولقد امنتموني وقلتم لا روع
عليك . فاضجعوه فدبحوه فسال دمه في الماء واقبلوا الي المراة فقالت : اني
امراة الا تتقون الله ؟ . فبقروا بطنها . هذه اعمال اعداء علي وهذا هو علي
فكيف تنقم عليه وكيف تقتله او تسعي في قتله ؟ بل كيف نسكت عن قتله ولا
تدفع عنه ؟ »



فلما رأى سعيد نهاية حديث جده لم يعد يذكر العهد الذي كتبه علي نفسه

بقتل على لنلا يزيد غضبه . فظل ساكتا يفكر في حيلة ينجو بها من وعده بالتي هي احسن ، فلم يسعه ذهنه واحس بالتعب الشديد ، وراى ابا رحاب قد تعب ايضا . فقال له : « لقد اتعبت نفسك يا جداه وانت توصيني فشكرا على رعايتك ، واني ارى قولك الصواب واطلب اليه تعالى ان يقدرني على العمل به ، فاسترح الليلة وغدا نصبح ان شاء الله وقد ارتحنا فنستأنف الكلام » . قال ذلك واكب على يده فقبلها فرأها قد بردت ويبست . فقال له جده : « نم هنيئا يا ولدي فاني اخشى الا يصبح علي الصبح فلا بد من كلمة اقولها وهي ختام ما اوصيك به » . قال ذلك ومد يده فدنا سعيد اليه فعانقه وبكى ثم قال والدمع ملء عينيه وشفتاه ترتجفان وذقنه تهتز : « اذا شئت يا ولدي ان يفارق جدك الدنيا آمنة مطمئنا فعاهده بان تعمل بما اوصاك . لا تبغ سوءا للامام على واذا رايت سبيلا للدفاع فادفع عنه بكل قوتك . هل تعاهدني على ذلك ؟ . . عاهدني عليه . واجبر قلبي واذكر اني جدك وكافلك ووصيك واني ربيتك وتعهدتك واني لا اريد لك الا الخير . هل تعاهدني على ذلك ؟ قل نعم واجبر قلبي اني قلق عليك . . »

فتأثر سعيد من كلام جده حتى اغرورقت عيناه بالدموع وتذكر حسوه وعطفه عليه فلم يسعه الا الايجاب فعاهده

ولكنه لم يكذ يعاهده حتى ذكر عهده لقطام على عكس ذلك فعظم عليه الامر . وراى جده يميل الى الرقاد فدعا الرجل الموكل به وامره ان يتعهده في اثناء رقادهم وخرج الى غرفة اخرى ونزع ثيابه والتمس الراحة . اما الرقاد فلم يكن له فيه مطمع بعد ما انتابه من شتى الهواجس

لم يهدأ لسعيد بال ، وازداد الامر خطورة لديه ، وهاله انه رمى نفسه بين عهدين متناقضين . فكان كلما تصور نكوله عن قتل الامام على شعر براحة بال واضمئنان ، ثم يعاوده طيف قطام وبعدها فترتعد فرائصه ويحار في امره



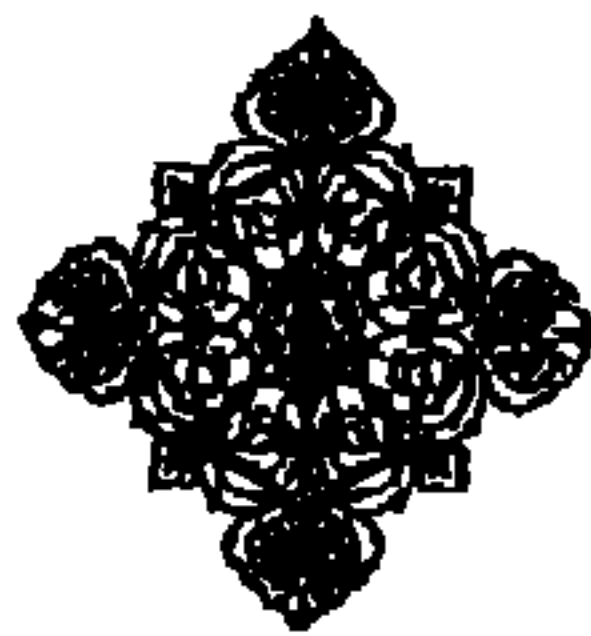
وبقى على هذه الحال حتى انتصف الليل لا يغمض له جفن ولا يستقر له قرار . فنهض من فراشه وتزمل ببرده وعباءته وتعمم وخرج الى الخلاء . وكان الظلام مخيما وورقد الناس وليس في طرق مكة سائر فخفف السكون من اضطرابه ، وسار على غير هدى يفكر فيما هو فيه الى ان شعر بالبرد فالتف بالعباءة وظل ماشيا يبطيء تارة ويسرع اخرى حتى راى نفسه على باب المسجد الحرام فسرى عنه . فقال في نفسه : « لادخلن المسجد اصلى ركعتين لعن الله يوحى الى بما يخفف اضطرابي » . وكان الباب مفتوحا وصحن المسجد خاليا فيتأبط عليه ودخل حتى دنا من الكعبة فصلى وسجد فأحس لساعته

براحة فطاف حول الكعبة ثم التمس مكانا وراءها فاتكا وعادت اليه هو اجنسه .
فأجال بصره يراقب النجوم السابحة في الفضاء وأخذ بجبال القبة الزرقاء
وافكاره تائهة واشتد البرد عليه فأدخل رأسه في العباءة يجعلها خارا . وكان
التعب والبرد تغلبا عليه فخدر واستولى عليه النعاس . ولكنه لم يكد يكد يغمض
لحظة حتى ابتدرته الاحلام فرأى قطام بجباب اسود وقد أسفرت عن مجيهاها
فبذت عيناها المكحولتان وأخذت تمشي نحوه حافية القدمين على بساط من
ريش النعام الابيض . فخفق قلبه لرؤيتها وهم بالسلام عليها فرآها عرضت
اعراض العاتب وعيناها تتلألأ بالدموع ، فتفطر قلبه لرؤيتها على هذه الحال
وساء اعراضها ، فهم بالاقبال عليها فلم تسعه رجلاه لما تولاهما من الرعدة
فناداهما فلم تجبه وظلت معرضة وقد تحولت عنه ومشت تنظر اليه شزرا
ولسان حالها يقول : « لقد خنت عهدي فما أنت اهل لي »

وحاول سعيد اللحاق بها ليخبرها ببقائه على العزم فلم يستطع ، ولما
ابتعدت عنه هم بان يناديها فافاق من رقاده فاذا هو وحده بجانب جدار
الكعبة والظلام محقق به

فمسح عينيه ليتبين افي يقظة هو ام في منام ، ولما تحقق انه كان حالما حد
الله ولكنه ايقن انه اذا لقي قطام فلن يرى منها غير الاعراض

فمكث صامتا تتقاذفه الهوم وهو لا يهتدي الى حل مقنع ، فنهض راجعا
الى المنزل ليرى ماذا حدث لجده . واشتاق ان يأوى الى فراشه بعدما اضناه
التعب والبرد . ولم يكد يتلو سورة الفاتحة عندعودته حتى سمع لفظا خافتا
كان اناسا يتسارون . وكان قد وصل الى مقام ابراهيم امام الكعبة فوقف
واصاح بسمعه فسمع خطوات بطيئة تقترب من الكعبة وهمسا يتكرر كان
القادمين يتسارون في امر خطير . فانزوى وراء المقام في مكان لا ينتبه اليه
احد في الظلام ، وكان لا يرى الا الكعبة وما حولها



١٧ رمضان

وبينما كان سعيد واقفا في مكانه اذ رأى ثلاثة رجال لم يعرف احدا منهم ولكنه عرف من قيافتهم انهم غرباء ولم يتمكن من تمييز ألوانهم ولا سحنهم وقد لفوا رؤوسهم بالعمائم لفا كالخمار اما اتقاء للبرد واما تنكرا

فمعجب لامرهم وخفق قلبه خوفا من انكشاف مخبئه وخذرا من ان يكونوا قد استخفوا ليكيدوا لاحد فاذا علموا به وبافتضح سره قتلوه ، فسالغ في انزوائه لاياتى بحركة وخشى ان يداهم العطس فينفضح امره . اما هم فوصلوا الى باب الكعبة واقتربوا من سعيد بحيث يراهم جميعا فلو كان القمر طالعا او كان هناك مصباح لتبين سحنهم جيدا ولكنه لم يستطع ان يتبينهم لسواد الليل . على انه لمح من بادى احوالهم وحركاتهم انهم في امر ذى بال ، وكان احدهم طويل القامة وهو اكثرهم حركة فجلس رفبناه الاربعاء وظل هو واقفا ثم جلس القرفصاء وقال : « مالنا ولهؤلاء انهم جبناء ، تعالوا نبدا نحن بالامر فيكون لنا الفخر »

قال الثانى وكان قصير القامة ممتلىء الجسم : « انا على رايك فانه لم ينلنا من الائمة الا الضرر . يتنازعون على الخلافة فيقتتل المسلمون في نصرتهم فاذا قتلناهم رقدت الفتنة . نعم نقتلهم جميعا » . قال ذلك بصوت خافت وفي نطقه لجلجة وكان يلتفت يمنة ويسرة لئلا يسمعه احد

فقال الرفيق الثالث وكان لا يزال ساكتا : « انى لا اذكر يوم النهروان ومن قتل فيه من الابطال حتى يقطر قلبى دما . ان علينا قتلهم لانهم لم يرضوا بالتحكيم »

فابتدره طويلهم وكان اجزاهم كلاما واعلاهم صوتا على عكس رفيقيه فقال : « لا يجدنا التدمير والتضجر . ونحن سكوت نرى ابناءنا واخوتنا يقتلون في نصره هؤلاء الائمة ولا نبدي حراكا . هلم تكف المسلمين شرهم »

فلما سمع سعيد حديثهم علم انهم يتآمرون على قتل جماعة من الائمة ، وان الامام عليا واحد منهم ، ولم يعلم من هم الآخرون . فجعل يرتعد فرقا وخوفا من ان ينكشف مكانه ولكن حب الاستطلاع جعله يقدم على علم ما هم فيه ، فبينما هو ينزوى ليختبىء ويتمنى على السحب ان تشترك مع الظلام في حجبه عن العيون اذا به راغب في كشف ما يبيتون

وسكت صاحبها الرجل الطويل الجريء بعد أن انتهى من كلامه . فلما رأى صمتهما يتدربهما قائلاً : « وماذا علينا لو امتنا ؟ حبسدا الموت في سبيل انقاذ المسلمين من فتنة يقتتلون فيها . وأصل الفتنة ثلاثة يتنازعون على الخلافة وسلطان الدنيا وهم علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص . هلم بنا نقتلهم نرح الناس منهم »

فقال الثاني : « انى على رايك من اول الامر فكيف السبيل الى قتلهم وهم يحاطون بالجند والاعوان فلنفكر في وسيلة تضمن لنا الفوز ونأمن بها الخطر »

فأسرع الاول في جوابه وقال : « أراك تتردد كأنك تخاف هول الموقف أو كأنك تتمنى أن يكون نصيبك قتل امام يرهبك . تعالوا نقسم العمل فيما بيننا . تعالوا نقسم ليقتلن كل واحدنا واحدا من اولئك الثلاثة ، ونعين يوما نباشر العمل فيه معا ، فيكون احدنا في الكوفة لقتل علي ، وآخر في مصر لقتل عمرو ، والثالث في الشام لقتل معاوية . وهكذا يقتل كل منا صاحبه في ذلك اليوم فيصبح المسلمون وقد نجوا من اسباب الفتنة ، فيختارون خليفة يولونه أمورهم وترجع الخلافة الى بساطتها »

فلما سمع سعيد ذلك تهب الامر واستعظمه ولم يصدق انهم يستطيعونه وبدا له ان قتل علي يمهد له رضاء قطام وان لم يكن قتله على يده ، ولكنه تذكر كلام جده وما أوضاه به من الدفاع عن علي لبراءته مما ينسبونه اليه فانقبضت نفسه ولكنه أفاق من اضطرابه عندما عاد المتآمرون الى الكلام . فلما فرغ أولهم من كلامه ولم ير اقبالا عليه من رفاقه لم يصبر حتى يسمع ما يقولان وانطلق يقول : « لا تترددوا ولا يهولنكما الامر فهو أسهل ما يكون على ذي جراحة . وكأني بكما تفكران في قسمة العمل وتخافان أن يكون نصيب احدنا أصعب مراسا من نصيب الآخر ، فلا تخافا فاني أخذ على عاتقي قتل اكبر هؤلاء الثلاثة وأشجعهم . أنا أقتل عليا بن أبي طالب ، فاني وان يكن مقامي بالفسطاط فاني أتى الكوفة فاقتله » . قال ذلك وأقبل حتى دنا من باب الكعبة وأمسك بحلقته وقال : « ها انذا أمسكت بحلقة الكعبة وأقسم بالله وبهذا البيت الحرام لاقتلن عليا بن أبي طالب وأبدل في هذا السبيل ما في وسعي وأشهد الله على ذلك »

فلما فعل ذلك نهض رفيقاه متحمسين فأمسك كل منهما بحلقة الباب وأقسم أحدهما ليقتلن معاوية بن أبي سفيان ، والآخر ليقتلن عمرا بن العاص ولا تسئل عن سعيد عندما شهد هذا العهد الخطير وقد تمنى لو عرف المتآمرين ولكنه لم ير سبيلا الى ذلك . ولكنه فهم من سياق الحديث ان الذي آلى على قتل الامام علي من أهل فسطاط مصر

ثم عاد الثلاثة الى مجلسهم فقال أحدهم وهو السخين القصير : « لقد تعاهدنا

على قتل هؤلاء الأئمة ولكننا لم نعين اليوم الذي نفعل فيه ذلك فان لم نعينه فشلنا جميعا »

فقال الثالث : « وهذا ما اراد انا ايضا لاننا ان لم نعين اليوم كان المجال واسعا ، ونخشى ان سبق احدنا الآخر ولم ينجح أو قتل أو قبض عليه ان يخاف الباقيان وينكلا . فلنعين اليوم والساعة »

فقال الاول : « ان الساعة يصعب تعيينها فلنعين الليلة لئتم عملنا في ليلة واحدة . في أي الشهر نحن الآن ؟ »
قالا : « في جادى »

قال : « فليكن موعدنا رمضان المبارك لنشهد عيد الفطر والمسلمون قد اطمأنوا ، واذا قتلنا لقينا ربنا وقد فعلنا ما علينا . فاخترتوا ليلة من ليالى رمضان »
قال الثانى : « انا اخترت الليلة السابعة عشرة من رمضان فما قولكما ؟ »

قالوا : « انها خير ليلة » . ونهضوا وسعيد يخاف ان يمروا به ويروه ، ولكنهم داروا حول الكعبة كأنهم يطوفون بها وليث هو ينتظر عودتهم فلم يعودوا . فلما استبطأهم علم انهم خرجوا من باب آخر أو داروا وتحولوا الى الباب الذى دخلوا منه . فرفع رأسه ونظر حوله فلم ير احدا ولا سمع صوتا فنهض وطاف حول الكعبة فتحقق انهم خرجوا . فجلس هنيهة يفكر فيما مر به وهو يحسب نفسه في حلم لغرابة ما رآه واتفاق حدوثه في الليلة التى اوصاه جده فيها بالآلا يقتل عليا . ونظر الى الافق فاستقبلته الزهرة تتلألا كأنها تبشره باقبال الفجر . وتذكر جده فرأى ان يعود الى المنزل قبل ان يطلع النهار ويخرج الناس . ومشى



ولما اقترب من المنزل خفق قلبه مخافة ان يكون جده قد اصاب حتفه في غيابه فدخل الدار فرأى السكون تخيما عليها فاستبشر وقصد الحجرة التى كان جده نائما فيها فرأى المصباح مضيئا فاطل من الباب فرأى عبد الله جالسا بجانب الفراش وجده نائما . فنظر الى عبد الله كأنه يستطلع الخال فنهض لاستقباله ووجهه باس فاطمان قلبه وقبل ان يلقي التحية ابتدره عبد الله قائلا : « لقد شغلنا بغيابك فان جددك افاق من نومه مرارا وطلب ان يراك ونحن لا نعرف مكانك وقد الح كثيرا في طلبك »

قال : « وكيف هو الآن ؟ »

قال : « في خير وقد رايناه في راحة لم يدقها منذ ايام ».

ولم يتم عبد الله كلامه حتى رأى ابا رحاب يتحرك في فراشه فتقدم سعيد اليه ففتح عينيه وأشار اليه فدنا منه وجثا أمامه

فقال أبو رحاب : « أين كنت يا ولدي فقد طلبناك فلم نقف لك على أثر ! »
قال : « خرجت في حاجة الى الكعبة واتفق لي حادث شغلني عن المجيء
حتى الآن »

فمد الشيخ يده وقبض على يد سعيد وضغط عليها كأنه لا يريد ان
يفارقه وسعيد صامت لا يبدي خراكا لشدة تأثره من منظر جده الشيخ
وقد شعر انه انما ضغط على يده بغية الوداع

فترقرقت الدموع في عينيه والتفت الى عيني جده فرآهما غارقتين بالدمع
وهما شاخصتان اليه فتفطر قلبه وهم بأن يتكلم فابتدره جده قائلا : « اني
لا أزال في قلق على مستقبلك وأخشى ألا تكون قد استوعبت نصيحتي فقد
نصحتك وأنا في آخر أيام الدنيا نصيحة أوحى الي ان ألقها اليك . وقد
تركنتي الليلة غارقا في بحار الاحلام وكان هاتفا خوفني من غيابك . هل أنت
باق على عهدي ياسعيد ؟ »

قال : « لقد عاهدتك يا جداه عهدا وثيقا اني لا أسعى بضر للامام علي
ماحييت ، وأنا باق على عهدي ، وأزيدك علما انني صادفت في الكعبة عصابة
يتآمرون على قتله وقتل صاحبيه معاوية وعمرو في يوم عينوه وتعاهدوا
عليه فلم يبق ثمة حاجة الى سعيي »

فبغت الشيخ وحلق وصاح : « ومن هؤلاء ؟ »

فقص سعيد خبره مختصرا وختم كلامه قائلا : « اني لم أعرفهم وما
استطعت اللحاق بهم خوفا منهم لاني أعزل »

قال : « ألم تعرف الذي حلف علي قتل الامام علي »

قال : « كلا ولكنني علمت من كلامه انه من مصر ، ويغلب على ظني انه
من الخوارج »

فصمت الشيخ برهة كأنه يفكر في امر مهم ، ولحظ سعيد من شخوص
عينيه وذبول اجفانه وانقلاب سنجنته انه تعب . وأما أبو رحاب فتجلد وقال
وهو يرتجف ولا يستطيع التلفظ بكل مقطع من مقاطع الكلام كأن لسانه شد
برباط : « يا ليتني كنت بينهم لأقنعهم بالكف عن ذلك . . . فلو استطعت
استمهال اجلي لسعيت في البحث عنهم فاذا عرفت الساعى في قتل الامام
علي أرجعته عن غيه بالبرهان . . . انهم والله ظالموه » . ثم سكت هنيهة
ليستريح وعاد الى الكلام وهو يتلجلج ويقف عن الكلام عند كل شهيق من
تنفسه وقد أسرع تنفسه وظهر الاضطراب عليه ، فعلم سعيد ان جده في
النزع فارتعدت فرائصه وتخضع قلبه وحزن ، ولكنه أصغى لتتمة حديثه
فاذا هو يقول : « وأما أنت يا سعيد فاصغ لقولي واعمل بنصيحتي . . ولا

اقبل منك السكوت عن هذا الامر... وانما اتت... مكلف بالبحث عنه...
انك مكلف بالبحث عن هذا... الرجل في مصر... والشام... والعراق
حتى تعلم مقره... فاما ان تقنعه... واما ان تنبئ... الامام بامر...
اني... ألقى... هذا الامر على عاتقك... فاحذر... ان تتقاعد عنه...
والا فانك... قاتل عليا بيدك... هذه وصيتي لك، احتفظ بها ولا تتمهل
او تتكاسل... والله شاهد... على ما اقول... هنذه... وصيتي
الآخرة بل... هذه... آخر كلمة افوه بها في هذه... الحياة الدنيا...
وكنت مستغربا تأخير اجلي الى... الساعة... وكنيت احسبني... ميتا
منذ ايام ولكن الله... انما اراد بذلك... ان اكل اليك... هذا الامر...
هذه آخر وصيتي لك، ابحت... عن هذا الرجل وارجمه... عن غيبه...
كما ارجعتك... ولو اوتيت... عمرا ثانيا لقمتم في بني امية... وفي
المخارج خطيبا اصرح ببراءة... الامام علي، على رؤوس الاشهاد، ولكن
آه... ان الساعة آتية... لا ريب... فيها... وها انذا استودعك...
الله واخر ك... لم... آتية... لها لك... على... على...
اد... فع... عن على بيدك... وقلبك... ولسا... ن... ك»

ولم تخرج هذه الكلمات الآخرة من فيه حتى اختنق صوته ثم شهق شهقة
دوى صوتها في اطراف المنزل وارتخت مفاصله، فأفلتت يد سعيد من يده
ونظر سعيد الى جده، فاذا هو قد أغمض جفنيه ووقف تنفسه... فجلس
يده فاذا هي باردة فلمس جبينه فاذا هو كالثلج وقد فتح فاه وأرسل نفسه
الآخر وبطلت حركة الحياة فيه فأصبح جسما بلا روح... فاقشعر بدن
سعيد ودق يدا بيد وصاح: « واجداه واجداه... ويلاه كلمني وزدني نصيحة
أخرى... » وما من مجيب... وكان عبد الله قد خرج فعاد ولما رأى ابا رحاب
قد مات اخبر اهل المنزل فاجتمعوا وعلا النحيب والبكاء

ولم يكن الحزن على موت ابي رحاب شديدا لتوقعهم ذلك منذ ايام... اما
حزن سعيد فكان مضاعفا لامتزاجه بالهواجس والاضطراب ولما سمعه من
جده وما هو مقيد به من العهود المضادة



وبعد الدفن عاد سعيد الى صحوه وفكر في حاله فرأى نفسه في مشكلة
لا يدري كيف يتخلص منها، وبعد التأمل الطويل رأى انه قد يسهل حلها اذا
استطاع اقناع قطام ببراءة علي فتنزل عن حقدتها وتقمتهها، فلما فتح عليه
بذلك توسم خيرا واحس بانفراج الازمة، فأعمل فكره كيف يستولي على
عواطفها ويغير اعتقادها في الامام حتى تسكت عن طلب ثأر ابيها واخيها
فخيل اليه ان اقناعها سهل فهذا روعه

واسرع في تدبير شؤون ذويه وكان فيهم شاب اسمه عبد الله ربه
أبو رحاب كما ربي سعيدا ، وكان يتميز به ويحبه ، وهو الذي أنفذه إلى
الكوفة لاستقدام سعيد ، فلما مات أبو رحاب تقدم عبد الله إلى سعيد بأن
يأذن له في مصاحبته وألح في ذلك كثيرا . فتعجب سعيد لتلك الرغبة في السفر
ولم يكن يعهد عبد الله ميالا إلى ذلك

والسبب في تلك الرغبة أن أبا رحاب كان من الدراية والفراصة بحيث لم
يخف عليه ضعف سعيد ، فأرسل أنفاسه الأخيرة وهو يخاف عليه غدر الناس
وخداهم . ولكنه استدرك قبل موته فأوصى عبد الله هذا بأن يكون له عونا
فيصحبه حيثما سار فينجده ويرشده فإنه وإن يكن شابا مثله ولكنه أعرف
بالدهر وبالناس

وبعد أيام ودع سعيد أهله ، واصطحب عبد الله وسارا يطويان الصحراء
إلى الكوفة ، وعبد الله لا يعرف شيئا من علاقة سعيد بقطام ولا ما تأمر عليه
الثلاثة في المسجد الحرام ، ولكنه فهم من حديث أبي رحاب معه أن سعيدا كان
عازما على قتل الإمام فأرجعه أبو رحاب عن عزمه . وسمع حديث سعيد
عن المؤامرة ولكنه لم يتفهمها جيدا . فلما أوغلا في الصحراء بدأ عبد الله
حديثا تطرقا منه إلى ذكر قتل الإمام على ، واستأنس سعيد بعبد الله وهو
مخلص بفطرته ففتح له قلبه وكشف له عن سره وأرتاح لمشورته . ولم يصل
إلى الكوفة حتى أصبح عبد الله عارفا بكل مكنونات قلبه فشاركه في شعوره
بشأن عهده مع قطام ورجوعه عنه ، فثبته على اتباع وصية جده وهون عليه
اقتناع قطام إلى أن قال : « فإذا لم تقنع فتركها والنساء كثيرات وأنا اختار
لك فتاة من أجل الفتيات خلقا وخلقا وأرفعهن نسبا لاتقاس بها قطام » .
وكانا يتحدثان وهما على ناقتيهما يطويان البيد طيا

فقال سعيد : « لا لا تقل هذا فليس في النساء أجل من قطام ولا صبر لي
على فراقها بله أعضابها فانك على ما يلوح لي لم تعان الحب ولا عرفت
سلطانها » . قال ذلك وتنهد . . . وتوقف هنيهة ثم قال : « وهب اني لا أحبها
ولست عالق القلب بها فان في يدها عهدا مكتوبا أخاف اذا اغضبتها أن تشي
بي إلى علي أو . . . ولكنني واثق بصدق مودتها فهي لا تريد بي سوءا بل
تبغى رضاي »

فقال عبد الله : « اذا كانت تحبك كما تقول فليس أسهل من اقتناعها
بالرجوع عن قتل الإمام فيتاح لك البحث عن الساعي في قتله وتردعه عن غيه
فإذا لم يرتدع قتله أو نقلت خبره إلى الإمام ليرى رايه فيه »
فارتاح سعيد إلى هذا الرأي

أقبلا على الكوفة والشمس مائلة الى المغيب وكان سعيد قد قضى ذلك النهار يستحث ناقته لعله يدرك المدينة قبل الغروب ليتمكن من الذهاب الى بيت قظام اذ لا صبر له على تأجيل زيارتها وهو على مقربة منها ، فلما دنا الغروب وهو لم يدخل الكوفة بعد ، انقبضت نفسه ، وأدرك عبد الله ذلك مما آتته فيه من السكون . فأراد أن يروح عنه فقال له : « أبعيدان نحن عن منزلك »

قال : « اذا ما دخلنا المدينة دنونا منه لأنه في اطرافها »

قال : « انى استعجل الوصول لأستريح من وعشاء السفر وانجو من ركوب الجمال فقد أتعبنى اليوم جريها »

قال سعيد : « انى ارانى على ضد ذلك وتحديثى نفسى ان أصلى العشاء فى المسجد قبل البيت »

فأدرك عبد الله انه انما يريد زيارة قظام ليطلعها على حديث جده ويرى ما يبدو منها عندما تعلم بما عول عليه ، فرأى أن يثنيها عن زيارتها حتى يتمكن من تهيئة السبيل والحيلة فى مخاطبتها لئلا يقشلا ، لعلمه بما هو عليه سعيد من سلامة الطوية التى يخشى عليه منها . فقال له : « دعنا نصل العشاء معا فى المنزل ونصبح ان شاء الله فنصلى فى المسجد »

فلم يراجعه سعيد حياء وقبل . ولكنه أسر فى قلبه ان يذهب خلصة الى منزل العجوز لبابة ليتحسس الحال

ودخلا الكوفة وقد أمسى المساء فقصدا الى منزل سعيد فترجلا واغتسلا وصليا ثم تناولا العشاء وتظاهر سعيد بالنعاس فذهب كل الى فراشه ، وانتظر سعيد حتى ظن رفيقه قد نام فالتف بصاءته وانسل الى بيت لبابة وقطع طريقه يفكر كيف يبدأ بالكلام . فلما وصل رأى لبابة خارجة منه وقد تخمرت ومشيت تتوكأ على عكازها ، فبغت لرؤيتها وحياتها فردت التحية وهى لا تكاد تصدق انها تراه . فلما تحققت أنه سعيد رجعت وهى تبالغ فى الترحاب به وتضحك ضحكها المهودة . فاستأنس بترحابها ، ثم تذكر ما جاء فيه من الامر الجديد فانكمش قلبه ولكنه تبعها حتى وقفا بباب الحجر فأمرت عبدها أن يضيء المصباح وعادت الى مخاطبته فسأله عن ساعة وصوله . فقال : « انى وصلت الساعة ومن شدة تعبى من السفر الطويل لم اصبر على رؤيتك قبل المنام »

فقهقهت فهقهة دوى لها البيت وخيل اليه لفرط قلقه ان عبد الله يسمعها فقال لها بصوت خافت : « وما الذى يضحكك يا خالة ؟ »

قالت : « لقد أضحكنى شوقك الى رؤية هذا الوجه القبيح (وأشارت الى وجهها) وانت انما تشتاق الى رؤية وجه اجل منه . . . اليس كذلك ؟ »

فقاطعها وهو يخفض صوته وقال : « لا والله انى الآن فى شوق اليك اكثر من شوقى الى قطام لانى وقعت فى ورطة لا ارى احدا ينجينى منها سواك فاسعفينى برايك ودهائك . وارجو قبل كل شىء ان تحفظى قدومى اليك الآن سرا تكتمينه عن كل انسان ، لان معى رفيقا صحبنى من مكة فلما وصلنا الى الكوفة ورأى ميلى الى الخروج اقعدى حتى الصباح فاستحييت وبقيت فلما استغرق فى نومه جئت خفية . . »

ولم يتم كلامه حتى جاء العبد بالمصباح فدخلوا الغرفة وسعيد يقول : « لقد عودتنى يا خالة ان تكونى عونى لى فى مصائبى فانت التى اقنعت قطام بمهارتك ودهائك بزواجى بها فالتمس منك الآن ان تقنعىها بما جئت به اليك »

فعببت المعجوز لاهتمامه الشديد ولو كان قلبها حيا لخفق واضطرب ولكنها تعودت الاهوال ولاقت الغرائب فلم يعد يخيفها امر . فقالت : « قل ما بدا لك انى مستودع اسرارك ولا آلو جهدا فى خدمتك »

فتنهذ سعيد وسكت وهى تحديق فيه بعينيها الفائرتين . وبعد هنيهة قال لها : « لقد جئتك بأمر لا ادرى كيف ابدأ الحديث فيه »

قالت : « قل ولا تبالى ولا تجزع فانى عركت الدهر ولقيت الاهوال حتى لم اعد أستغرب امرا . . . قل ما بدا لك »



قال سعيد : « انت تعلمين انى عاهدت قطام على قتل الامام على »

قالت : « نعم اعلم ذلك »

قال : « وهل تعلمين لماذا خرجت الى مكة »

قالت : « علمت انك شخصت اليها ولكننى لم اعلم السبب »

قال : شخصت اليها اجابة لطلب جدى رحمه الله »

قالت : « جدك ابو رحاب ؟ ما الذى اصابه ؟ »

قال : « انه مات بعد وصولى الى مكة بيوم واحد وكان قد بعث الى ليرانى

قبل موته »

قالت : مات ابو رحاب ! . رحمة الله عليه . انه كان رفيقا بك شفوفا

عليك وانا اعلم انك رببت فى حجره وقد كان احن من الوالد عليك . ولا شك

ان موته شق عليك كثيرا . وكم كنت تود ان يبقى حيا ليفرح بك ويشهد

زواجك بعد ان يعلم بما عاهدت عليه لتنقذ بنى امية من العار و . . . »

فقطع كلامها قائلا : « آه يا خالة لقد كنت اظن هذا الظن قبل ان اراه .

ولكننى ما لبثت ان ندمت على ذهابى اليه لانه حملنى قبل موته حملا ترينى
أنوء به »

قالت : « وماذا عسى ان يكون ؟ »

قال : « ان ما ظننته سببا لارتياحه قد رأته داعيا لغضبه »

قالت : « هل أخبرته بعزمك على قتل على ؟ »

قال : « نعم أخبرته ولكنه أنكر على قتله وأوصانى وهو على فراش الموت
ان لا أمد يدي الى هذه الجريمة لأن هاتفا جاءه وأنباه ببراءة الامام على مما
يتهمونه به »

وكان سعيد يتكلم ولبابة شاخصة اليه وقد أسفت تخيبة مسعاها ، ولكنها
لدهائها ومكرها لم تبد حراكا ولا اظهرت استغرابا بل تشاغلت باصلاح
خمارها تنتظر آخر الحديث

وأما سعيد فكان يكلمها وهو يتوقع بفتتها أو غضبها فلما رآها صامته
مصغية تجرأ على اتمام الحديث فقال : « ولما سمعت كلام جدى جادلته
فرايت منه اصرارا على رايه وقص على شيئا كثيرا من الأدلة والشواهد
المؤيدة لقوله »

قال سعيد ذلك وسكت وهو ينتظر ماتقوله العجوز ، فرآها لاتزال صامته
ولم يبد على وجهها شيء من الاستغراب ، فعطف بحديثه على المؤامرة التى
شاهدها فى الكعبة ظنا منها انها توازن ماتقدم من الحديث الغريب . فلما
سمعت قصة المؤامرة على قتل الامام على وعمرو ومعاوية ، رأت فيها تعزية
ولكنها اظهرت الاستخفاف بما تأمروا عليه وأرادت ان تتحقق ما عول هو
عليه فقالت : « وهل علم أبو رحاب قبل موته بتلك المؤامرة ؟ »

قال : « نعم انى اطلعته عليها قبل ارسال نفسه الاخير ببعض الساعة فلم
يزدنى الا ثقلا بوصية قالها وهو فى آخر ساعات الدنيا . . آه من تلك
الوصية »

قالت : « وما هى ؟ »

قال : « انه أوصانى بالا اكتفى بالكف عن قتل الامام على ، بل يجب ان ادفع
عنه . فلم ار بدا من اجابة طلبه وانت تعلمين موقفى فى مثل هذه الحال . . .
ولكننى لم أعاهده الا بعد ان تفرط قلبى للموعه التى كانت تنحدر على لحيته
وقد شخصت عيناه وتلعثم لسنانه وتلجلج صوته حتى خيل الى ان عظامه
تتكلم »



فلما تحققت نكوله عن عهده خافت اذا اظهرت له الاستياء ان يبوح بأمرها

وامر قطام الى علي وهما في الكوفة فينتقم علي منهما ، فأرادت أن تخادعه فتأخذ منه ولا تعطيه فقالت : « ولماذا لم تلدعن لجذك فان كلام مثل هذا الشيخ الجليل يعتبر خارجا من أفواه الملائكة »

فلما سمع كلامها انشرح صدره فابتسم وقال بكل سداجة : « كيف لم اذعن ؟ لقد أذعنت وعاهدته وهل أستطيع غير ذلك ؟ . ولكنني عاهدته وقلبي في شغل بقطام وعهدتها لعلي ان ذلك العهد يحرمني منها » . ثم عطف فقال : « ولكنني لما تذكرت حبك لي وغيرتك علي هان الامر وقلت ان ما يعسر علي مثلي يهون علي خالتي لبابة . . . بالله . . . الا ساعدتني علي اقناع قطام بالرجوع عن عزمها علي قتل الامام علي ، انه والله برىء مما اتهموه به . . . بالله ساعديني واشفقني علي فقد وقعت في حيرة بل هي مصيبة لا ينجيني منها سواك » . قال ذلك وجثا امامها وهم بيدها وقبلها وقد كادت العبرات تخنقه

فتظاهرت تلك العجوز المحتالة بالحنو وتبسمت وهي تجذب يدها من بين يديه لتمنعه من تقبيلها واجلسته وقالت : « طب نفسا يا بنى ، انى فاعلة ما تريد وارجو أن يساعدني الله على اقناعها . . . »

فلما سمع سعيد قولها ابتسم والدمع ملء عينيه اعجابا بحنوها وفرحا بنيل بغيته التي لم يكن يتوقعها وفرح بمجيئه تلك الليلة ومقابلة لبابة قبل مقابلته قطام

اما لبابة فنظرت اليه وهي تحك ما وراء اذنها برأس سبابتها كأنها تفكر فيما تختلقه من الاسباب لاقناع قطام ، وهي في الحقيقة تدبر حيلة للخداع سعيد ثم قالت : « طب نفسا ولا تبالي فاني أضمن لك الفوز اذا اطعنتي . . . » فابتدرها قائلا : « اتى طوع مشيئتك في كل ماتامرين ، هذا مالي وكل ما أملكه بين يديك »

وكان سعيد يتكلم ولبابة مطرقة . ثم سكت هو وظلت هي مطرقة ، ثم استأنفت الحديث بغتة فقالت : « سبحان الله لقد مرت بي ايام وانا مستغربة ما يندو لي من قطام علي غير المعتاد فقد يكون الذي فاه به جذك في مكة اثر في قطام هنا ولا ادري ما هو هذا التأثير »

فدهش سعيد مما سمعه وقال : « ماذا تعنين ؟ »

قالت : « اعنى اني آنست من قطام تغيرا غريبا بعد ذهابك ، فانها لم تعد تذكر الانتقام وقضت اياما عديدة كأنها في حيرة أو كان امرا طرا عليها لا تتكلم الا قليلا فحسب ان يكون ماغيرك قدغيرها . وعلى كل حال كن في راحة وسكينة وانا ادبر الامر ، فلا تذكر انك جئت الي ولا انك رايتني قبل رؤيتها »

قال : « بارك الله فيك . والله ان قضيت لي هذه المهمة لا ادري كيف

أكافئك . ولكنى أتقدم اليك الا تذكرى زيارتى هذه لاحد ولا سيما رفيقى
عبد الله «

قالت : « سمعا وطاعة فعليك اذن ان تأتى غدا لزيارتها فى منزلها وأنا
هناك ، ولا تزدد على السلام والكلام العادى . واحذر ان تذكر شيئا عما خضنا
فيه الا اذا هى خاطبتك به . . وهل تنوى اصطحاب رفيقك غدا «
قال : « سيأتى معى ولا بأس من الخوض فى الامر بين يديه لأنه بمنزلة
أخى «

قالت : « فليكن ما تريد وفقنا الله لما فيه خيرك وراحتك «

فازداد سعيد اعجابا بغيرتها وحنوها فقال لها : « اسمحى لى ان اقبل
يدك فانى لما فقدت جدى الذى كان بمنزلة أبى حسبت نفسى يتيما ولكننى
تحققت الآن من حنوك انى ما زلت مرموقا بعين العناية . ها انى قد ألقيت
الحمل على عاتقك فدبرى الامر كما يلوح لك « . قال ذلك وقبل يدها
مرارا ونهض ونهضت لوداعه وهى تقول له : « نم هنيئا وموعدنا فى اللقاء
غدا فى بيت قطام «

خرج سعيد من عندها وقلبه يطفح سرورا لنجاته من شر عظيم . ولم يدر
ما بيتته له تلك العجوز من أساليب الخداع . فلما توأرى عنها عادت الى
غرفتها وأعملت فكرتها الخبيثة فى حيلة تنطلى عليه بحيث يصدق عدول قطام
عن عزمها . ولولا خوفها من ان يشى هو بها وبقطام الى على اذا أنكرت
عليه وصية جده لجاهرت بمقاومته ، ولكنها رأت من الفطنة والدهاء ان تجاربه
فى رايه ، وتحمل قطام على مشاركتها فى ذلك ، ثم تحتالا فى بقاء المؤامرة
مكتومة حتى ينفذ المتآمرون عهدهم فيقتل على . وما درت لبابة ان قطام
أشد دهاء منها وأعظم حيلة وانها ستزيد على ذلك وسيلة أخرى للفتك
بسعيد على اهون سبيل

ولم تعد لبابة تستطيع رقادا قبل اطلاق قطام على الامر ليهيئا الحيلة قبل
مجيء سعيد فنهضت لساعتها وسارت الى بيت قطام



لقاء قطام

أما سعيد فخرج والفرح ملء فؤاده حتى أتى منزله فرأى رفيقه نائما لفرط تعبهِ فسِرَ لذلك سرورا عظيما ، ومضى الى فراشه ولكنه لم يستطع رقادا لشدة تأثره ، فقضى ساعات يتقلب على الفراش وقد طال ليله وهو يفكر في ساعة اللقاء غدا ولا يصدق أن يلقى قطام على مثل رأيه . فلما تصور عدولها عن قتل على كاد يطير من الفرح بما سيناله من الاقتران بها ثم يعترضه كلام جده وما كلفه به من السعي في الدفاع عن على وردع الساعي في قتله فيختلج قلبه في صدره لهول ذلك الامر . على أن هذا الامر لم يكن شيئا بالنظر الى ما يتوقعه من السعادة بالحصول على قطام

ولم تغمض عيناه حتى الصباح ، ولم يكد ينام حتى أفاق مذعورا وقد رأى شعاع الشمس يسطع على جدار غرفته فأسف لابطائه في الفراش والوقت تمين ، فنهض لساعته وخرج يبحث عن عبد الله فاذا هو قد لبس ثيابه ووقف يصلى فصلى معه وهو لا يفقه ما يقول

فلما فرغ من الصلاة قال له عبد الله : « لقد ابطأت في زقادك يا اخا امية »
قال : « انما ابطأت لهول ما لقيناها من التعب في الطريق »

فصدقه عبد الله وجلسا لتناول الطعام وسعيد غارق في تصوراته وقد أدرك عبد الله ذلك فيه ولكنه حسبته من قبيل الشوق الى قطام فقال له :
« ألا تنوى الذهاب الى قطام ؟ »

قال : « بلى أرى أن نسير اليها لعل الله يأخذ بيدنا ونرى منها انصياعا للحق فتعدل عن عهدنا »

فأراد عبد الله أن يختبر ثباته فقال : « هب أنها لم تقبل فماذا تفعل . هل تبقى على عزمك أم ترجع عما أوصاك به جدك ؟ »
قال سعيد : « اننا نبذل جهدنا في اقناعها فاذا لم تقنع ظللنا على عزمنا فان وصية جدي مقدسة »

فسر عبد الله لثباته على عزمه وهو لا يعلم انه لم يفعل ذلك الا بعد ما أملته به لبابة من اقناع قطام ، ولولا ذلك لتردد في الجواب كثيرا وربما أثر البقاء على عهد قطام على احترام وصية جده ، لأن غرامه بتلك الغاية الفتانة غلب على كل عواطفه .

فلما رأى عبد الله عزمه استعجله في الذهاب إلى قطام مخافة أن يطرا عليه ما يضعف عزيمته . وكان عبد الله أسر في نفسه إذا أسر فيه تردداً أن يشيه عن الذهاب إليها . فلما فرغاً من الطعام نهضاً ومشياً يقصدان بيت قطام ولم يكن بال سعيد خالياً من القلق ولكنه اطمأن إلى ما منته به لئلا يسهو من الوعود

ووصل إلى المنزل ودخلا الحديقة فاختلج قلب سعيد إذ عادت إليه ذكرى لقياء قطام هناك وما تبادلوا من آيات الغرام . وفيما هما سائران بين النخيل رأيا لبابة بالباب تبسم . فلما رآها سعيد استبشر وتشدد فمشى ورفيقه وراءه حتى دنوا منها فحياها سعيد كأنه لم يكن قد رآها بعد رجوعه . فردت تحينه وسلمت على رفيقه ، فدخلا حتى أقبلتا على قطام فاذا هي واقفة إلى نافذة تطل على البحيرة وقد لبست جلباباً أسود فوقه خمار أسود فلما رأتها أرخت خمارها وأقبلت نحوهما ، فحياها سعيد وذكر اسم رفيقه لها وقال : « لقد أتيت ومعى صديقي وأخي عبد الله فإنه أنسى ومساعدى »

فرحبت بهما ودعتهما للجلوس فجلسا وكلهم سكوت ، وبدأت العجوز بالكلام فقالت : « لقد أوحشتنا ياسعيد بطول غيابك وقد أخبرنا ريحان أنك أتيتنا يوم سفرك فلم تر قطام فشغلنا عليك لسرعة ذهابك فعسى أن يكون الباعث خيراً »

فتنهده سعيد وقال : « كلا إنه لم يكن خيراً ياخاله لاني ذهبت إلى جدى أبى رحاب في مكة فقد أرسل أخى هذا عبد الله يدعونى إليه »

قالت : « وماذا عسى أن يكون سبب استدعائك ؟ »

قال : « دعائى لأراه بعد أن هرم وغلبه الضعف والمرض على أمره ، فلمسا تحقق دنو أجله أراد أن يرانى قبل موته فسرت ولم أمكث إلا ليلة حتى قضى نحبه »

فتظاهرت قطام باستغراب الخبر كأنها لم تسمعه من قبل وقالت : « هل مات جدك ؟ .. رحمة الله عليه وعزلك الله وإبقاك » . وتنهدت كأنها تذكرت من فقدتهم وقالت : « ان موت الأهل شديد الوطأة »

وكان عبد الله يراقب حركات قطام ، وكان قد سمع بجمالها فلم يلم سعيداً على افتتانه بها وخاف أن تصر على عهدها فنخرج من نصيب سعيد ، فأحب أن يطرق الموضوع ليرى ما يبدو منها ولكنه رأى أنه لم يسبق له أن عرفها فقد تتجنب الخوض في الأمر ، فنهض وخرج وخرجت لبابة في اثره اتعاماً لحياتها



فلما خلت قطام بسعيد سأله : « من هذا الشاب . وهل هو ممن يوثق »

قال بنغمة الحب المفتون : « انه رفيق صبأى وموضع اسرارى ولا اخشى
بأسا من اطلاعه على كل شيء »

قالت : « وهل اطلعته على عهدنا ؟ »

قال : « نعم يا حبيبتي وهل ترين ما يمنع ذلك ؟ »

قالت : « كلا ، لا ارى ماتعا ولكننى كنت اوثر ان لاتطلعته لمخاطر خطر لى بعد
ذهابك الى مكة »

فاستبشر سعيد بهذا الاستهلال فقال : « وما الذى خطر لك ؟ »

قالت : « ساقصه عليك وآمل ان تطاوعنى عليه ولا تطالبنى بما سبق بيننا
من العهود »

قال : « قولى ما تشائين . فمشيئتك هى العهد الذى يقيدنى . فانى رهين
اشارتك »

قالت : « اتذكر لما جئت الينا يوم سفرك ولم تجدنى فى البيت ؟ »

قال : « كيف لا اذكر ذلك وقد كان له عندى اثر شديد »

قالت : « اتدرى اين ذهبت يومئذ ؟ »

قال : « كلا »

قالت : « خرجت فى ذلك اليوم الى اهلى ولم يكن غرضى الزيارة وحسب
ولكننى شعرت بقلق واضطراب ولم اذق رقادا تلك الليلة التى عاهدتك فيها
على قتل امير المؤمنين . فلما أصبحت قلت فى نفسى لعل سبب هذا القلق
انى ارتكبت ذنبا بما سمعت فيه ظلما لقتل الامام . فلاح لى ان امضى الى اهلى
وابحث وادقق عن حقيقة ما وقع ، فعلمت بعد البحث ان الذنب فى قتل ابي
واخى لم يكن ذنبه هو ، وتحققت انه برىء ، وانه نصح لهما مرارا قبل الواقعة
بان يرجعا فابيا ، ولما احتدم النزاع وعلم انهما فى خطر اوصى بالايصيهما احد
بسوء . ولكن بعض الاغرار قتلها وهو لا يدري ، فلما علم غضب على القاتل
وانتقم منه . فشعرت عندئذ انى قد اخطأت بما نويته واعتزمت ان احوالك عما
تعاهدنا عليه . فقضيت مدة غيابك وانا فى حيرة لا ادري كيف ابدا باقناعك .
وحفظت ذلك سرا كتمته حتى عن خالتي لبابة »

ولم يتمالك سعيد عند سماعه ذلك عن النهوض فجأة ونادى عبد الله
ولبابة فجاءا ، فالتفت سعيد الى عبد الله وقال له : « تعال اسمع يا اخى
ما اعدده الله لنا من اسباب السعادة . فاننا لم تكلف انفسنا عناء اقناع قطام .
بل هذه هى تريدنا على ان ننسى العهد الذى رويت لك خبره وتقلع عما عزمنا
عليه »

فتجاهلت قطام قوله وقالت : « ماذا تقول يا سعيد وما الذى جئتنا به
عساه ان يكون خيرا »

فعرضت لبابة للكلام وقالت : « يلوح لى انك جئتها بمثل ما جاءتك هى به »
قال : « نعم يا خالة واحمد الله على ذلك فانى جئت من مكة مقتنعا ببراءة
الامام على واخذت على نفسى عهدا امام جدى الا امس عليا بسوء ، وكنت
أختى الا توافقتنى قطام عليه فأصبح أشقى الناس ، فالحمد لله اذ قضى بما
فيه خيرنا جميعا » . وجلس يقص عليهم حديث جده وما أوصاه به فظهرت
امارات البشر والسرور على الجميع . ثم استطرد الى حديث المؤامرة فلما ذكر
ان أحد المتآمرين آلى على نفسه ليقتلن الامام عليا تظاهرت قطام بالغضب
وقالت : « ألم تعرف من هو الرجل ؟ »

قال : « لم أعرفه ولكنى علمت من سياق الحديث انه من فسطاط مصر »
قالت : « أما وقد علمت بعزم هذا الرجل فقد أصبح السكوت عنه مشاركة
له فى القتل ، فلا بد من رده او قتله »

فابنسم سعيد لذلك الاتفاق الغريب وقال : « وقد فاتنى أن أذكر أن جدى
أوصانى بأن أسعى فى دفع السوء عن على »

فقالت : « وهذا ما أراه أنا أيضا لأن السكوت عنه جريمة ، ولكنى أرى أن
يبقى امر هذه المؤامرة سرا لانطلع عليه احدا لئلا يسبقنا الى نيل الفخر
برده ، وحتى لا يسرب الخبر الى المتآمر فيسرعجلى أمره ويقتل عليا ونحن لم
نعرفه بعد ولم نبدا سعيينا لاحباط عمله . الا ترى هذا الراى يا عبد الله ؟ »

فدهس عبد الله من نوارده الخواط او علم بريارة سعيد للبابة لانكشف له
سر الخيلة ولكنه أخذ الامر على ظاهره ، فقال : « هذا هو الراى الصواب ،
وها انذا تتارع مع اخى سعيد فى السعى لردع ذلك الرجل »

فالت : « وماذا تنويان عمله ؟ »

قال سعيد : « ارى أن نذهب الى الفسطاط ونبحث عن الرجل فاذا عرفناه
هان عليا رده »

فقالت قطام : « وما الفائدة من دهابكما وانما لاتعرفان الرجل ولا تعلمان
شيئا من أمره وكيف ينأتى لكما معرفة اسمه . هل ذهبتما الى الفسطاط
قبل الآن وهل تعرفان احدا هناك ؟ »

قال عبد الله : « انى أعرف الفسطاط ولكنى لم اقم بها طويلا ولا أشرف
احدا من أهلها ولكننا نبذل جهدنا »



الاجتماعات السرية

فتقدمت لبابة والاهتمام باد عليها وكانه قد فتح عليها برأى سديد فقالت :
« اجلسوا وسأهديكم الى طريق يهون عليكم كل صعب »

فجلسوا جميعا فقالت : « لا تسخروا برأى عجوز مثلى فانى اعرف من
الاسرار ما لا تعرفون . اعلموا ان فى مصر من مريدى الامام على احزابا جمة
اذعنوا لعمر بن العاص مكرهين ، وهم صابرون على ما اصابهم فى مقتل
ابن ابي بكر ، وهم ينوون الانتقاض اذا اتىحت الفرصة لذلك »

قال عبد الله : « اهذا ما تفاخريننا بمعرفته ؟ انه لا يجهله احد من المسلمين ،
وانى لاعلم ما هو اكثر منه »

قالت : « وما الذى تعلمه ؟ »

فابتسم عبد الله مستخفا وقال : « هناك امور كثيرة علمتها من جدنا
ابى رحاب رحمه الله ، وقد اوصانى بالاطلاع عليها احدا »

فتوقعت لبابة ان تطلع على ماورى على سر ، وهى لم تقل ما قالته
الا استدراجا له ، فهزت كتفها والتفتت الى قطام التفاتة ذات معنى ، ففهمت
قطام مرادها

فابتدرت عبد الله قائلة فى دلال : « اذا كنت قد وقعت على سر فاحفظه
ولا تبج به لاحد من الخوارج مثلنا »

فخجل عبد الله من توبيخها اللطيف ، ونظر الى سعيد فرآه ينظر اليه
كانه يتوقع منه ان يفشى السر لثلاثى . فقال معتذرا :
« حاش لى يامولاتى . انى لا اعنى كتمان السر عنك بعد ان رايناك مثلنا
حماسة للدفاع عن امير المؤمنين بل لقد كنت انت الداعية الى الدفاع عنه .
ولكننى قلت ما قلته عفوا ، ولكى تثقى من حسن نيتى سأسط السر لك
وخلاتى لبابة » . قال ذلك والتفت يمنة ويسرة كأنه يحاذر ان يسمعه
رقيب ، او عدو ، فلما اصغى الجميع قال : « علمت من جدى رحمه الله ان
فى الفسطاط جهورا كبيرا لا يزالون على دعوة الامام على ، وهم متحدون قلبا
وقالبا فى القيام بنصرته ، ولهم اجتماعات سرية يعقدونها للمفاوضة فى الوسائل
المؤدية الى ذلك » . ولما بلغ الى هذا الحد تلعث لسانه كان شيئا اوقفه عن

اتمام الحديث ، وارتبك وظهرت عليه العنة ، كأنما ندم على ما فرط منه
وعول على الامساك عن تنمة الحديث . فأدركت لبابة المحتالة سبب توقفه
فابتدرته قائلة وهي تضحك : « أيعم به من سر عميق لم يطلع عليه أحد ،
انى لا أراك زدت على قولى حرما واحدا . ألم اقل ان دعاة على باقون على
دعوته ، فماذا زدت أنت على ذلك الا انهم يجتمعون سرا ؟ أم تراك ندمت
على ثقتك بنا فبدأت بالحديث ثم قطعتة ؟ . وعلى كل حال لست ألومك على
ذلك فانك لا تعرفنا قبل هذه الساعة »

فقطعت قطام حديثها قائلة : « أتقولين انك لا تلومينه بينما أراك عاتبة
عليه ؟ . دعيه لئلا يظننا راغبين فى استطلاع سره لغرض لنا ونحن انما نريد
بعض ما يريد عبد الله فلا حاجة لنا فى سره ، ولكننا نوصيه بأن يقوم بمؤازرة
سعيد فيما أوصاه به جده ، وهذا يكفيننا » . ثم وجهت كلامها الى سعيد
قائلة : « لقد سرنى من رفيقك محافظته على السر حتى عن هذه الحقيرة التى
بعد ان كانت اول الناقلين على على أصبحت من اكبر المدافعين عنه ، وهب
انه اراد افشاء ذلك السر فما نحن سامعون ما يقول ، اذ ربما وسوس لنا
الشیطان فبحنا به للأعداء »

فوقع كلام قطام فى قلب سعيد موقع السهام ، وغلب عليه الحياء والتفت
الى عبد الله وقال : « لا طاقة لى باحتمال هذا التائب يا عبد الله ، قل
ما تعلمه سواء أسمعته قطام أم لم تسمعه . ولن أبرح هذا المكان قبل ان
أسمع بقية الحديث »

فندم عبد الله على ما فرط منه وأصبح لا يدري كيف يتخلص من حياته
وارتباكه . ولما رأى الحاج سعيد هان عليه التصريح بما يعرفه ولم ير فى
ذلك لوما عليه فقال : « أراكم تتهموننى بذنوب انا براء منه ، فانى لم أتوقف
عن اتمام الحديث ضنا به على قطام بعد ان تحققت اخلاصها فى الدفاع عن
على ، ولكننى صبرت ريثما أستجمع كلام جدى بحرفه ، فاذا اذنت قطام
تلوته عليكم حالا »

قال سعيد : « قل ما علمته ، واذا سدت قطام اذنيها عن سماعه فانا
أسمعه »

قال عبد الله : « أخبرنى ابو رحاب رحمه الله ان دعاة الامام على يجتمعون
سرا فى معبد قديم خارج القسطنطين فى مكان يعرف بعين شمس ، وهم
يتفاوضون فيه سرا فى يوم الجمعة من كل اسبوع »

فسرت قطام ولبابة بالاطلاع على ذلك السر ، ولكن لبابة لدهائها ومكرها
تظاهرت بالاستخفاف والانكار وقالت : « اهذا هو السر العظيم ؟ انه باطل
لا يقبله العقل ! »

فاغتاظ عبد الله من استخفافها وقال : « وما الدليل على بطلانه يا خالة ؟ »

قالت : « تقول ان دعاة علي يجتمعون هناك كل يوم جمعة ونحن نعلم انهم يعدون بالآلوف فكيف يسعهم ذلك المعبد ؟ . وهب أنه وسعهم فكيف يجتمع الآلوف منهم كل أسبوع ولا يدري بهم عمرو بن العاص وعيون مبعوثه في اطراف الفسطاط . فهل ذلك معقول ؟ »

فسر عبد الله لاستخفافها بكلامه وحسب افشاء السر . غير ذي اثر ، وود الوقوف عند هذا الحد ، فلم يرض سعيد بذلك بل اخذ على نفسه تفسير مقاله وهو يحسب انه أتى جديدا فقال : « ان عبد الله لا يعنى باجتماع دعاة علي انهم يجتمعون جميعا كبارا وصغارا ولكنه يريد ان رؤساء العشائر وكبارهم هم الذين يجتمعون فقط » . فضحكت لبابة وهمت بالرد عليه . فقطعت قطام كلامها قائلة : « يظهر يا خالة أنك إنما تريد المزاح ، فقد طلبت من عبد الله افشاء سره ثم جعلت تجادلينه ، ونحن لا يهمنا من الامر الا الوصول الى الغاية المرجوة ، وهذا يكفر »



تم وجهت كلامها الى سعيد قائلة : « دع لبابة وتخريفها واسع فيما انت ساع فيه . سر الى دعاة علي حيث هم مجتمعون وهم يعينونك على البحث والتنقيب . ولا اوصيك الاوصية واحدة ذكرتها في بدء الحديث وهي ان تبقى هذا الامر مكتوما فيما بيننا عن كل انسان ، حتى نعرف الخائن الذي يريد قتل الامام علي ، فاذا عرفناه فاما ان نرجعه عن غيه او نرى رأينا فيه علي ما تقتضيه الحال . اما اذا اشعنا خبره الآن فانه يبالغ في التستر ، وربما اسرع في انفاذ سهمه فيقتل أمير المؤمنين غيلة ويذهب سعينا عبثا . اما الآن فنحن على يقين من انه لا يقدم على ذلك الا في ١٧ رمضان ، ونحن لانزال بعيدين عنه . . وزد على ذلك أنك اذا حفظت هذا الامر مكتوما وتفردت في البحث عنه كان الجزاء عظيما . ولا ارى فائدة من اطالة البحث . ولكي تتحقق من شدة رغبتى في الاسراع ، ابدل عهدي ابدالا يسرك فبدلا من ان يكون اقتراننا موقوفا على قتل الامام علي فقد جعلته وقفا على انقاذه من القتل ، فاذا كنت تحبني ، وهذا ما لا اشك فيه ، فبادر الى العمل ، وهذان عبد الله وليابة شاهدان على ما اقول »

وكان سعيد بعد ان تغير وجه المسألة يرجو ان يقترن بقطام قبل ذهابه في هذه المهمة . فلما سمع كلامها خجل من مراجعتها لئلا يقال انها اشد رغبة منه في الدفاع عن علي ، فانطلت الحيلة عليه ولم يسعه الا اجابتها فقال : « وهذا ما اطلبه انا ايضا لكى يتم عقد الزواج على يد الامام نفسه بحول الله » وكان عبد الله يسمع هذا الحديث وقد خامره شك في كلام قطام ، وندم

لتسرع في افشاء السر فظل صامتا لئلا يقع فيما يزيد ندمه ، وشعر لساعته بما أوتيته تلك الفتاة من الدهاء . ولم ير خيرا من اظهار ثقته بها فأخذ يطري غيرتها ويثنى على صدق مودتها فقال لها : « انى أعد اخى سعيدا من أسعد خلق الله لتوفيقه الى منك ، وانى أدعو الله تعالى ان ينجح مقاصدنا ، وسكت هنيهة تم قال : « وقد أصبت في حرصك على كتمان الامر عن كل انسان ، بارك الله فيك » . والتفت الى لبابة فقال : « وانت يا خالة نرجو ان تزودينا دائما بدعواتك الصالحة وآرائك الصائبة »

فقلت لبابة : « اما الراى ففي الاسراع فى الامر ، فعليكما بالسفر حالا الى مصر ، وأطلب الى الله تعالى ان يوفقكما ويسهل طريقكما ، واذا أتيتما الفسطاط فاطلبا عين شمس فى يوم الجمعة ، ولن تعدما من انصار امير المؤمنين من يرشدكما الى الباغى »

وقضوا برهة فى احاديث اخرى ، ثم انصرف عبد الله وسعيد ، وفى نفس اولهما شكوك لم يجسر على مكاشفة سعيد بها ، لما آتسه من اخلاصه لقطام وارتياحه الى وعودها ، ولكنه عول على انتهاء فرصة يستطيع بها التسلط على افكاره



ولما خلت لبابة الى قطام بعد خروج سعيد وعبد الله قالت لها : « لقد تمت لنا كل المعدات وان يوم الانتقام على يد غير هذا الجبان . ان عليا سيقتل لا محالة ولقد احسنت بتطمينه ومسايرته . واحسن ما رأيت من دهائك توصيته بالكتمان لانه لو اطلع عليا على خبر المؤامرة لفشل اصحابها ونجا على من الموت »

فأجابت قطام قائلة : « ولكن ذلك وحده لا يضمن لنا الفوز ، وأنا لم التمس منه الكتمان لهذا الغرض فقط ، ولكنى اردت ان يبقى خبر المؤامرة مكتوما عن كل انسان لغرض آخر »

قالت : « وما ذلك فانى لم أفهم مرادك ؟ »

قالت : « أتكونين لبابة العجوز الماكرة ويخفى عليك مغزى كلامى ؟ ما الفائدة اذن من البحث عن مجتمع انصار على ؟ »

قالت : انى ما زلت اجهل ما لربدبته ، فما مرادك ؟ »

قالت : « مرادى ان أبعث الى عمرو بن العاص بخبر تلك الجمعية ويوم اجتماعها ، ليقبض على رجالها ، وسيكون سعيد وعبد الله بينهم ، فاما ان

يقتلها أو يسجنهما ، فاذا قتلها ظل أمر المؤامرة مكتوما عن كل انسان .
وإذا سجنهما ظلّا في السجن الى ما بعد ١٧ رمضان على الأقل فيكون فد نعد
السهم وانتقمت لأبي واخي ، ولا يهمنى بعد ذلك أمر «

فلما سمعت لبابة كلام قطام همت بها وقبلتها وهي تقول : « بورك فيك
يا بنية والله انك أبعد مني نظرا وأتشد دهاء ، وإذا أحياك الله الى سبي فان
أبليس نفسه لن يقوى على مكرك ! » . قالت ذلك وضحكت . وظلت قطام
عابسة لم تعبا بضحكها ولكنها نادت ريحان حادماها فحضر وكان جالسا في
مكان بحيث يسمع ويرى ولا يراه أحد ، فلما وقف بين يديها قالت له : « ألم
يقتل سيدك ظلما ؟ »

قال : « كيف لا ، واني مطالب بدمهما ؟ »

قالت : « أتدرى لماذا دعوتك ؟ »

قال : « احسك دعوتني لنبعثي بي الى عمرو بن العاص في الفسطاط
لاخبره بأمر مجامع العلويين »

قالت : « نعم اني دعوتك لمتل هذا ، بورك في سوادك . هذا وقت الحاجة
اليك . ولكن لا تذكر اسمي لعمرو ، أنا واثقة بفطنتك فلا تخيب املى
اذهب الى مصر ابلغ الرسالة ، وجئتني بمقتل هذين او سجنهما وانت حر
لوجه الله »

فقطب ريحان حاجبيه وأجاب كأنه يعاتبها : « ألا تعلمين يا مولاتي انك
تهينيني بهذا الكلام من حيث تريدن سرورى . اتظنينني أوثر الحرية على
الاستعباد لك . لقد قلت قولا فاسمحي لى أن ان اقول مثله . اننى ذاهب
لانفاذ مرامك فاذا انا فزت فيه رجوت أن تعدينى بالألا تذكرى حرينى أبدا »
فضحكت قطام واظهرت الاعجاب بشهامة ريحان وقالت : « سر يا أسود .
انك والله خير من ألف أبيض »



أمام الفسطاط

الفسطاط مدينة عمرو بن العاص في مصر بناها سنة ٢٠ للهجرة بعد فتحه الاسكندرية . وسبب تسميتها بالفسطاط الخيمة ، انه لما فتح حصن بابل جب دير مار حرجس الآن او دير النصارى بقرب مصر القديمة واستقر الصلح بينه وبين المقوقس ، نهض لفتح الاسكندرية وكانت خيامه منصوبة خارج الدير بين النيل وجبل المقطم ، فأمر بنقويضها للرحيل فجاءه مبيء بأن في فسطاطه يماما معششا وتحتة صغاره لاتستطيع الطيران ، فقال عمرو . « لقد احنمت بجوارنا فأقروا الفسطاط حتى تطير فراخها » . فتركوا الفسطاط منصوبا حتى عادوا بعد فتح الاسكندرية فابتنوا الدور حوله . ولما اكملوا عمارة المدينة أطلق عليها اسم الفسطاط ، وهي اول مدينة بناها المسلمون في مصر واتخذوها عاصمة ملكهم ، حتى بنيت القاهرة في القرن الرابع للهجرة فنقلت الحكومة اليها

وكانت الفسطاط في العام الاربعين للهجرة ، وهو العام الذي جاءها فيه سعيد ورفيقه عبد الله ، قد عمرت واقامت بها القبائل والافخاذ في خطط وحرارات بنيت لهم . وكانت مستطيلة الشكل على ضفة النيل الشرقية طولها ميلان فيما يقرب من مصر العتيقة الآن . وأما مكان مصر العتيقة فقد كان يومئذ مجرى النيل ، وكان اذا جرى رست سفنه بباب دير النصارى حيث كنيسة المعلقة اليوم ، فكل ما بين الدير والنيل من اليبس وما اقيم عليه من البناء انما حدث بعد ذلك

وكان جامع عمرو والباقية آثاره الى اليوم مركز تلك المدينة ، وخوله انشئت الخطة والازقة . وكان اقربها الى الجامع المذكور دار عمرو ، او هما داران : الدار الكبرى والدار الصغرى . وكان المسلمون اولاً ينزلون في الخيام فلما بنى عمرو داريه اهتم الناس ببناء المنازل . ولم يكن قبل الفسطاط هناك الا بعض الاديار للقبط متفرقة بين النيل والمقطم . وبنوا الخطة او الطرق على أسماء القبائل التي تألفت منها حملة ابن العاص في ذلك الحين ومن نزع بعدهم ، ووجههم جميعا اهل الراية من قریش والانصار وخزيمة وغيرهم ، فبنوا لهم خطة سموها خطة اهل الراية ، ثم خطة مهرة ، وخطط لحم واللفيف والصدف من كندة وخولان ، فضلا عن خطط غير العرب مثل خطة الفارسيين الذين حضروا الفتح واصلهم من بقايا جند (باذان) عامل كسرى على اليمن قبل

الإسلام ، أسلموا في الشام . وكانت هناك خطط أخرى لاتحصى فضلا عن الطرق والازقة والحارات

فترى مما تقدم انه لم يكن يقيم بالفسطاط في أول أمرها غير المسلمين وأما المسيحيون واليهود ممن كانوا هناك قبل الفتح فمن أثر البقاء برعاية المسلمين أقام في الأديار خارج الفسطاط ، وأكبرها دير النصارى (دير مار جرجس) وهو الحصن الذي حوصر فيه القوقس ورجاله لما جاءهم المسلمون ، وكان يسمى حصن بابل أو قصر الشمع . وربما أقام بعض القبط أو اليهود في الفسطاط لتجارة أو صناعة أو كتابة ، لأن عمرا عهد إلى القبط أول الأمر في أعمال حكومته وأبقى الدواوين تكتب بالقبطية ، وبقيت كذلك إلى أمانة عبد الله بن عبد الملك بن مروان فأبدلت بها العربية

وكانت مدينة عين شمس (المطرية) شمالي الفسطاط خربة لم يبق من أبنيتها الشائخة ومعالمها الرفيعة إلا بعض الجدران الغليظة أو الأعمدة الضخمة والمسلات من بقايا الهياكل الفرعونية وهي مهجورة لا يقيم بها أحد فاذا احتاج الناس إلى حجارة أو أعمدة ينون بها دارا كبيرة أو حامعا حائرها .
انقاضها



وقد تركنا سعيدا وعبد الله وهما يتأهبان للرحيل في ذلك اليوم ، فأصبح على راحتيهما وخرجا من الكوفة يلتمسان الفسطاط ، وهما لا يعلمان ما أعدته لهما قطام من المكائد . وسارا يواصلان الليل بالنهار حتى أقبلا في فجر يوم الجمعة على الفسطاط ، فأطلا عليها من سفح المقطم فاذا هي ممتدة على ضفة النيل على مسافة طويلة وراءها يجرى النيل وفيه السفن راسية تحمل الغلال والأحمال ، بعضها قادم من الصعيد والبعض الآخر صاعد من الشمال . وفي وسط المدينة جامع عمرو وحوله الابنية والدور . فوقها هنيهة يدبران الخطة التي يجب أن يسيرا عليها للقيام بمهمتهما

فقال عبد الله : « ها نحن أولاء أمام الفسطاط وقد طلع فجر الجمعة الذي يجتمع فيه دعاة أمير المؤمنين في عين شمس على ما نعلم . فهل نظل هنا برهة ثم نسير تورا إلى عين شمس ؟ »

فقال سعيد : « لا داعى إلى بقائنا هنا ، وقد يكون في بقائنا مظنة سوء ونحن على ما يعلم الناس من دعاة معاوية . وزد على ذلك أننا لا ندرى متى يعقد ذلك الاجتماع : أفي الصباح أم في المساء ؟ أم في وقت بينهما »

قال عبد الله : « لست على يقين من ساعة الاجتماع ، ولكننى اظنهم يجتمعون بعد صلاة العصر إلى المساء على أنى لا أرى بأسا من النزول إلى

الفسطاط حيث صلى الصبح ونضع دواننا في مأوى تستريح فيه . ثم
أخرج أنا للبحث عن ساعة الاجتماع ومكانه وأعود اليك فنذهب معا »
قال سعيد : « هذا هو الصواب »

ونزلا بناقتيهما حتى دخلا المدينة وهي ساعتئذ أهلة بالناس وقد أذن
المؤذنون يدعون الناس الى صلاة الصبح فأتيا المسجد وأمامه ساحة كبرى
تقف فيها الدواب تشد الى أوتاد أو نخيل . فربطوا الزاحلتين ودخلا المسجد
للصلاة وكانت الشمس قد أضحت وتقاطر المسلمون أفواجا فدخلا في جملة
الداخلين



لم يكد يستقر بهما الجلوس حتى رايا الناس في حركة وجلبة وقد فتح
باب في بعض جوانب المسجد دخل منه رجال في أنهم السياط يزجرون
الناس . فقال سعيد : « من هؤلاء ؟ » . قال عبد الله : « هم الشرطة يفسحون
الطريق للأمير » . ولم يكد عبد الله يتم كلامه حتى دخل رجل ربة قصير
القامة وافر الهامة ادعج أبلج عليه ثياب موشاة كأنها العقيان تأتلق عليه حلة
وعمامة وجبة ، فعرفا أنه عمرو بن العاص . وصعد المنبر والناس ينظرون
فحمد الله وصلى على النبي (صلعم) ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم ، وجعل
يحضهم على الزكاة وصلة الأرحام ، ويأمر بالتوفير وينهى عن الفضول ،
وكثرة العيال وافاض المقال في ذلك الى أن قال : « يامعشر الناس ، اياكم
وخلاا اربعا فانها تدعو الى النصب بعد الراحة والى الضيق بعد السعة والى
الذلة بعد العزة . اياكم وكثرة العيال ، واخلاض الحال ، وتضييع المال ،
والقيل بعد القال في غير درك ولا نوال . ثم انه لا بد من فراغ يؤول اليه
المرء في توديع جسمه والتدبير لشأنه وتخليته بين نفسه وبين شهواتها ،
ومن صار الى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل ، ولا يضيع المرء في فراغه
نصيب العلم من نفسه ، فيحور من الخير عاطلا وعن حلال الله وحرامه غافلا .
يامعشر الناس انه تدلت الجوزاء ، وذلت الشعري ، واقلعت السماء وارتفع
الوباء ، وقل الندى وطاب المرعى ، ووضع الحوامل ، ودرجت السخائل ،
وعلى الراعى لرعيته حسن النظر ، فحى لكم على بركة الله تعالى الى ريفكم
فنالوا من خيره ولبنه وخرافه وصيده ، وأربعوا خيلكم وأسمنوها وصونوها
وأكرموها فانها جنتكم من عدوكم وبها مغانمكم وأنفالكم . واستوصوا بمن
جاورتموه من القبط خيرا ، واياكم والمومسات والمعسولات فانهن يفسدن
الدين ويقصرن الهمم . حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبظها

خيرا فان لهم فيكم صهرا وذمة . فكفوا ايديكم ، وعفوا فروجكم ، وغضوا ابصاركم . ولا أعلمن أن رجلا أسمن جسمه وأهزل فرسه ، وأعلموا انى معترض الخيل كاعراض الرجال ، فمن أهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك ، وأعلموا أنكم في رباط الى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم ، وتشوف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية . وحدثنى عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كيفاً فذلك الجند خير أجناد الارض) . فقال له أبو بكر رضى الله عنه : (ولم يا رسول الله ؟) قال : (لأنهم وازواجهم في رباط الى يوم القيامة) . فاحمدوا الله معسر الناس على ما اولاكم ، وتمتعوا فى ريفكم ما طاب لكم ، فاذا يبس العود ، وسخن الماء ، وكثر الذباب ، وحمض اللبن وصوح البقل وانقطع الورد من الشجر فحى الى فسطاطكم على بركة الله . ولا يقدمن أحد منكم ذوا عيال الا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرتة . أقول قولى هذا وأستحفظ الله عليكم »

وكان عمرو يخطب والناس يسمعون وقد خشعوا لما تكلمه من الأوامر والنواهي والوصايا . فقال سعيد لعبد الله همسا : « والله انه لنعم الأمير ، وثلت يد تقتله . انى والله منذره بذلك متى دنا الأجل المضروب » . فلم يجبه سعيد مخافة أن يلحظ أحد شيئا مما هما فيه

وخرج الناس بعد الصلاة ، وخرج عبد الله وسعيد ، واجتمعوا فى ساحة المسجد خارجا ، وتعارفوا فعرف عبد الله رجلا من غفار كان له معه صداقة فدعاه وسعيدا الى منزله ليقبلا عنده فاعتذرا فألح عليهما فسارا معه لثلا يوجب ابتعادهما شبهة ، فأنزلهما فى منزل له فى خطة اسمها خطة خارجة بن حذافة فأمر الغفارى عبدا له بتسلم الراحلتين والسير بهما الى المرباط ، ودخل بالضيفين الى غرفة لم « يا فيها نافذة الا كوة فى أعلاها فعجبا ، وهم عبد الله بالاستفهام عن ذلك وأومفه التادب ، فلحظ الغفارى استغرابه فقال له : « لا تعجب لحال هذه الغرفة فان كذلك سائر أبنية الفسطاط »

فقال عبد الله : « انى والله يا اخا غفار لفى عجب عجاب مما أرى فما الذى دعا الى هذه الأقفال ؟ » . فقال الغفارى : « أعلمنا أن خارجة بن حذافة صاحب شرطة الأمير عمرو بن العاص هو أول من ابتنى غرفة فى الفسطاط . فلما علم بذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يومئذ كتب الى عمرو بن العاص يقول : (ادخل غرفة خارجة وانصب فيها سريرا واقم عليه رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير فان اطلع من كواها فاهدمها) . ففعل ذلك عمرو فلم يبلغ الكوى فأقرها فلم يجسر أحد أن يبنى غرفة بعد ذلك الا على هذا الوصف وهو أضمن للحجاب »

ثم جاءهما الغفاري بالزاد فأكلا ، وما لبثا حتى خرجا يطلبان الخلوة للنظر فيما جاء من أجله ، ومشيا في المدينة يتظاهران بالتفرج على مشاهدتها فقال سعيد : « اننا في وقت الظهر وما العمل ؟ »

فقال عبد الله : « دعني أسر وحدي الى عين شمس فانها على بضعة اميال من هنا حيث ترى الخرائب وامامها هاتان المسلتان ، وسأبحث لأهتدي الى مكان الاجتماع فاذا عثرت عليه جئتك على عجل . فأين الملتقى ؟ »

قال : « ابقى انا في المسجد حتى تعود الى واحذر ان تطيل غيابك » فسكت عبد الله ولبث برهة يفكر ثم قال : « اذا أبطأت في الرجوع اليك فاذهب الى عين شمس وانتظرنى بقرب هاتين المسلتين القائمتين فأوافقك اليهما او أبعث من يدعوك الينا »

فافترقا وقصد عبد الله الى عين شمس وقد جعل وجهته اليها المسلتين وكانتا ظاهرتين عن بعد . وعاد سعيد الى الجامع

وأقبل عبد الله على عين شمس فاذا هي مؤلفة من اطلال ليس فيها من الابنية الا الجدران والاعمدة ، فطاف بين خرائبها فلم يراحدا ولاسمع صوتا . وقضى في ذلك ساعتين يتردد بين تلك الجدران ثم يعود الى حيث بدأ فلم ير أثرا للادميين ، فظن نفسه قد أخطأ المكان او أساء فهم ما بلغه من امر ذلك الاجتماع حتى كاد يهم بالرجوع وقد خاب ما امله وخيل اليه ان دعاة على ابدلوا بمجتمعهم هناك مكانا آخر

فأسند ظهره الى جدار ووقف يفكر فيما يفعله وقد مالت الشمس الى المغرب فرأى رجلا قادما من الفسطاط فتشأغل عبد الله بمشاهدة ما هو محفور على تلك الآثار من الرسوم الهيروغليفية كأنه يعجب لغريب صنعها . وكان الرجل يظهر تارة ويختفي تارة اخرى في مرورة بين الأعمدة والخرائب وعبد الله يختلس النظر اليه . ثم نظر فاذا به قد اختفى



فعجب عبد الله لأمره وقال في نفسه : « لا بد ان يكون الرجل من اهل ذلك الاجتماع السرى وقد نزل في نفق أو نحوه » . فالتمس المكان الذي ظن انه اخفى فيه فوجد منحدرًا يظهر لأول وهلة انه مسدود فنزل فيه وهو يخطو الهوينى حتى انتهى الى ظلمة دامية فوقف وأصاح بسمعه فسمع لفظا فأسبى بالوصول الى المكان المطلوب ولكنه لم يكن يعرف مدخل تلك المغارة وخاف ان يراه القوم فيقتلوه

فوقف برهة يتردد بين ان يسير منلمسا طريقه وبين ان يرجع ليأتي سعيد . ثم بدا له ان يتحقق المجتمع اولا ثم يعود ، فخطا بضع خطوات وهو

لا يرى شيئا امامه فلطم رأسه السقف ، فحسى ظهره وداهمه العطاس لرطوبة الهواء فعطس عطسة دوى لها المكان وما شعر الا . قد ظهر نور ضعيف وتقدم بضعة رجال كلهم ملثمون ، عليهم اردية سوداء تريد هم رهبة فقبصوا عليه وهو لا يبدي حراكا . ونزلوا به في المر الى قاعة تحب الارض واسعة وكل جدرانها وسقفها مغطاة بنسيج اسود مما يجعل المنظر رهيبا ، ولولا شمعات مضيئة في بعض جوانب المكان لكانت الظلمة لا تطاق لكثافتها . ونظر عبد الله الى ما حوله فرأى في وسط القاعة دكة مغطاة بملاءة سوداء ، لم يدر ما تحنها ولكنه لم يستطع التامل وقد احدث به بضعة عشر رجلا الحفوا العباءات تحتها السيرف زكلهم ملثمون . فخاطبه واحد منهم يسأله عما يريد .

فقال : « انى جئت اشارككم فيما أنتم فيه »

قال : « وما أدراك ما نحن فيه ؟ »

قال : « علمت أنكم تدعون الناس الى نصره الامام على . اليس ذلك ما تدعون اليه ؟ »

قال : « وما شأنك في هذا ؟ »

قال : « شأنى هو شأنكم . لا تسيئوا للزبى انى قادم من الكوفة لهذا الأمر »

فقال له رجل آخر : « كيف تكون أمويا وتدعى نصره الامام على ؟ »

فخيل الى عبد الله انه يستمع صوت صديقه الغفارى الذى أضافه في الصباح

فقال : « ألسنت أنت صديقى الغفارى . أصدقنى ولا تخف انى والله جئتكم بخبر مهم اذا أشركتمونى فى أمركم اطلعكم عليه وتحققتم صدق قولى »

فقال الغفارى : « اذا كنت صادقاً فيما تقول تعال معى » . ومشى فتبعه الى الدكة فى وسط القاعة ورفع عنها الملاءة السوداء فاذا هناك مصحف فوقه سيف مسلول وقال له : « ضع يدك على هذا السيف واقسم بالله العظيم انك حليف للامام على ننصر نصيره ونحارب عدوه »

فوضع عبد الله يده على المصحف والسيف معا ، واقسم

ثم قاده الرجل الى دكة اخرى رفع غطاءها وتناول قارورة فيها مسحوق اسود كأنه الكحل فقال عبد الله : « وما هذه ؟ » قال : « هذه قارورة فيها بقية من رماد ابن أبى بكر الذى أحرقتموه ظلما ، فاذا كنت تطلب الهداية ونصرة الحق فعليك أن تكحل بهذا الرماد وتبكي ذلك القليل المظلوم وتعاهدنا على الاخذ بثأره . فهل تقبل وتظل على قسمك ؟ »

قال : « انى معكم فيما تريدون وقد صدقتكم القول »
فتقدم صاحبه ففتح القارورة وأدخل فيها شيئاً علق عليه بعض الرماد
فأعطاه الى عبد الله فاكتحل به فهاجت عيناه وانسكب الدمع على الرغم منه
فشاركه الرفاق فى البكاء

ثم أزاح الغفارى لثامه وقال : « نعم انى صديقك كما قلت ، ولكن اعلم
انك اذا كنت على غير ما تقول فانى عدوك أهدر دمك بحد هذا السيف .
قل ما بدا لك »

فلما اطمأن عبد الله تذكر سعيدا فقال : « ان لى رفيقا اريد ان ادعوه
ليشهد ما نحن فيه ويشاركنا فى هذا الجهاد »

فقال له الغفارى : « انك لن تبرح هذا المكان حتى خروجنا جميعا فقل
ما تريد »

فأطاع وقال : « لا تعجبوا لانى اموى . فقد أصاب صاحبى الغفارى ،
فقد كنت من انصار معاوية وكنت مطاليا بدم عثمان ، ولكن طرا على طارىء
سأقص عليكم نبأه بعد ، أما الآن فأقول انى قادم من الكوفة وقد علمت ان أمير
المؤمنين عليا بن أبى طالب قد جمع رجاله هناك فاجتمع له اربعون الف مقاتل ،
وكلهم مستعدون للنزال وبذل النفس والمال فى هذا السبيل »

فقال الغفارى : « ان رجالنا يعدون بالآلاف وكلهم وكل ما ملكت ايديهم
وقف على نصره الامام ابن عم الرسول »

وهم عبد الله باتمام الحديث فاعترضه احدهم قائلا : « عرفناك امويا من
الذ اعداء الامام ، فما الذى حملك على نصرته مجازفا بحياتك ؟ »

فاخذ يقص عليهم حديث أبى رحاب ، ولم يكذ يفوه بكلمتين حتى سمعوا
وقع حوافر الخيل فوق رؤوسهم وقد ارتج المكان فوقهم فأنصتوا ووقع
الرعب فى قلوبهم ، وخيل اليهم انها دسيسة من عبد الله ، فهموا بقتله
ولكنهم ما لبثوا ان رأوا المشاعل منبعثة من مدخل المر وقد انهالت الشرطة
عليهم فأرادوا الدفاع عن انفسهم فلم يفلحوا ، وتشدالشرطة وثاقهم وساقوهم
فى ظلام الليل الى القسطنطينية



السجينة الامينة

مكث سعيد في الجامع حتى دنا الغروب ولم يعد عبد الله فحار في أمره هل يذهب الى عين شمس أو ينتظر عودة عبد الله . ثم غربت الشمس فلم ير بدا من المسير الى عين شمس كما أوعز اليه عبد الله . فخرج من الفسطاط وجعل المسلمين وجهته والظلام يكاد يحجبهما عنه فمشى وقد أوجس خيفة من ابطاء عبد الله ولم يعد يرى المسلمين الا اذا برزتا في الافق . ثم اختفتا ولم يعد يراها وخاف أن يضل الطريق . وفيما هو في ذلك سمع دبيبا وقرقة كأن جندا قادما وراه فتنحى عن الطريق فاذا بكوكبة من الفرسان مرت به مسرعة نحو عين شمس فأوجس في نفسه خيفة . والتفت الى يمينه فرأى بيتا قائما في بستان . فبدا له أن يتوجه اليه يستفهم عن الطريق . فلما دنا منه سمع صوتا خارجا من بعض جوانب الممر استوقف انتباهه فوقف وأصاح بسمعه فسمع صوتا رخيفا يعازجه بكاء ولم ير هناك نورا ولا رأى أحدا في البستان ، فقصد باب البيت فاذا هو موحد ووضع له صوت الباكي فأنصت فسمع صوت امرأة تبكي وتقول : « الا تخاف الله يا ظالم ؟ أما كفاك ما واطأت عليه من قتل البريء حتى رميت الوفا من الناس في خطر القتل الفظيع ؟ هل من ينسئ هؤلاء الأبرياء بالوشاية بهم فينقذهم من الموت ؟ »

فلما سمع سعيد تلك العبارات اقشعر بدنه ولم يعد يصبر على استطلاع سبب ذلك البكاء . فقرع الباب قرعا خفيفا فانقطع الصوت بغتة ، فصبر هنيهة وكرر القرع ويده ترتعش رهبة فلم يسمع شيئا ، فازداد شوقا الى استطلاع السر ، ولكنه خاف أن يقع في مكيدة وهو غريب هناك ، فلبث برهة والهوا حس تتقاذفه وقد حدثته نفسه أن بين ما سمعه وبين ما يسعى في البحث عنه علاقة كبرى . وكان الفرسان الذين مروا به قد بعدوا عنه ولم يعد يسمع من وقع حوافر افراسهم غير الدوي البعيد . فأيقن أنهم في طريقهم الى عين شمس ولم يفهم سبب ذهابهم اليها في ذلك الليل . وبعد التأمل فيما سمعه وراه أيقن أن في الأمر سرا يهمه الاطلاع عليه

فهب الباب بيده هزا عنيفا كأنه يفتحه بالعنف فلم ينفج ولم يعد يستطيع صبورا فقال بصوت خافت : « هل في المنزل أحد يفتح الباب . . انى غريب ضللت الطريق ! . . »

فأجابته الصوت من الداخل : « ليس في البيت سوى . . . والباب مقفل
 لا سبيل إلى فتحه »
 فازداد سعيد دهشة واستغرابا وقال : « من أنت أيها المتكلم ؟ أنى أراك
 في ضيق فهل من سبيل إلى انقاذك ؟ »
 فأجابته الصوت : « يا حبيذا إذا استطعتة انى حبيسة . من أنت ؟ »
 قال : « قلت لك انى غريب ضللت الطريق ، أربنى وجهك أوارشدنى الى
 وسيلة أفتح بها الباب »
 قالت : « عالج الأقفال بالعند ، لعلك تستطيع فتحها فتنقذنى ، وربما
 انقذت الوفا من الناس معى »



ثارت الحمية في رأسه واستل خنجره وجعل يعالج الأقفال وهى تساعده
 من الداخل حتى فتح الباب فبرزت منه فتاة محلولة الشعر عليها رداء أهل
 الفسطاط ولما رأت سعيدا قالت : « من أنت أصدقنى الخبر ؟ »
 قال : « أصدقينى أنت ولا تخافى ، لقد سمعتك تنديين الوفا من الناس
 فمن هم ؟ »
 فتفرست فيه وتفرس فيها فلم يعرفها ولا عرفته
 ثم قالت له : « من قال لك انى انذب الوفا ؟ »
 قال : « سمعتك بأذنى . افصحى ولا تخافى »
 قالت : « وما يهيك من أمر هؤلاء الألوفا ؟ »
 قال : « اخاف أن أكون منهم »
 قالت : « وما الذى جاء بك الى هنا ؟ »
 قال : « كنت ذاهبا الى عين شمس فتهدت وجئت لأسأل أهل هذه الدار
 عن الطريق فسمعت بكاءك ، فما خطبك . قولى لقد نقد صبرى »
 قالت : « انى اخاف العيون ، ولا أثق بأحد بعد أن غدر بى أبى فكيف أثق
 بالغرباء ؟ »
 قال : « رب غريب اقرب من القريب . قولى ولا تخافى »
 وفيما هما في ذلك سمعا وقع الحوافر وصوت الضوضاء من ناحية عين
 شمس ، فدخلت الفتاة الغرفة وجرت سعيدا بثوبه ولم تغه بكلمة ، فدخل
 فى أثرها وقد تولته الدهشة ولبث صامتا . ولم تمض برهة حتى دنت
 الضوضاء منهما وسمعا من بين الأصوات قائلا يقول : « لقد وقعتم فى أيدينا ،
 يها الخائنون وعرفنا دسائسكم » . وسمعا لفظا كثيرا مختلطا فظلا صامتين

حتى مر الفرسان كلهم وهم يسوقون جماعة من المشاة موثقين
فلما تواروا عن البيت لطمت الفتاة وجهها وقالت : « لقد نالوا بغيتهم
قبضهم الله وقبضوا على الجماعة »

فقال : « واى جماعة . هل قبضوا على جماعة عين شمس ؟ »

قالت : « نعم انهم قبضوا عليهم واأسفاه »

فدق سعيد يدا بيد وخرج يرقب الفرسان كأنه يريد ان يتحقق طريقهم
فقالت له : « اخالك كنت سائرا اليهم »

قال : « نعم »

فقالت : « لقد نجاك الله من أيديهم وكأنما اراد الله ان تضل الطريق لنجاتك »
فاضطرب سعيد واختلج قلبه في صدره وقال : « بالله عليك افصحى
يا اخية فقد نفذ صبرى ، وقد علمت غرضى فأخبرينى عن حقيقة أمرى »
قالت : « لم اعد أستطيع البقاء هنا مخافة ان يفاجئنا قادم فتكون العاقبة
وخيمة علينا »

قال : « وهل تريدان ان نبعث عن هذا المكان ؟ »

قالت : « نعم هلم بنا ، فاذا خلونا تحادثنا ، ونسالك ان تتلافى امرنا لا ازال
خائفة من وقوعه ، وهو شر عظيم » . قالت ذلك وخرجت فمشيت امامه
وهو يتبعها حتى خرجا من البستان وأوغلا في الحقول ، وهو يسير في اثرها
الى حيث لا يدري ، وكلاهما صامت لا يفوه بكلمة ، حتى دنوا من بناء على
الجدران كأنه لا باب له فقالت له : « هذا دير للقبط فلندخله بحجة الزيارة
فنكون فى مأمن ، ومشيت امامه الى باب صغير فى أسفل الحائط مصفح بالحديد ،
فقرعته فأطل عليها من نافذة فى أعلى الحائط راهب فى يده مصباح وقال :
« من يقرع الباب ؟ »

ولم تمض هنيهة حتى فتح الباب فدخلا وقد احنيا راسيهما لضيقه
فاشرفا على ممر دخلا منه والراهب يسير بالمصباح امامهما حتى انتهيا الى
الكنيسة ، فنظر الراهب اليهما فى نور المصباح فعرف ان الفتاة من اهل
الفسطاط بل من اشرافهم ، فسر لزيارتها ورحب بهما وأدخلهما الى غرفة
مضاءة فى الجانب الآخر من الكنيسة وسألها : « هل تحتاجان الى شىء ؟ » .
فقالا : « كلا » . فتركهما وقفل راجعا



تأمل سعيد الفتاة على ضوء المصباح فوجدتها شابة فى مقتبل العمر جميلة
الطلعة وقد احمرت عيناها وذبلت اهدابها من البكاء ، فلم يزدتها ذلك الا

حسنا ، وكانت قد ضفرت شعرها في اثناء الطريق وغطت راسها بطرف
توبها . فجلسا على وسادة فوق حصر وسعيد في كهفة على حديثها وقلبه
يخفق توقعا للنبا الغريب ، فابتدراها بالسؤال عن حقيقة امرها ؟

فنظرت اليه ولم تكذ تتأمله حتى قالت : « لعلك أحد الغريبيين اللذين
وصلا الى الفسطاط صباح هذا اليوم ؟ »
قال : « نعم ، وما أدراك بذلك ؟ »

قالت : « رأيتكما مع جارنا الفقاري ، وها انذا اقص عليك خبري الغريب ،
وارجو منك أن تسرع في تلافي الخطر العظيم الذي سيدهم المسلمين قريبا »
قال بلهفة : « قولى ، انى لهذا الامر اتيت الفسطاط ، فعسى أن اكون قد
وقعت على ضالتي »

قالت : « انى اطلعت على سر لا اظن احدا عرفه قبلى ، الست على دعوة
الامام على ؟ »

قال : « بلى انى على دعوته ، وقد جئت في سبيل نجدته »

وهمت بالكلام ، ثم توقفت برهة واطرقت ، فلحظ سعيد ترددها وأدرك
انها اساءت الظن به فقال لها : « لا تظنى سرى مجهولا لدى واذا شئت قلته
لك . وليطمئن قلبك اقول انه يتعلق بالامام على وفيه خطر على حياته »

فاطمانت ولكنها تنهدت وقالت : « اعلم ياسيدى ان أبى يصنع السلاح
ويبيعه في الفسطاط ، وقد زبيت وانا اسمعه يتشيع للامام على فانفوس
حب هذا الامام في قلبى ، وما انا في حاجة الى مدح أبى الحسن وهو ابن عم الرسول
وصهره ، ولكننى ذكرت لك هذا لاطلعت على التغيير العجيب الذى طرا علينا
فقد كنا ندعو ابدا لعلى بالنصر ، حتى كانت واقعة صفين منذ بضع سنين
فلحظت فتورا في غيرة أبى ، ولكننى لم اعرف لذلك سببا . وقد كنت
كثيرا ما اراه يختلى بجوار لنا من بنى مراد ، كان يعلم الناس القرآن ،
وكنت احسبه من اهل التقوى . ولكننى وجدته واأسفاه من اهل العدا .
وما زالا يتساران في امر هذا العدا ولا يجرؤان على التظاهر به لان مصر
في حوزة الامام على وعاملها محمد بن أبى بكر . فلما جاءنا ابن العاص بخيله
ورجله ، وحارب دعاة على فقتل ابن أبى بكر قتلة لم يسبق لها مثيل في الاسلام ،
استقام الامر للأمويين ، فجاهر أبى بعداء على ، وكان جارنا المرادى يزيد
كرها له . فعلمت انهما تشيما للخوارج ، فظلت مع ذلك صابرة كاظمة
اذ لا سبيل لى الى شىء اعمله وانا فتاة ضعيفة كما ترى . وكان أبى يظننى
على دعوته . ففي ذات يوم جاءنا ذلك المرادى يخطبنى من أبى فقيل ، أما انا
فلم اجد خوفا من اكرامى على الزواج ، وصممت على الفرار اذا حملنى
ابى اليه كرها ، وما زلت اماطل في عقد القران الى الآن »

عبد الرحمن بن ملجم

كانت الفتاة في أثناء كلامها عن الزواج مطرقة حياء فلما بلغت هذا الحد رات سعيدا مصغيا كأنه يتطلع الى اتمام الحديث فقالت : « ولا أطيل عليك قبل ان اصل الى جوهر الموضوع فاقول ائى احتملت الامر بالصبر ثم علمت ان المرادى خرج الى مكة فظننته حاجا وتمنيت الا يعود ، ولكننى ما لبثت ان رأيته قد عاد »

قالت ذلك وتنهدت وسعيد ينتظر لسماع ما تقول وقد دهش لغرابة الحديث

فقالت : « عاد المرادى بمهمة جديدة ليتنى مت قبل ان اسمع نبأها ، فاذا لم اجد من يتحمل المشقة في تلافيتها تلافيتها بنفسى . . . جاء هذا المرادى ثانى يوم وصوله الى الفسطاط ، فخلا الى ابي كل الليل ، وانا لا اعلم ما دار عليه حديثهما ، ثم بلغنى انه اوصى ابي بأن يصنع له سيفا ماضيا انفق عليه الف درهم ، وقضى مائة يوم يشحذه فلم أفهم معنى هذا الاستعداد ، ولا اهتمت به ، وبعد ان شحذه كلف ابي فسقاه السم . وقد علمت انه انفق على سقايته الف درهم ايضا . فويل لجسم يجرحه هذا السيف ولو جرحا خفيفا »

فلم سعيد ولم يعد يستطيع صبرا على التصريح باسم ذلك الرجل والافصاح عن غرضه بمقايمة السيف ، وخامره الشك في انه ربما كان يعد لقتل الامام علي . وكان قد صبر نفسه حتى يسمع ذلك من فم الفتاة ولكنه مل الانتظار فسألها قائلا : « وما اسم هذا الرجل ؟ »

فقالت : « اسمه عبد الرحمن بن ملجم المرادى »

فلم يذكر انه يعرفه ، اما خولة فتنهدت وقالت : « فلما رأيت منه هذا الاستعداد المريب عمدت الى الحيلة ، فلما جاءنا في صباح أمس يودع ابي وقد عزم على الكوفة ، قلت في نفسى : سيذهب الرجل وانا جاهلة السر ، فتظاهرت باعجابى بشجاعته واقدامه ، وأطريت غيرته على الاسلام ونحو ذلك ، وسألته ان يرينى السيف لأتأمل فرنده ، فجاء به وأوصانى ان اتقى حده لان جرحه يميت ، فسئلته بحذر ، فاذا هو يلعب لعانا تقشعر منه الابدان ، فارتعد جسمى ولكننى اظهرت الجلد وقلت : اراك انفقت مالا كثيرا

على صقله ، ما الفائدة من هذا اللمعان ؟
فضحك مستخفا وقال : « اتحسبيني انفتت كل ذلك المال على صقله
فجسب ؟ »

قلت . « وماذا هناك ، انى لا ارى فيه غير اللمعان »
فتال : « لقد سقيته السم »

فتظاهرت بالدهشة وقلت : « ولاى شىء هذا ؟ » . وما زلت احاوره
واجادله حتى خدع فقال : « اعلمى يا خولة انى سأقتل بهذا السيف رجلا
يزعمون انه اكبر رجل فى الاسلام ويقولون انه اقربهم الى الرسول » . قال
ذلك والشر باد فى عينيه واصفرار اللؤم يتخلل ما كان يحاوله من الابتسام .
اما انا فلما سمعته ارتعدت فرائصى واختلج قلبى وأظنه قرأ ذلك على وجهى .
كيف لا وقد ظهر لى انه يريد قتل الامام على . ولكننى أردت التثبت فقلت :
« ومن هو ذلك الرجل ؟ » . فقال : « الا تعلمين من هو ؟ الا تعرفين سبب
كل هذا الانقسام ؟ فاذا كنت لم تفهمى بعد فأقول لك انه على بن ابي طالب
الذى يدعوه أشياعه امير المؤمنين » . قال ذلك واحمرت عيناه وتجلى الغدر
فى وجهه وقال : « احذرى ان تبوحى بذلك لاحد ، والا اصابك جرح من هذا
السيف » . قال ذلك وهو يعزج الجذ بالهزل . اما انا فتحققت انه يقتلنى
ولا يبالى ، فالذى يجرؤ على قتل امير المؤمنين كيف لا يقتل فتاة مثلى . فلم
استطع جوابا وخفت اذا انا نطقت ان ينكشف امرى ، فسكتت وقد عولت
فى سرى على السعى لابلاغ امير المؤمنين ذلك على عجل ، لأن موعد القتل
قريب وأظنه فى ١٧ رمضان ، لانى كثيرا ما كنت أسمعُه يذكر هذا التاريخ
ويعرض بذكر الكوفة ، ولم اكن افهم مراده وقتئذ . واما الآن فقد تأكدت
انه عازم على قتل الامام على فى ١٧ رمضان ، ونحن الآن فى اواسط شعبان
واخاف ان ينال هذا الرجل بغيته قبل ان يبلغ الخبر عليا . آه يا ليتنى طير
لاحبل الخبر اليه »



نهض سعيد عندما سمع كلام خولة ، وجعل يخطر فى الغرفة ذهابا وايابا
والحمية ملء رأسه ، وندم على تركه الكوفة قبل ان يطلع الامام عليا ، ولكنه
تذكر انه لم يكن يعرف اسم المجرم الذى يريد اغتيال حياته ، فلم تكن ثمة
فائدة من اعلامه ، اما الآن فانه يذهب اليه بالخبر اليقين

وكان مع شدة اضطرابه بعد ان سمع حديث خولة لا يغفل عما يتجلى فى
وجهها من ملامح الجمال وما فى حديثها من صدق اللهجة ، وقد اعجبه منها
بنوع خاص غيرتها على الامام على ، فشعر بميل اليها . ولكنه تذكر عهده

لقطام وما يظنه من حبها له فراى الا يطلق لنفسه العنان في حب سواها .
على انه ما لبث ان عاد الى التفكير في عبد الله ومصيره وسبب وجود خولة في
ذلك البيت المنفرد . فقال لها : « لا أدري يامولاتى ما الذى ساقنى الى منزلك
حتى حظيت برؤيتك وسمعت هذا الحديث الذى جئت الفسطاط من
اجله . ولا أخفى عليك انى كنت عالما بعزم بعضهم على الفتك بالامام ، ولكننى
لم اكن اعلم اسم ذلك المجرم ، فجئت الفسطاط ومعى رفيق من ذوى قرابتى
كان قد سبقنى في صباح هذا اليوم الى مجتمع العلويين في عين شمس ، على
ان يعود الى بخبرهم ، فلما ابطأ سرت في الغره وأنا لا أعرف الطريق فضلت
في الظلام حتى اهتديت اليك لحسن حظى . ولكننى في قلق على رفيقى فانه
يلوح لى ان الفرسان الذين شاهدناهم الليلة كانوا قادمين من عين شمس ،
وربما قبضوا على انصار على هناك . . الا تظنين ذلك ؟ »

فقلت خولة : « لو صبرت حتى تنمة حديثى لكفيت نفسك مؤونة الظن ،
ويلوح لى انك تود الاطلاع على سبب وجودى منفردة في ذلك البيت المغلق ،
فاعلم انى لما سمعت حديث المرادى سكت وكظمت غيظى ، فخرج الرجل
واظنه شخص الى الكوفة ، ولبثت انا في حيرة لا ادري ماذا اعمل ، فقضيت
امسى في الهواجس والظنون ، وكلما تصورت عليا مقتولا بسيف هذا الغادر
يقشعر بدنى . وكان ابى يخرج الى حانوته في الصباح ولا يعود الا في المساء ،
وعندنا في المنزل عبد ربانى منذ حدائتى وهو يحبنى ويكرمنى ، وكنت قلما
اكلمه ، فخطر لى ان انتهر فرصة غياب ابى واكلم العبد عساه ان يطلعنى على
نبا جديد ، او لعلى افهم شيئا آخر . لان حديث ابن ملجم اتعبنى واقلق
راحتى ، وليس لى من اشكو اليه امرى ، او اكاشفه سرى . فخرجت من
حجرتى لادعو العبد فلم أجده ، فناديته باسمه فابطأ ولم يجب ، فنظرت من
الدار الى الطريق فرأيتة واقفا مع عبد آخر غريب وهما يتهامسان . فلما
رأنى خجل وأسرع الى ، فدخلت غرفتى ودخل هو فى اثرى وعلى وجهه آثار
الاضطراب كأنه سمع خبرا غريبا يريد ان يقصه على . فقلت : (اين كنت
وقد دعوتك فلم تجب ؟) . قال : (كنت مع عبد قادم من الكوفة في مهمة
سرية الى الامير عمرو) . فقلت : (وهل اطلعك على خبرها ؟) . فأراد ان
يبرهن على ثقته بى فقال : (انه اطلعنى على سر لا اظن احدا يعرفه فى كل
الفسطاط سوى الامير وبعض شرطته) . ثم اخبرنى ان ذلك العبد الذى كان
معه جاء الى الامير عمرو بأن انصار على يجتمعون سرا فى عين شمس يوم
الجمعة ، وان عمرا ارسل جندا للقبض عليهم او قتلهم فى ساعة الاجتماع .
فلما سمعت ذلك لم اتمالك عن البكاء لشدة الغيظ ، ورايت فرضا على ان
ابلىح المجتمعين ذلك الخبر ليحذروا . ولكننى لم اكن اعرف احدا اثق به فى
انفاذ هذه المهمة فعولت على الذهاب بنفسى ساعة الاجتماع . فأصبحت اليوم
وأنا انتظر خروج ابى الى حانوته ، لآتنكر وأسير الى عين شمس ، فلم يخرج

ورأيت مضطربا كأن العبد أخبره بالحديث ، وبأنه أطلعني عليه ، فخاف أبى أن أبوح به لأحد قبل القبض على المجتمعين . فلأزمني حتى الظهر ، ثم دعاني إلى الخروج من الفسطاط للنزهة ، فأتينا هذا البيت وهو بيت لشريك لنا في الفلاحة وليس فيه أحد ، فلم أظهر استفرابى ولم أقل شيئا لأنى كنت عالمة بأن أبى سيكون فى جملة الذاهبين إلى عين شمس فلا بد له من أن يتركنى ، فإذا تركنى خرجت وأنا على مقربة من المكان . وما علمت ما أضمره لى فإنه لم تكد الشمس تميل إلى الغروب حتى خرج متظاهرا بأن أمرا ما يدعو إلى الذهاب ، وادعى أنه أقفل الباب على خوفنا من الغرباء أو أبناء السبيل ، وهو يعلم أنى لا أستطيع النداء والاستنجاد لأنى إذا تظاهرت بنصرة الإمام كنت من المغضوب عليهم ، فظللت هناك حتى جئت أنت ورأيتنى فى هذه الحال . فلاشك أنهم قبضوا على زميلك فى جملة من قبضوا عليهم من الانصار .

قال سعيد : « هل ترين بأسا عليه ؟ »

قالت : « أظنهم يسجنونه ليستجوبوه ، ثم إذا رأوا قتله قتلوه ، وكذلك يفعلون برفاقه . ولكن لا بأس عليه بأذن الله وسنتدبر أمره . على أنى أخاف إذا عاد أبى ولم يرنى فى البيت أن تزيد نقمته على ، فأرى أن أذهب إلى منزلنا فى الفسطاط ، واتظاهر بأنى خفت من البقاء فى البيت وحدى ففتحت الباب بأسلوب ما واتجاهل كل ما حدث ، فماذا أنت صانع ؟ »

قال : « أود أن أسرع إلى الكوفة لأرى ابن ملجم فأقنعه بالعدول عن جريمته ، أو أخبر الإمام عليا »

فبادرته قائلة : « وكيف تقنعه وهو لا يقنع ، بل قد يسرع فى القتل ؟ ليس أفضل من أن تطلع الإمام عليا على الأمر وهو يرى ما يراه »

قال : « وكيف أفعل برفيقى هل أتركه فى السجن ؟ »

قالت « أخاف إذا تأخرت هنا أن تفوت الفرصة والمسافة من هنا إلى الكوفة بعيدة ، وانى لأعجب منك كيف كنت عالما بخبر هذه المؤامرة ولم تخبر بها عليا وأنت فى الكوفة ؟ »

فتنهده وقال : « كفى السلام فقد وقع ما وقع ، وكنت أظن الكتمان يعد المصيبة ، وفاتنى أن أخبرك بأن المؤامرة ليست على مقتل الإمام على فقط ، بل هى كذلك على مقتل عمرو ومعاوية أيضا . وقص عليها الخبر موجزا



استغربت خولة الخبر وقالت : « مالنا ولهذين ؟ اننا نريد الدفاع عن الإمام على الآن ، ولكننى لم أفهم كيف انتقل خبر قدومكما إلى هنا وأنت تقول أنه كان سرا مكتوما لم يطلع عليه أحد »

فكاد سعيد يسيء الظن بقطام ، ولكن الحب اعمى بصيرته فانتحل سببا آخر وقال : « لا ادري » . وخطر له ان يقص حديثه مع قطام ثم أمسك عن ذلك حفظا لعهداها ، ولا عجب فهو سليم النية لا يعرف الدهاء ، ولهذا لم يطلق لعواطفه الحرية في حب خولة ، مع ما آتسه فيها من جمال وكمال وتفان في نصره الحق

على انه ادرك خطاه في كتمان خبر المؤامرة عن علي الى ذلك الحين ، ولكنه حمله على اهمال من قطام لا على سوء قصدها ، ومع ذلك فقد رأى الامر سهل التلاقي ولا يزال ثمة باب مفتوح لانقاذ علي بابلاغه خبر المؤامرة ، وهذا يدعو الى السفر السريع ، وهو لا يعلم ما آل اليه حال عبد الله فقال لها : « انى عازم على الكوفة في اقرب وقت ، فما الذى افعله برفيقى وانا لا ادري آتى هو أم ميت ؟ »

قالت : « غدا نعرف الحقيقة ، دعنى اذهب الان الى منزلنا بالفسطاط ، وامكث أنت هنا الى الصباح »

قال : « كيف استطيع البقاء هنا وحدى ولا صبر لى علي استطلاع خبر عبد الله ، فأرى ان ادخل الفسطاط واطردد الى المسجد ، اذ لا يعرفنى احد هناك ، فاما ان اسمع خبرا ممن يفد على المسجد من المصلين أو تبعثى الى بالخير »

قالت : « لك الخيار في ذلك » . ونهضت فنهض وخرجا فرافقها الى قرب منزلها وودعها وعاد يلتمس بيت الغفارى للمبيت وهو لا يدري ان الرجل في عداد المقبوض عليهم ، وقد أصبح بيته موضع شبهة ولم تكن خولة تعلم ذلك أيضا

وكان الجند بعد القبض على المجتمعين قد ساقوهم في الأغلال الى السجن ، وكان عمرو ينتظرهم في داره فلم يصبر الى الصباح وأمر باستقدامهم اليه واحدا واحدا ، فرأى بينهم جماعة ممن لم يكن يخطر له انهم على غير دعوة بنى أمية خصوصا الغفارى . ولما وصل الى عبد الله عرف انه من بنى أمية وعرف قرابته من أبى رحاب ، ولكنه تجاهل ذلك ، وأمر بأن يسجن كل منهم في حجرة على حدة ، وبعث جندا يفتشون منازلهم ويقبضون على من فيها من الرجال لعلهم يطلعون على شيء جديد ، ولم تمض ساعة حتى دهم الجند منازل العلويين وأخذوا ما فيها



لما ذهب سعيد الى بيت الغفارى سأل عن صاحبه فقالوا له : انه خرج منذ الظهر ولم يعد . فلم يخطر له انه في عداد المقبوض عليهم ، فدخل

الحجرة التي وضع فيها ثيابه وحاول ان ينام ، ولم يكذب يلقى رأسه على سريره حتى تراكت عليه همومه فأخذ يفكر في عبد الله وماذا عسى أن يكون أصابه ، وخاف ان هو أبطأ في الذهاب الى الكوفة أن ينفذ ابن ملجم جريمته فيذهب سعيهم عبثا

وفيما هو في هذه الهواجس وقد طار نومه سمع لغطا في الدار ، ثم علت الضوضاء وضج الناس فوقف وتسمع فاذا برجال عمرو قد دخلوا المنزل واوغلوا في النهب وأذوا كل من تعرض لهم فأيقن أنهم آتون الى حجرتة ، وسيفتكون به ، فتقلد حسامه والتفت يمينا وشمالا لعله يجد مخرجا ينجو منه فسمع صوتا يناديه من وراء الحجرة فاستأنس بالصوت وعرف انه صوت خولة ، ولم يكن له سبيل الى رؤيتها غير نافذة عالية يشرف منها اذا صعد على مرقاة ، فاحتال في الصعود اليها واطل وكان الظلام حالكا ولكنه رأى شبعا وسمع صوت خولة تقول له : « انهم سيفتكون بكل من في المنزل ، فاليك هذا الخمار والجلباب فالبسهما وافتح الباب واخرج ، وسيظنونك امرأة فلا يتعرضون لك » . فمد يده وتناول الخمار والجلباب فارتداهما وهو يرتعش مخافة ان تفاجئه الشرطة قبل خروجه

فلم يكن الا كلمح البصر حتى فتح باب الغرفة وخرج بزى امرأة فرأى الضوضاء على أشدها ، ولم يتعرض له أحلم في ابان النهب ، فمشى الى الشارع وراء البيت فرأى خولة واقفة فلم يتمالك عن الاعجاب بشهامتها والاقرار بفضلها برغم دهشته وبغتته . ثم رآها تمشي امامه فاقتفى خطواتها حتى وصلا الى مكان منفرد فوقفت وقالت له : « الحمد لله على سلامتكم وسلامة الامام علي » . فلم يفهم مرادها فابتدرته قائلة : « لا تعجب لقولي فان حياة الامام علي تتوقف على حياتك اذ ليس هنا من يعلم الخطر الذي يتهدهه سواك . نعم انى انا اعرفه ايضا ولكننى لا ارانى استطيع الذهاب ولا آمن على السر احدا »

فقال : « اما انا فلا مطمع لى في الحياة الا بانقاذ الامام من القتل وانت صاحبة الفضل ، ولكن كيف عرفت بالخطر المحقق بى حتى جئت بهذه الحيلة »

قالت : « علمت من أبى ان عمرا أمر بنهب منازل العلويين والقبض على من فيها من الرجال ، واخيرنى ايضا ان الففارى كان من المقبوض عليهم ، وقد علمت انك مقيم بمنزله فجئت اليك بهذه الحيلة . فالحمد لله على سلامتكم »

فشعر سعيد بفضل خولة واحس بميل اليها ولكن حبه لقطام مازال غالبا على قلبه لا يترك له سبيلا الى سواها

وبعد التأمل برهة قال : « وما العمل الآن ؟ انى عازم على الكوفة عاجلا ، ولكننى لا أدري ما ألم بعبد الله ولا ما يؤول اليه حاله . هل علمت شيئا عنه ؟ » فتشاغلت خولة عن الجواب باصلاح ثوبها كأنها تحاول اخفاء ما تعلمه ،

فظنها لم تسمع كلامه فأعاد السؤال . فقالت : « لا يعلم المستقبل الا الله ؟ »
فلم يعجبه جوابها فقال : « افصحى عما تعلمينه ياخولة »
قالت : « ان عمرا امر بقتل العلويين في فجر هذا الصباح ولكن من يدري
ماذا حدث ؟ »

فاختلج قلب سعيد ايما اختلاج ، وشعر كأنما صب عليه الماء الساخن ،
وقال : « ماذا تقولين ؟ هل يقتلون عبد الله ؟ كيف يكون هذا ؟ »
فقالت : « دع الامر لله واعذرني . انى لا استطيع البقاء معك طويلا لئلا
يفطن أبى لغيابى فلا انجو من القتل . واما انت فحياتك في خطر عظيم ،
فاخرج من الفسطاط حالا »

فابتدرها قائلا : « كيف اخرج واترك عبد الله يقتل ؟ انه ابن عمى واعز من
اخى . كيف العمل ؟ »

فقالت له : « لآخيرة في الواقع ، فان شرا واحدا هون من شرين ، والوقت
ضيق لاجال فيه للسعى أو البحث عن سبيل لاتقاذ حياة عبد الله اذا قدر الله
قتله ، ونحن الآن في منتصف الليل وسينفذ القتل عند الفجر » . قالت ذلك
وسكنت هنيهة

فابتدرها سعيد قائلا : « ما قولك في ان اقابل ابن العاص ، وانبئه بعزم
بعض الناس على قتله واحذره من الوقوع في الخطر ؟ الا تظنينه يعفو عن قتل
عبد الله مكافأة على هذا الجميل ؟ »

قالت : « ربما عفا ، ولكنه لدهائه ولقسوته قديظن في قولك السوء فيقبض
عليك ويؤجل قتل عبد الله حتى ١٧ رمضان ، فاذا لم يظهر صدقك قتلكما
معا . فهل انت واثق من مجيء المتآمر على قتل عمرو في ميعاده ، حتى
لاتكون النتيجة زجك بنفسك في التهلكة ؟ اترك هذا الامر لى فلعلني اهتدى
الى وسيلة اذهب بها الى عمرو واطلعه على هذا السر ، فاذا رأى ان يقبض على
فليفعل والله الامر . اما انت فسر الى الكوفة قبل فوات الفرصة لأن الوقت
قصير ، ووقتي الآن اقصر منه . والان دعنى اذهب الى أبى قبل ان يعلم
بغيابى فيعرق مسعاى ، واقصد انت الى الدير الذى كنا فيه في اول هذا
الليل وسأتيك بالخبر . ولاتنس ان تنزع النقاب والازار وادخل بثوب الرجال
فرئيس الدير يعرفك فلا يسىء بك الظن » . وانصرفت مسرعة الى منزلها
وهو يود لو أنها لاتفارقه



مشى سعيد وهو مضطرب قلق لا يدري الى اين يسير فاذا به قد خرج من
الفسطاط ووصل الى حافة ترعة ظنها لأول وهلة نهر النيل . ثم رأى ضيقها

فعلم انها خليج . وكان الظلام حالكا فوق برهة يفكر في عبد الله ومصيره
والخطر المحدق به فازداد قلقا

وظل واقفا مشردا ذهن وحانت منه التفاتة فرأى بالقرب منه نخلة
فجلس على حجر تحتها وأسند ظهره اليها وجعل يسبح في بحر خياله
ومصائبه . فتذكر قطام وعودها وما من له معها من الاحداث . وكان الجو
هادئا لا يكدره الا تقيق الضفادع على شاطئ الخليج فتشأم وخيل اليه ان
عبد الله قد مات ، فرجف وجلا وقال في نفسه : « أبقى أنا هنا وعبد الله في
الخطر الشديد ؟ ماذا تكون حاله مع عمرو ؟ . أبقته أم يستبقيه ؟ وماذا
أعمل : هل أبقى في الفسطاط لأنقذه من القتل ؟ أم أسير الى الكوفة لأنقاذ
الامام علي ؟ ولكن ما الفائدة من بقائي هنا وابن العاص قد أمر بقتل عبد الله في
صباح الغد ؟ لابد من المبادرة الى انقاذه » . قال ذلك ومشى محاذيا للخليج
جنوبا وهو ينظر اليه ، فتذكر انه خليج امير المؤمنين وقد حفره عمرو بن العاص
لما فتح مصر منذ عشرين عاما لارسال المؤونة فيه الى الحجاز تلافيا لما كانوا
يخافونه من القحط هناك . وكان قد حفره باشارة الخليفة عمر بن الخطاب لما
كانت الخلافة في المدينة ، فتذكر حال الاسلام في ذلك العهد وما كان فيه من
اجتماع الكلمة وما فتحتة سيوف المسلمين من البلاد الواسعة في الشام
ومصر والعراق في بضع عشرة سنة . وكيف تحولت تلك السيوف بعد مقتل
الخليفة عثمان الى الفتنة فانقسم المسلمون فيما بينهم ، وشغلوا عن تثبيت
ملكهم بالحروب الاهلية حتى أصبحوا يقتلون خلفاءهم ويتهمونهم تهما ما أنزل
الله بها من سلطان . واقبح ما آلت اليه الفتنة تأمرهم على قتل امرائهم ،
ولا سيما الامام علي وهو ابن عم الرسول وخيرة قواد المسلمين ، ولا ذنب له
غير العمل على تأييد الكتاب . فلما تصور تلك الحال انقبضت نفسه وحزن
حتى كادت تخنقه العبرات وهو لا يدري أيكى عبد الله أم يبكى الاسلام أم
يبكى الامام عليا أم يبكى سوء حظه الذي قاده الى الفسطاط فوق فيما هو فيه ؟

وكانما اعترته هزة من الحماسة فوقف على الخليج وجعل يناجيه قائلا
« ايها الخليج ، أليس امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، هو الذي أشار بحفرك
قل لي بمائك الذي يجري فيك هل علم ابن الخطاب لما اذن بذلك ان دولة
الاسلام سيقضى عليها بالانقسام حتى يحمل عامتهم على خلبتهم ليقتلوه .
ثم يختلفوا على الخلافة ليقتسموها ، ثم يختصموا على اقتسامها ؟ . هل خطر
لابن العاص يوم نزل وادي النيل وحاصر هذا الحصن المنيع حصن بابل انه
سيجرد سيفه على المسلمين ويقتل ابن أبي بكر حرقا بالنار ، ثم ينقم على
ابن عم الرسول فيخرج الخلافة من يده بالحيلة ؟ . اين هو عمر جامع كلمة
المسلمين ؟ . كانت المدينة مقر الخلافة في عهده فأصبحت منقسمة على نفسها
يدعيها غير أهلها . . رباه ما هذه الحال ؟ ياليتنى مت قبل هذا . هنيئا لك
يا ابا رحاب ان عظامك ساكنة في النراب وروحك تنتظر لقاء ربها يوم الحساب

أما أنا فاني تائه بعدك تتنازعي عوامل لا أدري مصدرها ولا أعلم مصيرها ،
أبقى هنا لأرى مصير اخي عبد الله ؟ أم أسرع الى الكوفة لانبىء الامام بما
تأمروا به عليه ؟ . ولكن ما الفائدة من بقائي ؟ هل يعفو عمرو عن عبد الله
فيبقى حيا فأراه ؟ ما أظنه يفعل ، وما أظن اننى أستطيع الدفاع عنه ؟ »

ثم تذكر خولة فقال : « آه ياخولة ، يخيل الى انك ملك كريم ارسلك الله
لترشدني الى سواء السبيل . . فهل يتم السعد على يدك وتنقذين عبد الله
من القتل ؟ »

وفيما هو في ذلك يمشى الهوينى على ضفة الخليج ، سمع لغطا وحركة عن
بعد ، فأجفل وتقدم نحو الصوت وهو يحدق بنظره ، فعلم انه بجانب فم
الخليج عند اتصاله بالنيل ، ورأى في النيل سفنا كبيرة وسمع دويًا عميقا كان
لصوصا يهمسون فيما بينهم ويحاذرون ان يسمعون احد . وكان ما زال
لباس النساء فخاف ان يراه احد فينكشف امره ، فانزوى وراء جزيرة كبيرة
يقرب الشاطئ ، ثم تسلق احد فروعا واختبأ بين الاغصان والاوراق مبالغة
في الحذر حتى اذا استقر على غصن غليظ جعل يتفرس فيما يراه فاذا هناك
بضعة وعشرون رجلا يحيطون بأخرين في مثل عددهم كأنهم أسرى مغلولون
يساقون الى قارب كبير ، وسمع بعضهم يقول : « الى اين انتم ذاهبون بنا في
هذا البحر ؟ لعلكم تريدون اغراقنا ؟ » . فشجبه احدهم قائلا : « وما علينا
اذا اغرقناكم ، وانتم عصابة شريرة تأمرتم على نصره رجل قتل الخليفة عثمان ؟ »
فصاح آخر : « اهذه اعمال ابن العاص ، يقتل الرجال غيلة ؟ . اما كفاه انه
طلب الخلافة لصاحبه بالحيلة حتى يقتل نصراء الحق غرقا ؟ . . اما تخافون
الله ؟ الا تخافون يوم القيامة ؟ »

فصاح به آخر وقال : « لاتخف اننا امرنا بنقلكم الى جزيرة الروضة تبقر
فيها اياما » . ثم علت الضوضاء فعلم سعيد انهم أنصار على الذين قبض
عليهم تلك الليلة في عين شمس . فظن ان ابن العاص اشار بقتلهم غرقا في
النيل ، فارتعدت فرائصه حتى كاد ان يقع ، وحدثته نفسه ان ينزل لنصرتهم ،
ولكن الخوف غلب عليه فانه اعزل وهم عصابة كبيرة بالسلاح ، فلبث برهة
كأنها سنة وهو يرتجف غضبا ، وتسمع لعله يسمع صوت عبد الله او يراه
فلم يسمع شيئا ولم ير شيئا ، وما هي الا دقائق معدودة حتى احتوى القارب
القوم ثم أداروا الدفة وهو ينظر اليهم وقد ندم على سكوته وود لو انه أظهر
نفسه لعله يستطيع نجدة أولئك المظلومين او يقتل . ثم تذكر ان في بقائه حيا
نفعا للامام على ، فمكث برهة كأنه في حلم يتردد بين الندم والاسف حتى
توارت السفينة عن بصره فأيقن ان عبد الله ملاق حتفه وسيذهب ومن معه
طعاما للأسماك

واشتد اضطراب سعيد وهو اجسه ، ثم بكى ونزل من الشجرة وهو يندب

عبد الله ويوبخ نفسه لضعفه وتردده قائلاً : « أرى عبد الله يساق الى القتل ولا أنصره ؟ يا للجبين ويا للخيانة ! . وكيف أتخلى عن رجل ذهب ضحية حبه لي ، فانه لو لاى لم يأت الى هنا ولا رأى ما رآه من الشقاء . . فما الفائدة من حياتى الآن انى لا أستحق البقاء ولا بد من ان القى نفسى فى هذا الماء لعلى القى صديقى عبد الله » . قال ذلك وهم بأن يلقي نفسه فى النيل فشعر بقوة خفية أوقفته بغتة ، وفكر فى الامام على وما يحدث به من الخطر فقال : « اذا قتلت نفسى فانما اقتل عليا معى . نعم اقتله لانى اذا لم اذهب الى الكوفة وأنبئه بعزم ابن ملجم ذهب قتيلاً بذلك السيف المسموم . آه ياخولة أين وعدك بانقاذ عبد الله ؟ . . ولكن ما ذنبك وانت لاتعلمين انهم سيسرعون فى القائه فى اليم قبل الصباح . . هذا دهاء ابن العاص ومكره . ولكنه سوف ينال جزاءه من اولئك المتآمرين . . ليتنى انبأته بالمؤامرة وجعلتها فدية لعبد الله . ولكن قضى الامر ولا خيرة فى الواقع »

ثم سكت وجعل ينظر فيما حوله وقلبه لا يطاوعه على التطلع الى اتجاه القارب . فأراد ان يعود الى المكان الذى أتى منه فرأى شبحاً مسرعاً نحوه فخاف وتهاياً للقتال اذ رآه يقترب منه . فلما اقترب الشبح اذا هو امرأة فعجب لقدومها وحدها فى ذلك الليل ولكنه ما كاد يتفرس فى قيافتها حتى علم انها خولة ، فخفق قلبه وغلب الخجل عليه لما رآه من جراتها واقدامها ليلاً وهى فتاة لا يحملها على القدوم الا السعى فى انقاذ عبد الله . فحدثته نفسه ان يختبئ خجلاً ، ولكن المفاجأة أذهلته فدنا منها وناداه . فلما عرفت صوته صاحت : « أين عبد الله ؟ »

فأراد ان يجيبها فاختنق صوته وسبقته العبرات

فدنت منه وهى تقول : « سعيد ، هل رأيت أحداً جاء الى هنا ؟ وما الذى جاء بك أنت ؟ »

قال : « رأيت الشرطة يحملون الاسرى فى قارب »

قالت : « واين هم ؟ اين ذهبوا بهم ؟ . . هل رأيت عبد الله معهم ؟ »

قال : « أخذوهم فى القارب ، ولا أدري اذا كان عبد الله معهم أم لا ، لانى لم أسمع صوته ولا رأيت »

- فدقت يدا بيد وقالت : « لابد من ان يكون معهم . آه ما الحيلة الآن ؟ ما كنت أظن ابن العاص يعجل بقتلهم هكذا . . ولماذا لم تحاول الدفاع عنهم ؟ »

فقال والاعتذار والخجل يتنازعانه : « لم أكن أعلم ان عبد الله معهم ، وهبى انى علمت فكيف أستطيع انقاذه وأنا أعزل وهم جماعة مسلحون ؟ »

فصمتت خولة ثم قالت : « حسنا فعلت فأبقيت على نفسك لانقاذ الامام على ، لان حياته موكولة الى الاسراع فى رجوعك »

فقال بلهفة : « وانت ما الذي جاء بك وكيف عرفت أمرهم ؟ »
قالت : « علمت ذلك من عبدنا ، وكنت قد أعددت حيلة أدخل بها على عمرو
لاستمهله في أمر عبد الله باطلاعه على سر المؤامرة ، فعلمت انه بعث بهم هذه
الليلة لالقائهم في النيل حذر الفتنة ان هو قتلهم جهارا ، وهو يعلم كثرة
انصارهم في الفسطاط . فأسرعت لعلى اسنطيع انقاذ عبد الله ولكن لم
يسعفنى القدر . . واأسفاه عليك يا عبد الله . آه من أهل الظلم . ان ابن العاص
غلب عليا بحيلته فأخرج الخلافة من يده لسداجة أبى موسى الأشعري ولكنه
ان ينجو بنفسه من غائلة المؤامرة »

ثم دنت من سعيد وقالت : « ان فقد عبد الله مصيبة علينا لانه شوم
وسيدهب ضحية مروءته ، على اننا نرجوان نعتاض عن فقدته بانقاذ الامام على
من خطر القتل ، فاركب الى الكوفة على عجل وتعم المهمة التي حثت من اجلها .
فها قد عرفت اسم المتآمر ، وانه سار الى الكوفة فأسرع ما استطعت قبل
فوات الفرصة »

وكان سعيد مع شدة تأثره بما رآه تلك الليلة من الاحوال لا يفغل عما أبدته
خولة من الحمية والشجاعة فازداد حبا لها واعجابا بشهامتها ، وفيما هو يفكر
في ذلك ابتدرته قائلة : « اعلم يا سعيد انى خرجت الليلة من بيت أبى مجازفة
بحياتي وانا احسبك في الدير كما تواعدنا ، وكنت عازمة على الذهاب لاحتك
على السفر ثم اعود الى أبى وانتحل له سببا لخروجه . أما وقد التقينا هنا
فانى أستودعك الله وأرجو منك أن تسرع في الذهاب ، وسأرسل اليك جملا مع
عبدنا ليسير في ركابك الى الكوفة »

فأعجب سعيد بحسن تدبيرها ورباطة جأشها ، ورأى نفسه ضعيفا بين
يديها ولم يستطع مخالفتها فقال : « سيتبين لنا الخيط الأبيض من الخيط
الأسود قريبا وها انذا ذاهب الى جبل المقطم ، فهل يوافيني عبدك وملك
الى هناك ؟ »

قالت : « انه سيوافيك حتما . سر بحراسة الله واحذر ان تفوتك
الفرصة . ان ابن ملجم قد سبقك الى هناك . . هل علمت ذلك ؟ » . ومدت
يدها اليه فصافحها ويده ترتعش وقد نسي نفسه لحظة ، ثم ما هو
بسبيله ، فأخذ يودعها وقلبه يضطرب حبا لها ، واعتزم . وبين
نفسه اذا نجح في مهمته ان يطلق لقلبه العنان في التقرب من خوله . قال لها :
« أمل ان تذكرينى وتدعى لى بالتوفيق »

قالت : « اذهب فانى معك بقلبي وان لم ابرح الفسطاط ، وأرجو ان نلتقى
يوم ينجو الامام من أيدي الظالمين وينال ما يستحقه من الاستئثار بالخلافة »
ثم ودعته وألحت عليه في الاسراع في السفر ، وأكدت له ان عبدها سيلاقه
ومعه الجمل وراء المقطم ، ثم توجهته الى الفسطاط

فلما تركته وحده أدار وجهه الى النيل حيث كان القارب ، وتأوه وتحسر
 وقال : « أستودعك الله ايها الصديق الحميم ، أستودعك الله ايها الأخ الحبيب ،
 هيينا لك ذهابك ضحية في سبيل نصره أمير المؤمنين فستلقى ربك باسم
 مفتخرا ، فادع لي أن ألقاه أنا أيضا منتصرا على القوم الظالمين »
 قال ذلك واتجه نحو جبل المقطم ، ولم يدركه حتى انبلج الصبح ، فلقى
 العبد قد سبقه الى هناك ومعه الجمل وسائر معدات السفر



فلنتركه سائقا ظنه يطوى البيد طيا ، ولنعُد الى قطام بالكوفة وما كان
 من دهائها ومكرها بعد سفره . وكانت قد أرسلت عبيدها الى الفسطاط
 للوشاية بسعيد وعبد الله ثم خلت بلبابة فقالت لها : « لقد تمت لنا الحيلة في
 قتل هذين المفرورين فانهما مقتولان لا محالة . وبقي علينا أن نعلم من هو
 المتآمر على قتل علي ، فاذا عرفناه شجعناه على قتله وساعدناه »

فضحكت لبابة وقالت : « انه لأمر سهل ، فان عبدك ريحان ماهر داهية
 أخذ عن سيده ، ولا نظنه الا عائدا الينا بالخبر اليقين ، وأما تحريض المتآمر
 على القتل فهو أسهل ، ولا سيما اذا رأى هذا الوجه الجميل فيفتن به لا محالة ،
 فما عليك حينئذ الا أن تعديه بالزواج وتجعلى قتل علي مهرا لك فما قولك؟ »
 فقالت قطام : « بورك فيك يا خالة ، أما وعده بالزواج فأمر سهل على .
 ولا نظننا نحتاج في البحث عن ذلك الرجل الى مشقة فانه اذا دنا الميعاد
 المضروب لا بد قادم الى الكوفة ، واذا جاءها فلا بد من أن يطلع أحدا من أهلى
 على عزمه لعلمه اننا على دعوته . فاذا عرفناه هان على كل عسير »

ولم يهل شهر رمضان حتى تحدث أهل الكوفة بتوقع حادث فظيع يخشى
 منه على حياة أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وكان الناس يتداولون الخبر
 همسا ولا يعيرونه اهتماما لعدم نهوض الدليل من شاهد أو عارف للقاتل
 المنتظر ، فضلا عن علم العقلاء أن أمثال تلك الاشاعات تروج في مثل ما كان
 فيه الامام على يومئذ . ولم يفت الامام وحاشيته شيء من تلك الاشاعة ،
 ولكنهم لم يعبأوا بها وأخذها أهله وأصحابه على انها اشاعات ينشرها ذوو
 الأغراض . هذا مع العلم أنك قلما ترى حادثا فظيما لم تتقدمه الاشاعات
 المنبئة بقرب وقوعه . ومهما يكن من الأمر فان أهل الكوفة كانوا ينحدون
 بلاء يتوقعون نزوله بأمير المؤمنين ولكن اكثرهم كانوا لا يكثرثون

ومضت أيام من شهر رمضان ، فتلفتت قطام لعرف من هو المتآمر على
 قتل الامام على بتنصره أو تحرضه . فلما اقترب نصف الشهر ولم يأت
 أحد ولا سمعت بأحد ظنيت المتآمرين قد رجعوا عن عزمهم تهيبا وورفا .

واستبطات عودة عبدها ريحان ، وكانت في انتظار قدومه لعلها تسمع منه شيئاً عن المؤامرة ، ولكن تسأله عما آلت اليه حال سعيد وعبد الله . على أنها لم تكن تشك في وقوعهما في الفخ

ولما كان الخامس عشر من رمضان وقطام في بيتها ومعها لبابة سمعتا قرعاً بالباب ، فنهضت لبابة فسمعت جعجة جل عرفت أنه جل ريحان فأسرعت إلى الباب ففتحته ودخل ريحان فقبل يدها وهو ما زال بلباس السفر ودخلت إلى غرفة سيدته . فلما رآته ابتسمت له ابتسامة عوضت عليه كل شقائه . فتقدم لتقبل يدها وهو مشرق الوجه إشارة إلى نجاح مسعاه . فقالت : « انى اقرأ آيات البشر على وجهك رغم سواده ، فاقصص على تفصيل ما قمت به من آيات الدهاء والمهارة »

فقال وهو ينفذ الغبار عن لحيته ووجهه : « ركبت إلى الفسطاط فوصلت إليها يوم الخميس قبل وصول سعيد وعبد الله بيوم ، فسرت نوا إلى الأمير عمرو بن العاص ، وقصصت عليه خبر القادمين وان في الفسطاط جماعة من أنصار على يجتمعون في عين شمس كل جمعة . فأمر رئيس شرطته أن يتأهب لمداهمتهم ، وخفت أن يهاجوا المكان قبل وصول سعيد وعبد الله ولكنهما وقعا في الفخ ، فانهما ذهبا إلى الجمعية وقبضت الشرطة عليهم جميعا ، ولكننى لم أر سعيدا في جملة الأسرى »

فابتدرته قطام قائلة : « هل قبضوا على كثير من الأنصار ؟ »

قال : « قبضوا على نحو عشرين وعبد الله معهم »

قالت : « وسعيد ؟ »

قال : « لم أراه ، واظنه تأخر عن الاجتماع فلم يشهده فنجنا بنفسه »

قالت : « وماذا فعلوا بالأسرى ؟ »

قال : « ساقوهم إلى النيل وأما توهم غربا في الليلة التي قبضوا عليهم فيها »

فأشرق وجه قطام ، ثم انقبض بغتة ولبابة تنظر إليها كأنها تلند بالتأمل في ملاحظها . فلما رأتها انقبضت همت بها وقالت : « ما بالك ، ما الذى كدرك ؟ »

قالت : « ان سعيدا ما زال جيا فأخاف أن يعرقل مساعينا »

قالت لبابة : « لا خوف منه لأنه كما تعلمين سلس القيادة تنطلى عليه الحيلة بسهولة . وأما عبد الله رفيقه فقد رايت فيه دهاء وكره فالحمد لله على نجاتنا منه »

قالت : « صدقت ولكن سر المؤامرة عند سعيد فأخاف ان يجيء ويطلع عليا عليها فيحتاط لنفسه فيذهب سعينا هباء منثورا »

فأطرقت لبابة برهة ثم التفتت الى ريحان وقالت : « هل عرفت الرجل المتأمر على قتل علي ؟ »

قال : « علمت أنه من بنى مراد واسمه عبد الرحمن بن ملجم »

فبغتت لبابة وصاحت : « ابن ملجم . . ؟ لقد هان الأمر »

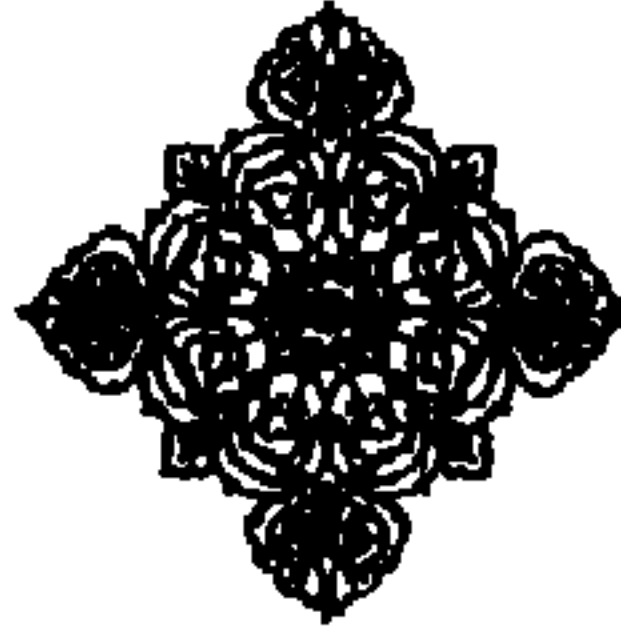
قالت قطام : « وهل تعرفينه ؟ »

قالت : « أعرفه جيدا ، وهو جرىء لا يصلح لمثل هذا العمل أحد سواه ، فاذا كان هو الرجل فقد نلنا المرام فانه مغرم بالحسان ويتفانى في سبيل مرضاتهن » . ثم أدنت فمها من أذن قطام وقالت : « لا شك انه اذا رآك وقع في هواك » . ثم التفتت قطام الى ريحان وقالت : « هل رأيته قبل مجيئك ؟ »

قال : « لا ولكنني سمعت أنه قدم الكوفة يوم وصولي الى الفسطاط . وقد كنت اظنه زاركم لأن حزبنا في الفسطاط يعلمون كرهنا لعلی ، وسعينا في اخراج الأمر من يده »

فقالت : « بالله سر الى عشيرتي وابحث عن الرجل واثنتي به ، وحاذر ان يدرك أنك قادم من قبلي »

وخرج ريحان فتبعته لبابة الى حديقة البيت فوقفت به في ظل نخلة وهمست في أذنه قائلة : « اذا لقيت الرجل فقل له ان خالتك لبابة هنا وهي تريد ان تراك لامر ذي شأن ، واستعجله واذكر له اني مقيمة بمنزل سيدتك قطام ، واحتل في حديثك لتفهمه ما عليه سيدتك من الحسن والجمال وانى قد امهد له للزواج بها . وانت فطن لبق تحسن تصريف الأمور » . فهرول ريحان ذاهبا



لبابة وابن ملجم

عادت لبابة الى قطام مسرورة مبتسمة تقول : « لا ريب اننا فزنا بمرامنا،
وقلبي يحدثني بأن عليا سيقتل ويشفى غليلنا منه على أهون سبيل »
أما قطام فظلت صامته مقطبة الحاجبين كأنها تفكر في أمر ذي بال . فسألتها
لبابة : « ما بالك يا قطام ما الذي حدث فأوجب هذا الاهتمام ؟ »
قالت : « انى خائفة يا خالة »
قالت : « ما الذي يخيفك ؟ »

قالت : « انى خائفة من سعيد فقد قال لنا ريحان انهم لم يقبضوا عليه
في الفسطاط ، ولا يبعد أنه عرف اسم ابن ملجم والميعاد المضروب لتنفيذ
المؤامرة ، فيأتى بالخبر الى على ، وتذهب مساعينا وجهدنا عبثا »
فقلت لبابة : « وما الراى يا بنية ؟ »

فقلت : « لا بد لنا من تدبير الأمر بالحكمة وتدارك الأمر قبل وقوعه »
قالت : « فما الراى ؟ »

قالت : « أرى أن نسعى في منعه من الذهاب الى على . فقد يتراءى له
أن يسير اليه حال وصوله الى الكوفة »

قالت : « هذا سهل فاننا نبعث ريحان لينتظره في مكان خارج الكوفة
لا بد له من المرور فيه ، فاما أن يؤخره عن دخول الكوفة واما أن يدعوها اليها
بحجة اشتياقك الشديد اليه ! ولا أشك انه اذا سمع بشوقك نسي كل شيء
وطار اليك . ومتى جاءنا استبقيناها اما طائعا او مكرها . ما قولك ؟ »

قالت : « أرى راىك ، ولكننا الآن في الخامس عشر من رمضان ولم يبق الا
يوم واحد على الموعد المضروب ، فلا بد من المبادرة بارسال من يوقفه خارج
الكوفة او يستقدمه اليها ، وريحان خرج في مهمة الى اهلى وقد يبطل »

قالت لبابة : « دعى هذا الى . ها انذا ذاهبة في اثر ريحان فأبعثه الى
خارج الكوفة ، وأبحث عن ابن ملجم بنفسى وذلك سهل على لاني اعرفه » .
قالت ذلك وتبرقت وتناولت عكازها وخرجت تعدو عدو الشباب

وخلت قطام الى نفسها وتأملت ما هى فيه من الصعاب وراجعت في
مخيلتها ما دبرته من الحيل في سبيل قتل الامام على ، فرأت أنها أحسنت

بارسال ريحان ، فانه اذا نجح في تأخير سعيد ، ونجحت لبابة في استقدام ابن ملجم ، وفازت هي باغرائه وتشجيعه ، نالت بغيتها وانتقمت لاييها وأخيها . ولما تصورت وقوع ذلك ارتاحت نفسها ، وهون عليها حبها للانتقام وما جبلت عليه من المكر ، تأنيب الضمير على جريمتها . ثم عملت ذهنها فوجدت أنه ينقصها احتياط واحد لا بد من تداركه . وذلك ان سعيدا قد لا يلتقى بريحان لاختلاف في الطريق أو ربما التقى به ولم يصغ الى قوله وقصد فوراً الى الامام على فأطلعه على سر المؤامرة . فلما تصورت ذلك خفق قلبها واضطربت ونهضت وجعلت تمشي في غرفتها ذهابا وايابا وتخرج منها الى الغرفة الاخرى وهي تترقب عودة لبابة ليتداولوا في الأمر معا وندمت على ارسالها قبل أن تظن لهذا الأمر

وزاد قلقها فخرجت الى حديقة النخيل وكانت الشمس قد تكبدت السماء وانحسرت الظلال وانفق وقوع شهر رمضان في تلك السنة (٤٠ هـ) في ابان الشتاء لأنه يبدأ في العاشر من يناير وكان اليوم صحوا يحسن الخروج فيه الى الحلاء في ساعة الظهر للاستدفاء بأشعة الشمس . فمشت بين النخيل مبتعدة عن السور الذي يلي الطريق الى ما يلي البحيرة وهي لا تكثر لما حولها من صرير أو تغريد أو تقيق فقد انصرفت الى ادراك غرضها



قضت في الحديقة ساعة وحدها حتى ملت الشمس وحرارتها وهمت بان تدخل المنزل ، وفيما هي عائدة سمعت أناسا يتكلمون عن بعد ، فوقفت على أرومة نخلة كانوا قد قطعوها للوفود منذ عامين والتفتت فرأت شبحين لم تلبث أن عرفت انهما لبابة وعبد الرحمن بن ملجم . فانصرفت الى اتقان الحيلة فدخلت البيت على عجل وكانت قد رأت لبابة تكلم عبد الرحمن وتشير اليها باصبعها . وعمدت الى النقاب فأرسلته على رأسها وجلست على وسادة تعودت الجلوس عليها اذا استقبلت الزائرين من الغرباء . ولبثت صامتة تنتظر دخول لبابة ، وما لبثت أن سمعت صوت ضحكتها قبل سماع خفق نعالها . وبعد قليل دخلت لبابة وحدها فاستقبلتها قطام استقبال المشتاق ودعتها الى الجلوس

فقالت : « لا اجلس قبل ان ادعو رفيقا لي صحبته لزيارتك »

فقالت : « أهلا بك وبرفاقك اجمعين . فليدخل »

فصاحت لبابة للحال : « أدخل يا عبد الرحمن »

وما أتت كلامها حتى وقف في الباب رجل طويل القامة نحيف البدن ، خفيف اللحية اشمطها ، براق العينين يكاد الشرر يتطاير منهما ، وعليه

العباءة والقفطان والعمامة وآثار السفر لا تزال بادية على نواتيء وجهه ، وبخاصة انفه فقد كان شديد الاحمرار . فخلع عبد الرحمن نعله خارج الباب وحيى ودخل . فردت قطام التحية وهي تهم بالوقوف وأشارت اليه ان يجلس ، فجلس الأربعة مستعرضا سيفه على فخذه ، فبدأته قطام بالكلام قائلة : « الى من ينتسب ضيفنا ؟ »

قال : « الى بنى مراد »

قالت : « والنعم والبركة »

فقالت لبابة : « انه عبد الرحمن بن ملجم ، من القراء المشهورين ، قرأ على معاذ بن جبل . ولعلك سمعت به »

قالت : « انت تعلمين حالي يا خالة ، بل انت ادري منى بما هو شغلي الشاغل من الأحزان والمصائب ، فلم يبق لى عقل اذكر به شيئا غير مقتل اخي وأبى . والسعى فى الانتقام من أهل العدوان .. » قالت ذلك واجهشت بالبكاء

وكان عبد الرحمن ينظر اليها من طرف خفى ، فافتتن بها ايما افتتان ، وكان قد سمع بجمالها فود أن يحوزها . ولما لقيته لبابة لم تذكر له شيئا مما عرفوه عن عزمه ، ولكنها قالت له : « علمت بمجيئك الكوفة ، واعلم انك تحب الحسان ، وعندى واحدة منهن ليس أجمل منها فى العراق » . فجا ولما رآها تحقق ما سمعه فشغف بها ، ومن عجيب أمر هذا الرجل انه ما عظم ما ندب نفسه له من قتل أمير المؤمنين وقرب اليوم الموقوت لم يشغلا ذلك عن مغازلة الحسان . فلما سمع كلام قطام ورأى بكاءها قال : « وما الذى يحزن مولاتى ؟ ألا أستطيع تفريج كربتها ؟ »

فقالت لبابة : « لا يخفى عليك ما اصابها على اثر وقعة النهروان ، فقد قتل فيها أبوها وأخوها رحهما الله ، وهي لا تفتأ تذكر تلك المصيبة وذلك اليوم وتبكي ذينك الفقيدين ، ولكننى أريد أن اشغلها عن هذه الأحزان بكفاء لها »

ففهم عبد الرحمن تلميحتها فقال : « انى والله اكون أسعد الناس حظا اذا اذا تم لى ذلك الذى أتمناه »

فتجاهلت قطام وقالت : « وما الذى تتمناه يا سيدى ؟ »

قال : « لقد جئتك خاطبا وأنت فى أحزانك عساي ان أستطيع تفريجها ، فاطلبى منى ما تشائين مما تقر به عينك »

فتنهدت قطام ثم قالت : « انى لأعجب من تسرعك فى الطلب ونحن لم نلتق قبل الآن »

فقطعت لبابة كلامها قائلة : « نعم انكما لم تلتقيا قبل الآن . ولكن لبابة

تعر فكما جيدا ، واذا اذنت مولاتي بكلمة فاقول انكما انما خلقتما لتعيشا معا» فسكتت قطام فقال ابن ملجم : « ومع ذلك فاطلبى ما تشائين يكن لك » فظلت قطام ساكنة برهة تتظاهر بالحياء والتردد اتماما للحيلة. ثم التفتت الى لبابة كأنها تقول لها : « انى استحيى أن أقول » . فقالت لبابة : « انا أقول . اجعل مهرها ثلاثة آلاف دينار وعيدا وقينة » ولم تتم لبابة قولها حتى صاحت قطام : « لا . لا يرضينى ذلك ولا مطمع لى فى المال كما تعلمين »

فقال عبد الرحمن : « اطلبى ما تريدين »

فتظاهرت بالتمنع وصبرت هنيهة كأنها تستخف بما اقترحه عليها من الطلب ثم قالت : « ان مهرى هو قتل على بن أبى طالب قاتل أبى وأخى »

فابتسم عبد الرحمن ، ونظر اليها ويده على قبضة سيفه وقال : « ان ذلك وما قالته هذه الخالة سيكونان لك . ثلاثة آلاف دينار وقتل ابن أبى طالب والعبد والقينة . فان مثلك لا يعز فى سبيل نيلها مهر . واعلمى انى انما جئت الكوفة لهذه الغاية . أنظرى الى هذا السيف (وجرده فلمع نصله لمعانا شديدا) انى اشتريته بألف وسممته بألف لاقتل عليا بن أبى طالب » فابتسمت وقالت : « ولكننى أرجوان يكون ذلك عاجلا لثلاثفوت الفرصة » فقال : « ان موعدنا قريب لم يبق منه الا يوم وليلة سأقتله فى صباح يوم ١٧ من هذا الشهر أى بعد غد ، فاطمئنى »

قالت : « وكيف عينت اليوم والساعة ، الا يستحسن أن يكون ذلك غدا » قال : « ان لذلك سببا ساذكره لك فيما بعد ، فاننى مقيّد بهذا الموعد فى انفاذ مهمتى »

فسكتت قطام وهى تتجاهل ما علمته من أمر المؤامرة

وكانت لبابة عالمة بغياب ريحان ، ولا بد من زاد يتناولوه الضيف ، فدعت عبدها فى أثناء قدومها فجاء وأعد لهم طعاما تناولوه

وما صدقت قطام أن خلت بلبابة لحظة حتى أشارت اليها انها تحب الانفراد بها لأمر ذى بال ، فاحتالت هذه على عبد الرحمن حتى استأذن فى الخروج الى السوق فى حاجة له ، وخلت قطام بلبابة

□

وكانت لبابة قد أدركت ريحان فى الطريق قبل عثوره على عبد الرحمن ، فأمرته أن يسرع ليلقى سعيدا خارج الكوفة وزودته بنصائحها لتضمن نجاح مهمته . فسار أولا الى ساحة كبيرة فى وسط الكوفة تجتمع فيها القوافل . من كل حدب وصوب . ولا بد للقدام الى الكوفة من المرور بها أو النزول فيها

وسمع عن بعد هدير الجمال وصهيل الخيل فلما وصل رأى الساحة غاصة بالدواب وبينها الناس في هرج بين راكب وراجل ، ورأى الاحمال ملقاة هنا وهناك ، فجعل يتفرس في الوجوه لعله يرى سعيدا أو أحدا من خدمه ، فلم ير أحدا . وذهب الى بيت سعيد يسأل عنه فقيل له انه لم يأت بعد فخرج الى الطريق خارج الكوفة وهو ينظر الى الافق لعله يرى هجانا أو فارسا . فمشى ساعتين ولم يرا أحدا حتى وصل الى شجرة كبيرة يستظل بها المسافرون للراحة قبل دخولهم المدينة ولا بد لمن كان قادما من الشام أو مصر من المرور بها . فجلس هناك وعيناه تحدقان في الافق وذهنه يعمل لفتق حيلة تنطلي على سعيد فيستبقيه أو يسير به الى بيت قطام . فغربت الشمس ولم يأت أحد ، وكان القمر بدرا فلم تكد تغرب الشمس حتى طلع البدر وانعكست الظلال من الشرق نحو الغرب . فاتكأ على حجر وعيناه ترقبان

وقضى أوائل الليل على هذه الحال ، وكلما رأى شيئا ظنه سعيدا ، فاشتد به البزد وهو يصبر ويتجلد . وحدثته نفسه أن يرجع فخاف أن يجيء سعيد في غيابه فيذهب سعيه هباء منثورا ، فالتف بثوبه حتى اذا انتصف الليل غلبه النعاس وهو يتجلد ولكنه لم يقو على سلطان النوم فأغمضت عيناه ، ولكنه لم ينم طويلا حتى استيقظ بفتة أسفا على رقاده خشية أن يكون سعيدا قد مر ولم يره . فوقف يفكر في الأمر ، حتى دنا الصباح فلم يأت أحد فخيّل اليه أن سعيدا مر في أثناء نومه ، فعاد الى الكوفة بأسرع من لمح البصر يبحث في ساحتها وسار الى بيت سعيد فتحقق انه لم يأت بعد فرجع الى الشجرة وقضى معظم النهار تحتها أو حولها كأنه على حجر القضا . وهو مع ذلك صابر لا يتدمر ولا يتضجر حتى غابت الشمس وظلّع القمر . فقال في نفسه : « لم يبق الا هذه الليلة فاذا لم يصل الرجل لم يبق ثمة حاجة الى بقاى اذ يكون قد نفذ السهم وقتل على » . وتمنى الا يأتى سعيد فيتخلص هو من الاحتيال عليه لأخذه الى قطام ، وقد قرب أجل الموعد المضروب

ولما دنا العشاء رأى جلين قادمين عن بعد وعليهما راكبان فاختلج قلبه واصطكت ركبتاه وزاده البرد ارتعاشا . فلما اقتربا وقف وتقدم نحوهما فاذا هما سعيد وبلال عبد خولة ، وكانا ملثمين فعرف سعيدا من قيافته واما بلال فلم يعرفه .

وكان سعيد قد قضى مسافة الطريق في قلق على الامام ، فما كاد يطل على الكوفة حتى قرر أن يسير توا الى منزل على . فلما وصل الى الشجرة ترجل وترجل عبده ليستريجا قليلا ثم يستأنفان المسير . فاستقبله ريحان وسلم عليه ، فلما رآه سعيد استأنس به ورد السلام وقال له : « ما الذى جاء بك يا ريحان ؟ »

قال : « ان سيدتى مضطربة البال لطول غيابك » . وأشار اليه ان يدنو

منه ليبت اليه ما اؤتمن عليه من السر . فدنا منه على انفراد وشغل بلال
بأمر الجميلين

فقال ريحان : « ان سيدتى قطام تقرئك السلام وتذكر لك انك اطلت الغيبة
عليها أنت وسيدى عبد الله »

فتنهذ سعيد وقال : « لا تذكر عبد الله فقد تركناه في مصر » . قال ذلك
وهو لا يريد ان يطرح العبد الحديث في مثل هذه الشؤون أنفة وترفعها ، فسكت
ريحان وهو يعلم ان عبد الله أغرق في جملة من أغرقهم عمرو بن العاص في
النيل ، ثم قال : « وماذا أقول الآن لسيدتى أقدم أنت للمبيت عندنا الليلة ،
فانها قد أعدت لك كل شيء »

فلبت سعيد برهة تتنازعه عوامل الشوق الى قطام وبواعث العجلة الى
على ، فرأى ان ميعاد القتل قد دنا فاذا بات الليلة في منزل قطام فانه قد
يتمتع برؤيتها ويشنف سماعه بحلو حديثها ولكنه يصبح في الغد وقد قتل
على ، لأن المجرم لا يتأخر عن فعلته الى ما بعد صباح السابع عشر من الشهر .
ثم بدا له ان يزورها للتو زيارة قصيرة ثم ينطلق من بعدها الى على ، والتفت
الى بلال فرآه مهتما باعداد العشاء فناده باسمه فأقبل . فلما سمع ريحان
اسم بلال اختلج قلبه في صدره ، وتفرد فيه فعرف انه عبد خولة ، وكان
قد لقيه في القسطنطينية وباح له بمهمته ولم يكن يخطر له يومئذ انه سيأتى مع
سعيد . فارتبك في أمره وحاول اخفاء نفسه لئلا يراه بلال فيعرفه . أما بلال
فلما دعاه سعيد أسرع الى ما بين يديه فقال سعيد : « الا ترى ان نسير توا
الى الكوفة ؟ » قال بلال : « الامر لمولاي ولكننى أعددت لك الطعام . الا ترى
ان تتناول منه شيئاً ونستريح هنيهة ثم نذهب الى حيث نشاء »

قال : « ولكن بعض أهلى بعثوا يدعوننى الى العشاء »

والتفت بلال الى ناحية وقوف ريحان فرآه قد تقهقر الى جذع الشجرة
يسنتر بظلها فلم يره ، وكان سعيد في أثناء الطريق قد استأنس ببلال واطلعه
على خبر المؤامرة . فاعتنم بلال فرصة انفراده به وقال : « الا ترى يا مولاي
ان نتم مهمتنا التى جئنا لها من القسطنطينية قبل كل شيء فانى أخاف ان يكون
ذهابنا الى أهلك سبباً فى التأخير ، وهم ربما لا يعلمون الغرض الذى يدعوننا الى
الاسراع ، وربما حدث لك بعد العشاء ما يعيقك . اما اذا أنفذنا مهمتنا وأطلعنا
الامام على ماخباه له أهل البغى فاننا نمضى بعدئذ حيث تشاء ، هذا ما أراد
والامر لك . على انى قد أعددت لك الطعام الآن فاذا شئت اكلت ثم فعلت
ما يترأى لك »

فارتاح سعيد لهذا الراى ، ولكنه أراد ان يخبر بلالا باطلاع ريحان على سر
الامر فقال له : « ولا أخفى عليك ان هذا الهمام (وأشار الى ريحان) من حملة
الساعين فيما نحن فيه »

فقال بلال : « اذن فهو يعذرنا اذا رأى اننا نؤثر ان نذهب اولا الى منزل الإمام . هلم الآن الى طعامك وأنا أهيبء الجملين معه ثم نذهب جميعا بعد انتهائك من الطعام »



سار بلال الى حيث جلس ريحان وراء الشجرة . وكان هذا يحاول ان يختبىء ، وحدثته نفسه بأن يرجع الى الكوفة لئلا يراه بلال فينكشف امره . ولكنه ما لبث ان رأى بلالا قد دنا منه وكلمه فأجابه بصوت منخفض وهو يتشاغل باصلاح نعليه وشملته لا يرفع نظره اليه . فاستغرب بلال ذلك فتقدم اليه ، قال : « تعال يا أخى تقعد ريثما يتناول مولاي طعامه ثم نسير معا »

فسكت ريحان ولم يجب ، وتظاهر بأنه اضاع عصاه وأخذ في البحث عنها وبلال يتبعه ويعجب لما يبدو منه . فلما بعد ريحان عن ظل الشجرة بانته سحنته فتذكر بلال انه يعرفه ، ثم فطن الى انه هو الذى أسر اليه خبر مهمته فى الفسطاط . فأدرك ان فى الامر خديعة ، ولا سيما لما رآه يحاول اخفاء وجهه . فتقدم اليه وامسكه بيده وقال : « تعال يا صاحبي تقعد هنا الى ان ينهض مولانا فنسير معا » . فجذب ريحان يده من يده مفضيا ، فتبعه بلال وهو يقول : « يظهر أنك لم تعرفنى يا صاح ألا تذكر أننا التقينا فى الفسطاط » فصاح به ريحان : « واى فسطاط ؟ . انى لا اعرف الفسطاط ولا اعرفك ؛ وليتنى لم اعرفك فقد اضععت عصاى بسببك »

فسمع سعيد صياحه وكان قد جلس الى الطعام ، فنظر اليهما من بعيد ، فرأهما يتحاوران فوقف ونادى عبد قطام قائلا : « لاتغضب يا ريحان ان بلالا على دعوتنا »

فسكت ريحان ، واضطر الى ان يجيء لئلا يثير الشبهة ، ولكنه بقى مصرا على انه لم يذهب الى مصر

فلما دنا من سعيد له : « ما بالك تخاصم بلالا ؟ »

قال : « انى لا اخاصمه ، ولكننى اضععت عصاى ، وفيما أنا أبحث عنها جاءنى بحديث لا اعرف له أصلا »

قال سعيد : « وما ذلك يا بلال ؟ وما الذى قلته له ؟ »

قال : « لم أقل له شيئا ، ولكننى تذكرت انى رأيت فى الفسطاط منذ بضعة عشر يوما ، فأنكر وتنصل »

فقال سعيد : « يحق له ان ينكر عليك ذلك لأنه لم يبرح الكوفة منذ اشهر » فأعاد بلال النظر الى ريحان وتفرس فى وجهه وقال : « بل أنا على يقين مما

اقول ، وقد لقيتُه هناك غير مرة وقد يعذر على انكاره ، لأن وجوده هناك عاد بشر العواقب على سيدي ورفيقه «

فبغت سعيد وكانت اللقمة في فمه فلم يعديستطيع ازدرادها ، وكاد يغص بريقه ووقف للحال وقال : « ماذا تقول يا بلال ؟ اظنك تخلط في القول . ان ريحان عبد قطام بنت شحنة ، وقد تركته هنا يوم سفرى وأنا واثق بأنه لم يبرح الكوفة ، فلعلك رايت في الفسطاط عبدا آخر يشبهه «

فلما سمع ريحان اعتذار سعيد عنه اطمأن وقال بهدوء : « يلوح لى انه أخطأ ، لأن البشر يتشابهون ، ولكنه سأل الله جاءنى مغضبا وأنا أبحث عن عصاي فأغاظنى فأسمعتة كلاما مؤلما وها أنذا الآن اطلب منه غفران ما فرط منى » . والتفت الى بلال وابتسم حتى يجيز عليه حيلته

أما بلال فكان في أثناء ذلك يتفرس في ريحان فلا يزداد إلا اعتقادا بأنه هو الرجل الذى قابله في الفسطاط وحدث أن نادته سيدته خولة وهو يكلمه فذهب اليها وقص عليها خبره كما مر ، فلما آنس منه ذلك اللين ظل يتفرس فيه وهو صامت . فلما أتم ريحان كلامه قال له بلال : « ربما كنت مخطئا في ظنى ولكنى أسألك سؤالا أرجو أن تجيبنى عليه «

قال : « قل ما بدالك «

قال : « الا تذكر انك رايت وجهى ؟ «

فتفرس فيه ريحان وهو يظنه يقول ذلك بسداجة ، ثم قال : « لا يا أخى ، لا اذكر انى رايتك قبل الآن «

فقال : « يا للعجب ولكنى واثق بانى لقيتك وكلمتك ، فرايت هذا الوجه وسمعت هذا الصوت . فالظاهر انك زرت الفسطاط قبل اليوم «

قال : « نعم انى صرت اليها منذ بضعة أعوام «

فضحك بلال وقال : « ولكنك قلت الآن انك لاتعرفها «

فارتبك ريحان وعمد الى المغالطة فقال : « دعنا من هذه الاوهام ولاتشغلنا بما لا طائل تحته «

وكان سعيد في أثناء ذلك يسمع كلامهما مصدقا ما يسمع

أما بلال فخاف ان يودى سكوته الى ذهاب سعيد مع ريحان . فقال لريحان : « اذا كان الحال كما تقول فعليك أن تساعدنا في انفاذ المهمة التى جئنا من أجلها . دعنا نذهب الى منزل الامام الآن «

قال : « انى أشد رغبة منك في هذا ، ولكن الليل طويل ، ويحسن ان يذهب مولاي معى الى سيدتى قطام لتراه ثم يذهب بعد ذلك حيث يشاء «

قال : « فليذهب هو معك وأذهب أنا الى منزل الامام اقوم مقامه «

فضاق ريحان به ذرعا وظهرت البغته على وجهه فلم ير له مخرجا من المأزق

غير التظاهر بالغضب فقال : « ولماذا هذا اللف والدوران ؟ هل بلغ بك الامر الى اساءة الظن بنا ونحن اولى منك بهذا الامر ؟ »

فتحقق بلال حينئذ ان ظنه في محله فقال : « نعم انى اسىء الظن وبسيدتك ايضا »

فخاف ريحان ان يفضى الامر الى افتضاح حاله فتظاهر بالغضب وقال لسعيد : « انى لأعجب من قحة هذا الاحق ومن سكوت مولاي عليه ، وها انذا اترككما فافعلما ما تشاءان »

قال ذلك واخذ يعدو نحو الكوفة ، وظل سعيد وبلال صامتين كان على راسيهما الطير



مضى ريحان وهما ينظران اليه لا يفوهان بكلمة . فلما تواري قال سعيد : « ما الذى اراه يا بلال ؟ انى احسب نفسى في حلم ؟ ما الذى تقوله عن هذا العبد ، اوائق انت انك رايتيه في الفسطاط ؟ »

قال : « نعم يامولاي ، وقد زادنى ايمانا بذلك تناقض اقواله ، وغضبه بعد ما اقترحته عليك »

قال سعيد : « ما الذى يدعوه الى انكار ذهابه الى الفسطاط ؟ »

قال : « يدعوه الى هذا ما ارتكبه من الخيانة هناك . تباه له من نذل يا ليتنى قضيت عليه ، قبل فراره . انه وشى بكمارالى عمرو بن العاص »

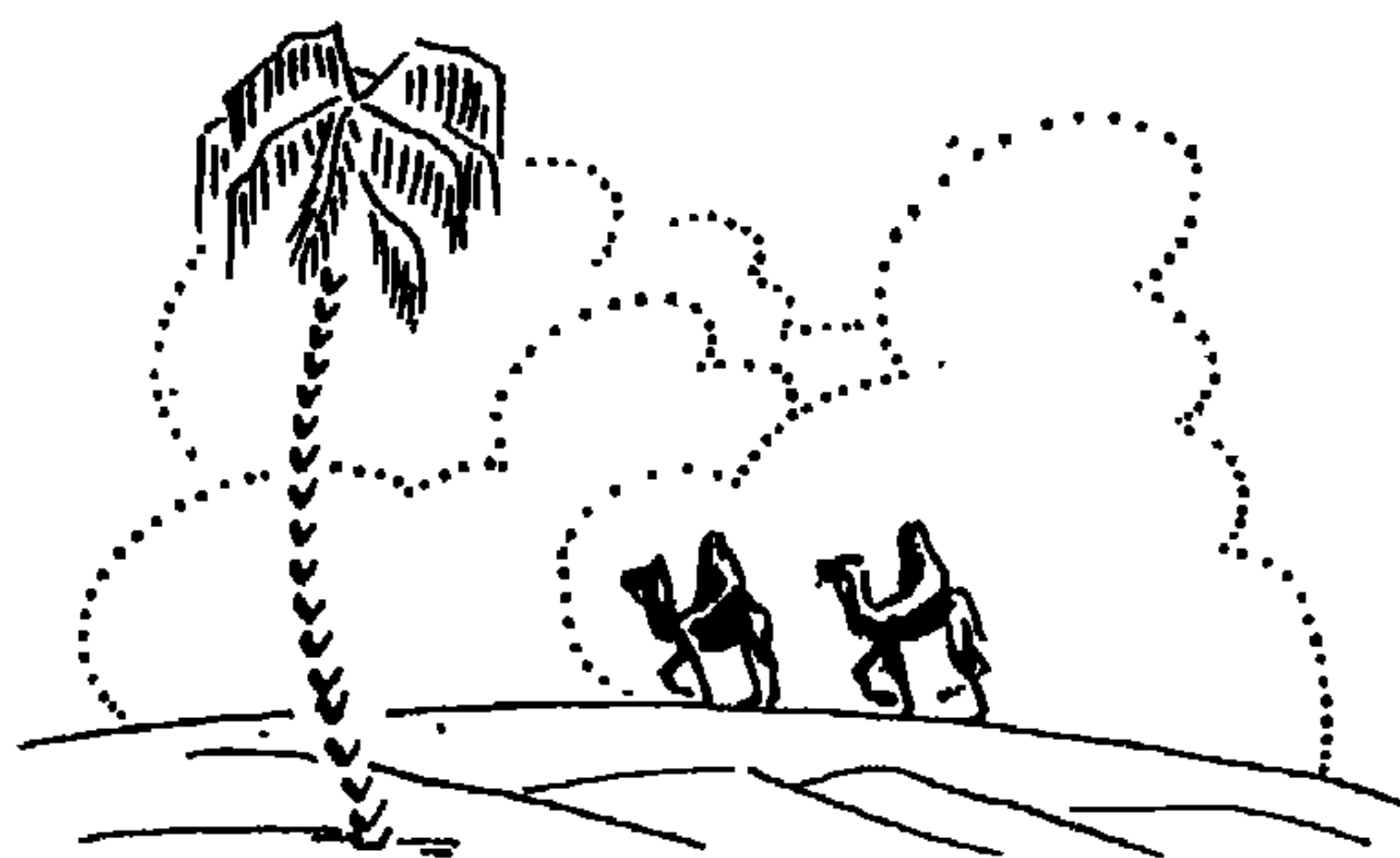
فبغت سعيد وبدأت الغشاوة تنحسر عن عينيه ، وتذكر ما قصته عليه خولة من حديث عبدها مع عبد آخر وشى بهما الى ابن العاص . وانه استغرب يومئذ ان يصل خبر قدومهما الى الفسطاط وهما انما قدما اليها سرا لا يعلم بهما احد غير قطام ولبابة وهذا العبد . فوضح له ان ريحان لا يأتى الفسطاط الا بايعاز من سيدته ، وتذكر ما كان يراه في ابن عمه عبد الله من الشك في قول قطام ، فندم على استسلامه لها وعض على سبابتها ، وظل واقفا لا يبدى حراكا ، وبلال واقف بين يديه صامتا . ثم التفت الى بلال وقال : « الا بارك الله في خولة ، انها والله ملاك بعثه الله من السماء لكشف تلك الخديعة . ولكن وا اسفاه ، فقد نفذت حيلة قطام في عبد الله فمات غريقا . على انها لن تنفذ في الامام على بعد ان افتضح امرها قبل دنو الاجل المضروب والحمد لله » . ثم صمت وتذكر حبه القديم لقطام وما اكنه لها من الاخلاص ، وما بذلته هى من الخداع ، فعظم الامر عليه وامست عواطفه تتراوح بين ما انغرس في قلبه من الحب وبين ما انكشف له من المكر السيء ، فلم يملك نفسه عن البكاء . وخجل ان يذرف الدمع امام بلال ، فأوما اليه ان يهيب الجمال ، وادار وجهه الى

الخلاء ومشى وأطلق لنفسه عنان البكاء . ولاسيما وقد تمثل له ما أصاب ابن عمه عبد الله من البلاء بسببه ، فجعل يندبه ويندب سوء حظه ويقول :

« تبا لك يا قطام . أصبح انك بعثت عبدك للوشاية بنا الى ابن العاص ليقتلنا ؟ أين عهدك وأين وعودك ؟ . أين ما سمعته منك من التوبة عن قتل الامام علي ؟ . واأسفاه عليك يا أخى عبد الله ، انك ذهبت ضحية غفلتى ودهاء هذه المرأة . آه يا قطام ! . . هل يخلق الله قلوبا تقسو الى هذا الحد ؟ (قتل الانسان ما أكفره) . اسمحين بقتل محب تفانى في سبيل هواك ؟ وتقتلين بريئا حملته غيرته على السعى في انقاذ أمير المؤمنين ؟ . وتسعين بعد ذلك الى قتل أمير المؤمنين وانت تنظرين . . آه لو كان إمامي متسع من الوقت لأسرعت الى الانتقام منك قبل الذهاب الى الامام »

ثم وقف فجأة وانتبه كأنه أفاق من رقاد ، ونظر الى ما حوله فاذا هو في ليلة مقمرة صفا هواؤها ورق نسيمها ، فجعل يعيد في ذهنه ما مر به من الالهوال ، وتذكر حبه قطام فغلب عليه طيب عنصره فقال في نفسه : « لعل قطام بريئة ، وربما كان ريحان صادقا وبلال مخطئا » . فسرى عنه بعض الشيء ، ثم أدرك انه انما يخادع نفسه في التماس العذر لها ، وقد تثبت عليها الجريمة . ثم التفت فرأى بلالا قد أعد الجميلين وهم بالقدوم اليه فمسح دموعه وتقدم اليه وهو يقول في نفسه : « لقد نفذت حيلتها في أخى عبد الله ، ولكنها لن تنفذ في الامام علي . ها أنذا ذاهب الآن الى بيته وساستعين به على قتلها وقتل العجوز المحتالة وذلك العبد الشرير »

وركب جملة ، وركب بلال في أثره ، وسارا يقصدان منزل الامام على



مقتل الإمام علي واحراق قاتله

كان منزل الامام علي بجانب المسجد ، وبينهما باب السدة يدخل منه الامام للصلاة . وكان للمنزل دار واسعة فيها المقاعد والمجالس لمن يفد عليه من الولاة واهل الامصار . وبجانب المنزل ساحة واسعة فيها مرابط للخيل ومواقف للجماعات لاتبرح غاصصة بجماهير الناس من دعاة الامام ، وكلهم متفانون في نصرته معترفون بامامته لا يرون احدا اولى بها منه . وكان اهل العراق وغيرهم قد اجتمعوا تلك السنة على نصرته فبايعه منهم اربعون الفاعلى الموت . ولعله كان ينتظر اتمام صيام رمضان ليحمل على معاوية بذلك الجند العظيم ، غير آبه بمثل ما مر به من حيلة « صفين » وغيرها بعد ان راي ما قاده الى ذلك من تأييد سلطان معاوية

وكان الداخل الى مجلس الامام حينذاك يرى رؤساء القبائل يترددون عليه ولا حديث لهم الا ما كان من اجتماع كلمتهم وما يتوقعونه من النصر ويرجونه من احقاق الحق وكبح جماح الطامحين الى الخلافة من غير اهل البيت

ذلك كان شأن الكوفة في شهر الصيام المبارك . اما علي فلم يكن يشغله عن فروض الصوم والصلاة شاغل ، فاذا دنت الساعة واذن المؤذنون تهافت الناس في صحن المسجد الى سماع ماعهدوا في كلامه من البلاغة وشدة الفيرة على الاسلام والمسلمين . فاذا صعد المنبر رايت الناس سكوتا كان علي رؤوسهم الطير اعجابا بما يسمعون من درر الفاظه وبديع حكمه وبلغ آياته ، وهم يعجبون لما قام في انفس المعارضين ممن تخلفوا عن بيعته ، وبخاصة الخوارج الذين اختلقوا لمعاداته اسبابا ما انزل الله بها من سلطان

وكان اذا فرغ من صلاة المغرب ذهب الى داره ومعه جماعة من الامراء يتقدمهم اولاده وسائر اهله ، فيجلسون الى الاسمطة للافطار، والقراء يتلون القرآن في جوانب الدار ، والكل يسبحون ويهللون حتى يخيل اليك انهم في يوم الحساب ، وما فيهم من يخاف عقابا لما يعتقدونه من صدق دعوتهم وقيامهم بالحق المبين

وكان الامام اذا فرغ الناس من الافطار وجلسوا للاحاديث اقلهم كلاما . وربما مكث ساعة او بضع ساعات لا ينبس ببنت شفة كأنه يفكر في امر ذي بال ، وربما كان تفكيره فيما يخشاه من سفك الدماء اذا حمل بزجاله على

الشام ، ونفوس الناس وديعة عنده يضمن بها أن تذهب ضياعا ولا يضمن بها أصحابها في سبيل نصرته

كان ذلك شأنه في أواسط رمضان ، وعلى الاخص في ليلة السابع عشر منه ، وهي الليلة التي بات فيها ابن ملجم يترقب انبلاج الصبح ليقوم بفعلته للفتك بابن أبي طالب . وفي تلك الليلة أسرع سعيد وعبيده الى دار الامام لينبئاه بعزم ذلك الرجل

وما ظنك بابن ملجم في تلك الليلة . . هل تظنه بات رابط الجأش مطمئن القلب ؟ . وهل عرف الكرى جفناه ؟ . لا نخاله قضى ليلته الا قلقا مضطربا لهول ماعول عليه من الامر الجسيم . واى شيء أفضع من ان يسفك دما بريئا ، دم رجل جمع الى كرامة الخلافة شرف النسب ، وأحرز من العلم ما لم يحرزه أحد من المسلمين في ذلك العهد ؟ . اليس هو ابن عم الرسول وخليفته وصهره ؟ . اليس هو ذلك العالم التقى العادل المخلص الغيور على الاسلام والمسلمين ؟ لا نخال ابن ملجم قضى ليلته الا على شوك القتصاد لم يغمض له جفن وقد طال ليله . وربما حدثته نفسه بالرجوع عن عزمه فيغلب عليه عهده لرفقائه ووعدده لخطيبه قطام بنت شحنة ، ولا سيما بعد ان اشركت معه في الجرم ابن عم لها يقال له « وردان » حرضته على الاخذ بناصره . ولقى هو رجلا من « أشجع » يقال له « شبيب » استحثه على ركوب ذلك المركب الحسن معه . فتواعد الثلاثة على العمل معا في فجر الغد . فهل تظنه بعد تلك العهود والمواثيق يصفى لنداء ضميره ان كان له ضمير ؟

على انك لو سبرت غور قلبه في تلك الليلة وهو ينقلب على فراشه وسيفه المسموم الى جنبه ، لرايته يناجى نفسه ويدفع تبكيت ضميره بحجة انه عمد الى ذلك دفعا لفتنة كان سببها تنازع على ومعاوية وعمرو على السلطة ، والفتنة شر من القتل

وكان نفس الامام على حدثته في هذا الاوان بخطر يتوقعه على حياته وكان مذ أهل رمضان يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند جعفر ، لا يزيد على ثلاث لقمات ، ثم يقول : « أحب أن يأتيني امر الله وأنا خيصر » . وأما في تلك الليلة فانهم تعشوا جميعا في منزل الامام وهو جالس لا يأكل الا قليلا وأولاده بين يديه ينظرون اليه ويعجبون لحاله

وكان حاجبه « قنبر » رجلا كهلا من أهل الحبشة اذا نام الامام بات هو عند بابه ، وكان في تلك الليلة أشد الجميع قلقا لم يتناول الافطار ولا هدا له بال . أكل الناس وهو جالس القرفصاء عند الباب وعيناه شاخصتان الى

الفضاء يتوقع قدوم قادم وهو لا يكلم احدا ولا انتبه احد لحاله ، ولو سألهم احد عن علة قلقه لباح له بما اطلع عليه من الاسرار التي ظن انه كشفها وهم يبحثون عنها عيئا

وبعد صلاة العشاء ارفض المجلس ، فذهب كل الى منزله وناموا جميعا الا « قنبر » فانه لبث ساهرا وقد أخذ الاضطراب والقلق منه مأخذا عظيما . وما سهر للحراسة وهو يعلم ان الامام لا يريد حرسا يحرسه . ولكنه جلس يفكر في امر اذهب رقادته والقاء في حيرة

□

أما سعيد وبلال فانهما دخلا الكوفة وأسرا الى دار الامام علي وكان القمر بدرا او حوالى البدر ، وقد تكبد السماء فأرسل أشعته على ابنية الكوفة ، وقد انقضت الفيوم عن السماء على غير المعتاد في ذلك الفصل . فلما دخلا الكوفة رأياها ساكنة هادئة لانقضاء ميقات السهر . وقد نام الناس وهم يتوقعون أذان السحر لينهضوا للسحور

سار سعيد وهو يستحث جملة وقلبه يرقص طربا لنجاح مهمته لاطلاعه على حيلة قطام قبل فوات الوقت . فلما دنا من المسجد ترجل وقال لبلال : « خذ الجمل وسر به الى ساحة الكوفة وامكث حتى آتيك »

فعمل بما أمره به ، ومشى سعيد وركبته تصطكان من الاضطراب ، حتى أقبل على دار الامام فرأى السكون مخيما عليها ، فوقف يفكر كيف يدخل الدار وأهلها نيام ، فتردد خشية ان يظن به السوء لقدمه في ذلك الوقت، ولم يكن قد دخل الدار من قبل ولا لقي الامام عليا لقاء أهل الولاء . ولكنه لم ير بدا من الاقدام قمشي مترددا حتى دنا من باب الدار فرأى شبيحا جالسا لم يعرفه ، ولكنه سر به لعلمه انه لا يبعد ان يكون من رجال علي فيسهل رسالته ، على انه لم يكذب عليه حتى وقف الشبح بغتة واعترضه سائلا : « من القادم ؟ »

فقال سعيد وهو يتلجلج : « انى رسول الى الامام علي ، ومن انت ؟ »

قال : « انا قنبر حاجب الامام . ومن انت ؟ »

قال : « انى سعيد الاموى ، أريد مقابلة الامام علي »

فصاح قنبر قائلا : « انت سعيد ؟ تعال معى »

فسر سعيد لاجابة طلبه توا ، ومشى في أثر قنبر حتى دخلا باب الدار وتوجها الى حجرة فيها مصباح ، فدخل قنبر أولا وايقظ رجلين نائمين هناك ، فلم يكذب يدخل الحجرة حتى اطبق عليه الرجلان وقيدا يديه ورجليه

وهو واقف لا يبدى حراكا من هول المفاجأة ، ولما عاد اليه وعيه قال لقنبر :
« ماذا تصنعون بي ، وما هذه الوقاحة ؟ أين الامام علي ؟ »

فأجابه قائلا : « لقد خاب فالك أيها الوغد اللثيم ، انك لن ترى عليا حتى
ترى الموت قبله »

فكاد سعيد أن يجن ، ولم يدرك الباعث على عملهم فصاح بهم : « ما لكم
تفعلون بي هكذا وقد جئتمكم في رسالة لانقاذ الامام عليا من القتل »

قال قنبر : « اخسأ ولا تكثر الكلام ، انك أموى وما أتيت الا لتقتال الامام ،
ولكن دون وصولك اليه خرط القتاد »

فقال : « وكيف أريد به شرا ، وقد جئت لانقاذه من القتل ؟ »
فأمسك قنبر بتلابيبه ويدها ترتعدان اضطرابا وقال له « أتظن حيلتك
تنطلي علينا ؟ أما كفى بنى أمية ما فعلوه ، حتى جئتم تقتلون الامام في عقر
داره ؟ »

فبهت سعيد ، وجد الدم في عروقه وقال : « ما بالكم تسيئون بي الظن
وأنتم لم تروا مني خيرا ولا شرا ، ألا تسمعون قولى ثم ترون رأيكم ؟ »
فقال قنبر : « وماذا تريدنا أن نسمع وأنت أموى اخذ عليك العهد لتقتلن
الامام علي مهرا لفتاة خطبتها »

فذهل سعيد وأراد أن يدفع عن نفسه فرأى قنبر قد اخرج من جيبه
رقا دفعه اليه وجذبه بيده الى المصباح وقال له : « اقرأ اليس هذا خطك ؟ »
فلما وقع نظر سعيد على الرق رآه العهد الذى كتبه لقطام يوم خطبها ،
فأيقن أن قطام هي التي أرسلت هذا الرق الى دار الامام لتوقع به . ورآها
لفرط حيلتها قد محت اسمها عنه ووضعت اسم فتاة أخرى فصمت ولم
يجب . فاتخذ قنبر سكوته حجة عليه فصاح : « أجب ، قل . اليس هذا
خطك ؟ »

فارتبك سعيد في أمره ولكنه ظل يؤمل أن ينجو اتكالا على النبأ الذى جاء
به عن مكيدة ابن ملجم فأجاب : « هب انه خطى ولكننى جئتمكم بخبر المكيدة
التي كادها بعض الناس للامام . الا تمهلونى ريثما أخبركم »
فلم يصبر قنبر على سماع كلامه وصاح قائلا : « واى مكيدة أعظم من
أن تتعهد بقتل الامام . أمكث هنا الليلة ، وسنرى فى أمرك غدا » . قال هذا
وأوصد الباب دونه

فلما خلا سعيد الى نفسه فى تلك الحجرة ظن نفسه فى حلم ، وجعل يفكر
فى أمره وفى دهاء قطام وكيف أوصلت هذه الورقة الى هذا الرجل لاتمام
حيلتها . ولكنه لم يكثرث لما عامله به قنبر ، وصمم على مقابلة الامام فى
الصباح الباكر واطلاعه على سر الأمر

وأما وصول الصك الى قنبر ، فانما سعت فيه لبابة المحتالة بإشارة قطام بعد ان تداولتا في اتمام الحيلة مخافة ان يطلع سعيد على مكيدتها قبل وصوله اليها ، او ان يذهب الى منزل الامام قبل البرور بها . فأخرجت ذلك العهد وغيرت فيه الفاظا رفعت بها الشبهة عنها ، وكلفت لبابة فأتت منزل قنبر في صباح ذلك اليوم بدعوى أنها دلالة تباع الأقمشة وألقت الى قنبر حديثا لفقته بحيث تلبس الشبهة سعيدا فلا يصفى احد الى كلامه . وكان انصار على قد سمعوا اشاعة اعتزام بعض الناس قتل الامام . فلما رأى قنبر الصك وعلم ان صاحبه أموى ربي في بيت عثمان وقام بنصرته لم يبق عنده شك في اجرامه ، ولا سيما بعد ان رآه قادما قدوم اللص بعد منتصف الليل . فلما قبض عليه حبسه الى صباح الغد ليرى الامام رايه فيه بعد ان يعود من صلاة السحر

أما بلال فانه مكث بالجملين في ساحة الكوفة ينتظر قدوم سعيد . فلما ابطأ عليه قلق ، ولكنه لم يظن سوءا لما يعلمه من سلامة نية سعيد . وفيما هو جالس يفكر في ذلك سمع اذان السحر وكان يعلم ان عليا يخرج في تلك الساعة للصلاة فهرول الى المسجد فدخله فرأى فيه قبة مضروبة علم انها قبة بعض النساء ممن يجلسن لسماع الصلاة . فوقف يجيل نظرة لعله يرى سعيدا . فاذا برجال دخلوا وفيهم رجل ملثم وقد التفت بعباءة يخفر تحتها سيفا فتفرس فيه عن بعد فرأى على جبهته أثر السجود فعلم انه ابن ملجم ، فارتعدت فرائصه وحدثته نفسه ان يصيح به ولكنه خاف على نفسه ولم يكن يشك في ان عليا قد اطلع على سر المؤامرة فلا يلبث ان يدخل المسجد ويأمر بالقبض عليه ، ثم رأى ابن ملجم وقد توجه ومعه رجل آخر هو شبيب نحو تلك القبة فكلما من فيها ، وكان فيها قطام بنت شحنة ، ثم مشى ابن ملجم حتى اقترب من السدة وبلال يرقبه ويتوقع سماع الأمر بالقبض عليه حالما يدخل على

وبعد هنيهة ، فتح باب السدة ، ودخل منها الامام على وهو يمشي الهوينى بعمامته على راسه تغطي صلعته وكان ذا بطن ولحية كثيرة الشعر ضخمة العضل وفي يده درة (سوط) كان يوقظ بها الناس للصلاة كل صباح ، فمشى الامام وابن النباح المؤذن بين يديه والحسن ابنه خلفه . فلما دخل انصت الناس وبلال ينظر اليه موقنا انه سينادى من يقبض على ابن ملجم ، فاذا به قد وقف ونادى : « ايها الناس الصلاة الصلاة »

والتفت بلال الى ابن ملجم فاذا هو لا يزال واقفا لكن رفيقه (شبيب) تقدم مسرعا وسيفه بيده فضرب به الامام عليا فأصاب عضادة الباب وسقط السيف من يده فأجفل بلال وهم بأن يسرع الى على يخبره بأمر ابن ملجم

فاذا بابن ملجم قد اقبل على على باسرع من لمح البصر والسييف يبرق في يده
وضربه على جبهته وهو يقول : « الحكم لله يا على وليس لك ولاصحابك »

فصاح على : « فزت ورب الكعبة » . ثم قال : « لا يفوتنكم الرجل »
فتكاثف الناس على ابن ملجم فدفعهم بسيفه ففرجوا عنه فهجم عليه
المغيرة ابن شعبة وتلقاه بقطيفة فرماها عليه واحتمله وضرب به الارض وقعد
على صدره وانتزع السييف منه . واما شبيب فافلت في الغلس وخرج من
المسجد هاربا

وانفرط عقد الناس ونظر بلال الى القبة المضروبة فرأى امرأة خرجت
من تحتها واذا هى قطام اسرعت وفرت في غمار الناس . فذهل لما رآه ولكنه
أمل الا تكون الضربة قاضية ، ثم تذكر ان سيف ابن ملجم مسموم فيئس
من نجاة الامام ، وجعل يتفرس في الناس لعله يرى سعيذا فلم يقف له على
اثر فتقدم فيمن تقدم الى السدة حيث كان على مطروحا فسمعه يقول :
« احضروا الرجل » . فأحضروه اليه

فقال له على : « اى عدو الله . . الم احسن اليك ؟ ! »

قال : « بلى »

فقال : « فما حلك على هذا ؟ »

قال : « شحذت سيفى هذا اربعين صباحا ، وسألت الله ان يقتل به شر
خلقه » !

فقال على : « لا اراك الا مقتولا به ، ولا اراك الا شر خلق الله » . ثم التفت
الى من حوله . وقال : « النفس بالنفس ان هلكت فاقتلوه كما قتلنى ، وان
بقيت رأيت فيه راى . يا بنى عبد المطلب لا الفيتكم تخوضون دماء المسلمين
تقولون قد قتل امير المؤمنين . الا لا يقتل الا قاتلى . انظر يا حسن ان انا
مت من ضربنى هذه فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثلن بالرجل فانى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور) . . »

قال ذلك وابن ملجم موثق ، وكانت أم كلثوم ابنة على واقفة بجانب أبيها
فقال لابن ملجم : « اى عدو الله لا بأس على أبى والله مخزيك » . فالتفت
اليها ابن ملجم وقال : « على من تبكين ؟ والله ان سيفى اشتريته بألف
وسمته بألف ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقى منهم أحد »

ثم تقدم جندب بن عبد الله الى على وقال : « ان فقدناك ولا نفقدك
فنباع الحسن »

قال على : « ما أمركم ولا انهاكم ، انتم ابصر »

ولما علم الناس أن سيف ابن ملجم مسموم أيقنوا دنو أجل: الامام ، وخافوا الفتنة فيمن يخلفه ، ولكنهم بعد أن سأله جندب بن عبد الله ما سأله عن يخلفه فأجابته بأنه لا يأمرهم ولا ينهائهم ، لم يسعهم إلا تأجيل النظر في الأمر ، ثم نقلوه إلى داره ماشيا وهو يتوكأ على ولديه الحسن والحسين والدم يغشى جبينه وكان السم لم يفعل فعله بعد

أما ابن ملجم فكان لثاميه قد وقع عن وجهه وبانت سحنته ، وكان اسمر ابلج في جبهته أثر السجود ؛ فساقوه إلى السجن ولو لم يوص أمير المؤمنين بالأمر يقتلوه إلا إذا مات هو من الضربة لقطعوه اربا اربا . ولكنهم اضطروا أمثالا لأمر الامام إلى أن يسوقوه إلى السجن ريثما تظهر عاقبة الجرح

أما بلال فسار في أثر الجمع إلى منزل الامام على ، وقد راعه ما رآه من هول تلك الساعة ، ومما زاد في أسفه وضاعف حزنه ما أصابه من الفشل بحبوط مسعاه ومسعى سيدته ، لأنه إنما كان يود نجاة الامام من تلك المؤامرة اكراما لمولاته خولة ، ولا سيما بعد أن صحب سعيدا وسمع منه في أثناء الطريق ما حدثه به جده ابو رحاب عن فضائل الامام على التي يندر اجتماعها في رجل

على أنه كان مع ذلك في شافل عما كان فيه الناس من الاضطراب والاهتمام والانهماك بأمر الامام وجرحه بالتفكير في سعيد وحاله ، وقد عجب لفشله في مهمته مع علمه أنه إنما أسرع بعد طول مشقة السفر وسعى في منتصف الليل لينبئ القوم بالخطر الدايم ، فمشى وهو يتفرس في الناس واحدا واحدا لعله يرى سعيدا بينهم فلم يقف له على أثر . على أنه ما لبث أن رأى الجمع دخلوا المنزل وأدخلوا الامام محمولا إلى حجرته ، وتفرق الباقيون في صحن الدار جماعات ، وحديثهم يدور حول الحادث ، وما عسى أن يصيب الاسلام بعده مما لم يكن في الحسين ، وما فيهم الا من يقول : « ليتنى أشفى غليلي بضرب عنق ذلك الباغي »

وفيما هو ينظر في وجوه الناس لعله يرى سعيدا ، اذا بقنبر حاجب الامام على قد خرج من الغرفة والدمع ملء عينيه وهو يقول : « اقتلوني ايها المسلمون ، اقتلوني اني جنيت على أمير المؤمنين »

فنهض الناس والتفوا عليه وهم لا يفقهون حديثه ، فاذا به قد اخترق الجمع ومشى إلى الحجره التي كان سعيد مسجونا فيها وفتحها وأخرج سعيدا منها وهو ما زال في اغلاله

ولم يكن سعيد قد درى بما أصاب الامام عليا . فلما أخرجه قنبر على تلك الصورة ورأى الجمع متكاثرا ظنهم يريدون به سوءا . فقال : « أروني الامام عليا فأطلعته على دسيسه دبرها له أهل البغي ولا تظنوا بي سوءا »

فعلا صوت قنبر بالبكاء وقال : « لقد نفذ السهم يا سعيد ، انهم فتكوا
بأمر المؤمنين »

فصاح سعيد : « ومن فتك به ؟ »

قال : « ابن ملجم ، ضربه ضربة قاتلة قتله الله »

فصاح سعيد : « ويلاه ، واحسرتاه ، كيف يقتله وقد قطعت البرارى
والقفار سعيا في تلافى المصاب ؟ . ألم أقل لك ذلك يا قنبر ؟ »

قال : « انك لم تفصح المقاتل ، وقد نفذ السهم وجرح الإمام جرحا لا اظنه
ينجو منه ، ولو أصغيت اليك لنجا أمير المؤمنين ، لقد وقع القضاء ولا مرد
لقضاء الله »

ولم يتم قنبر كلامه حتى بكى سعيد وبكى الناس ، وعلا الصياح وهم
مبهوتين ينظرون الى قنبر يتوقعون منه تفصيلا لما اجل

اما هو فاشتغل بحل قيود سعيده وهو يقول : « قاتل الله تلك العجوز
المختالة ، انها أغرتنى بك وقد نجحت حيلتها »

فهم سعيد بأن يقص حديثه على اثر ما رأى من رغبة القوم في ذلك فاذا
ببعض الناس يقول : « ان الامام في عافية وهو يحدث ابنه الحسن والحسين »

فتحول الجمع الى غرفته كالسيل ، وانتهر بلال تلك الفرصة فدنا من
سعيد كأنه يستفهمه سبب فشله في مهمته . فقص عليه الخبر باختصار ،
ووعده باتمام الحديث في فرصة اخرى . وسار مع الجمع الى غرفة الامام
فلم يستطع الدخول اليها لتزاحم الأقدام . فأطل من نافذة فرأى عليا
متوسدا فراشه وهو معصوب الرأس بمنديل يغطى الجرح وكانوا قد
غسلوا الدم عن وجهه ولكن آثاره بقيت ظاهرة على لحيته

فتذكر سعيدا جده ابا رحاب وما أوصاه به فأجهش بالبكاء ، على انه
ما لبث أن سمع عليا يتكلم فوجه اليه انتباهه فرآه يخاطب ولديه الحسن
والحسين وهما جاثيان عند رأسه وقد اشتد بهما الحزن ، ولكنهما يتجلدان
تجلد الرجال ، وهما ينصتان وأعينهما شاخصة في وجه الامام الجريح ،
والناس سكوت وكلهم آذان يسمعون ما يتلوه الامام من الآيات البيئات وهى
آخر خطبة القاها . فاذا هو يقول :

« اوصيكمما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا وان بعثكما ، ولا تبكيا على شيء
زوى عنكما . وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعيننا الضائع واصنعا للأخرى :
وكونا للظالم خصيما وللمظلوم ناصرا ، واعملا بما في كتاب الله ، ولا تأخذكما
في الله لومة لائم »

ثم نظر الى محمد بن الحنفية فقال : « هل حفظت ما أوصيت به اخويك ؟ »

قال : « نعم »

قال : « فاني اوصيك بمثله ، و اوصيك بتوقير اخويك لعظيم حقهما عليك ، ولا تقطع امرًا دونهما » . ثم قال لهما : « اوصيكما به فانه اخوكما وابن ابيكما ، وقد علمتما ان اباكما يحبه » . وقال للحسن : « اوصيك أي بنى بتقوى الله واقامة الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء فانه لا صلاة الا بطهور ، و اوصيك بغفر الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الحرم ، والحلم عن الجاهل ، والتفقه في الدين ، والتثبت في الامر ، والتعهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش »



وما اتم وصيته حتى اجهد وتعب من الكلام وما كان العهد به ان يتعب من الوعظ والخطب ساعات متوالية . ثم امر بتلك الوصية فكتبت ودفعت الى الحسن ، ولم ينطق الامام بعد ذلك الا بقوله : « لا اله الا الله » . حتى مات (١) فعلا الضجيج وزاد العويل والبكاء . ثم غسله الحسن والحسين وعبد الله ابن جعفر وكفن بثلاثة أثواب ودفن

ولما رأى سعيد وقوع المصائب تذكر قطام وخبثها وقال في نفسه : « والله لم يقتله الا هي ولولاها لم يقتل امير المؤمنين »

وفيما هو يفكر في ذلك ويبكى جاء قنبر فقبض على يده وجره فسار في أثره وهو لا يدري ما يريد منه . وسار بلال في أثرهما حتى دخلا سجن ابن ملجم وكان مغلولا هناك . فلما دخلا عليه هم سعيد بالكلام فقال قنبر : « تمهل لنرى ما يقول هذا اللعين » . فلما رآهم ابن ملجم قادمين عليه ظل جالسا ولم يعبا بهم ، ولكنه خاطب قنبر قائلا : « اظنك جئت تدعوني الى النطق ، لان صاحبكم مات »

قال : « الى ذلك جئت ، ولكنني اسألك عن هذا الرجل هل تعرفه ؟ » (وأشار الى سعيد) فقال : « كلا »

وكان قنبر قد اراد ان يتحقق براءة سعيد ، وقد شك في اشتراكه مع

(١) هذا ما رواه ابن الأثير من أمر مقتل الامام . وذكر صاحب تاريخ الخميس أنه توفي صبيحة يوم ١٧ رمضان مثل صبيحة بدر . وقيل ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة من سنة أربعين (عن أبي عمر وابن عبد البر) . وفي الصفة قال العلماء بالسير : ضربه عبدالرحمن بن ملجم بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة بقين من رمضان ، وقيل ليلة احدى وعشرين منه سنة أربعين ، فبقي الجمعة والسبت ومات ليلة الأحد ، وقيل يوم الأحد . وغسله ابناءه وعبد الله ابن جعفر ، وصلى عليه الحسن ، ودفن في السحر . وقالوا غير ذلك مما ليس هنا مكان تحقيقه . وذكروا أنه دفن في مسجد الكوفة وقيل حمل الى المدينة ودفن عند فاطمة ، وقيل غير ذلك

ابن ملجم في المؤامرة . فقال له : « ألم يكن لهذا الاموى يد معك في القتل ؟ »
فتبسم ابن ملجم وقال : « انه اضعف من ان يقدم على ذلك . انى
لاعرفه »

فقال بلال : « هل تعرف قطام بنت شحنة ؟ »

قال : « اعرفها وهى خطيبتى ودم ابن ابى طالب مهرها »

فصاح فيه قنبر : « اخساً يا لثيم انك ملاق حتفك قريباً ، قم الى الموت »

اما سعيد فلما سمع قوله ان قطام خطيبتته اشتد حنقه وغيظه من تلك

المرأة ، وقال في نفسه : « انى والله سأخذ بالثأر منها بيدي »

وكان الحسن هو الذى أمر باحضار ابن ملجم ليقتله عملاً بوصية ابيه ،

فلما حضر بين يديه ، نظر الى ما حوله فرأى الناس ينظرون اليه بأعين

تلتهب حنقا وكل يود ان يقتله بيده ، فلم يعبا بما رأى ، ولم يصبر حتى

يكلمه احد منهم فنظر الى الحسن وقال : « هل لك فى خصلة ، والله قد

أعطيت الله عهداً الا أعاهد عهداً الا وفيت به ، وانى عاهدت الله عند الحطيم

ان أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما ، فان شئت خلّيت بينى وبينه .

فلك عهد الله على ان لم أقتله ثم بقيت ان آتيك حتى أضع يدي فى يدك »

فقال له الحسن : « لا والله حتى تعان النار »

وكان الناس قد جاءوا بالنفط والبوارى والنار وقالوا : « نحرقه » .

فقال عبد الله بن جعفر والحسين بن على ومحمد بن الحنفية : « دعونا نشف

ما فى انفسنا منه ، فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه ، فلم يجزع ولم

يتكلم ثم كحل عينيه بمسماز محمى فلم يجزع ، وجعل يقول : « انك لتكحل

عيني عمك بمكحول محمص » . وجعل يقرأ : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

حتى اتى على آخر السورة وان عينيه لتسيلان على خديه ، ثم امر به فعولج

على لسانه لقطعه فجزع فقيل له : « قطعنا يديك ورجليك وسملنا عينيك

يا عدو الله فلم تجزع فلما صرنا الى لسانك جزعت » . قال : « ما ذاك من

جذوع الا انى اكره ان اكون فى الدنيا فواقلا اذكر الله » . فقطعوا لسانه ثم

جعلوه فى قوصرة فأحرقوه بالنار

ولما اشتهم سعيد رائحة القتر المتصاعد من بقايا ابن ملجم شفى بعض

غيظه ، ولكن قوله : « ان قطام خطيبتى وان قتل على مهر لها » . بقى

يرن فى اذنيه ، وازداد تعجباً من دهاء تلك المرأة واستغرب ان يكون فى النساء

واحدة فى مثل ذلك الدهاء ، وتذكر ما حدث له معها من الوعود وما ارتكبته

فى سبيل الانتقام لابيها واخيها من الجرائم ، وتم قتل بسببها من الرجال

وعبد الله ابن عمه فى جلتهم . فاتقد غيظاً وظل برهة غارقاً فى هواجسه

لا ينتبه لما يدور حوله من الأحاديث ولا يفقه شيئاً من انهماك الناس فى مبايعة

الحسن . ولم ينتبه حتى ناداه بلال فلباه فقال : « هلم بنا يا مولاي من هنا إن لي كلاما أقوله لك »

قال : « هيا بنا » ومشيا ولم ينتبه لهما أحد لاشتغال الناس بالمبايعة وعادا توا الى ساحة الكوفة حيث تركا الجمليين ، وسارا من هناك الى منزل سعيد ، وكانا في أثناء الطريق يلتقيان بأهل الكوفة مسرعين زرافات ووحداً الى منزل الامام على على أثر ما سمعوه عن مقتله ، وهما لا يكلمان احداً

ولم يكن سعيد قد دخل منزله منذ ذهابه الى الفسطاط فلم يجد فيه احداً لأن الخدم ساروا في جملة السائرين الى منزل الامام . وكان التعب قد أخذ منه مأخذاً عظيماً لهول ما قاساه بعد سفره الطويل . فدخل الدار من باب خاص به وترك بلالا يهتم بالجمليين . وبدل ثيابه وهو يفكر فيما رآه من الأهوال وما يتوقعه بعد موت الامام على من تغير المآل

ثم توسد وسادة يلتمس الراحة وهو يفكر فيما يتوقع سماعه من بلال ولكن التعب تغلب عليه وغلب عليه النعاس فنام . ودخل بلال عليه فراه نائماً فتوسد مقعداً في غرفة اخرى ، وأخذ يتهياً لمكاشفة سعيد بما يجول في خاطره من الشؤون حتى نام



ظل سعيد وبلال نائمين حتى الغروب فأفاق سعيد على صوت الخدم وهم يفتحون الباب بعد عودتهم ، وقد بغتوا لما رأوا سيدهم هناك على غير انتظار أما هو فعذرهم لغيابهم ودعا بلالا فوقف بين يديه فدعاه للجلوس فاستأذن في اغلاق الباب دونهما ، فأمر خادماً فأضاء له مصباحاً وضعه على سرجة وخرج ، فأغلق بلال باب الغرفة وجلس الى سعيد والاهتمام باد على وجهه فقال سعيد : « قل يا بلال ما بدا لك »

قال : « أياذن لي سيدي في أن أسأله ما الذي دعا الى فشل مهمته ؟ » فتنهد سعيد وقال : « ان السبب قديم يا بلال لم أكن لاقصه عليك لو لم أنس منك ما أنسته من الغيرة والمروءة »

قال بلال : « ولم يكن من شأنى أن أسألك عنه لو لم الحظ من خلال الأحداث ما يشف عن بعض السر ، ولعلى اذا اطلمت على حقيقة الحال ان آتيك بخبر جديد »

قال لا اخفى عليك ان السبب في فشلى امرأة اظنك سمعت اسمها في هذا الصباح من فم ابن ملجم »

قال : « اظنها قطام بنت شحنة »

قال : « نعم ، قبحها الله من داهية محتالة . فانها كانت سببا في قتل ابن عمي وقتل الامام وابن ملجم . ولا يخفى عليك ان قتل الامام لا يقتصر شره على قتل النفس ولكننا نخاف منه الفتنة . ولا ريب في انها ارادت ايضا ان تقتلني بوسيلة دبرتها » . وقص عليه حديثه مع قطام مختصرا من اول معرفته بها الى تلك الساعة

فلما فرغ سعيد من كلامه عض بلال على انامله وتحرق ثم تنهد وسكت فقال سعيد : « ما بالك يا بلال ، وما الذي يدعوك الى التنهد ؟ »

قال : « يدعوتني اليه ندمي على ما فاتني من القبض على هذه المرأة في صباح هذا اليوم لاني رايتها في قبتها بالمسجد وقد مر بها ابن ملجم ورفيقه فكلماها قبل اقدامهما على تلك الفعلة الشنعاء ، ولكنني كنت اظن عليا والهفي عليه قد علم منك بما ينويه ابن ملجم فلا يترك له فرصة لارتكاب ذلك المنكر . وقد رايت بنت شحنة خارجة من المسجد بعد ان تحققت نيل بغيتهما بقتل الامام ، فياليتني قبضت عليها . ولكن ما قدر كان . وقد قتل الامام وقتل قاتله والامر في ذلك لله . على اني اذا عشت فسأنتقم لك وللاسلام من هذه الفاجرة . ومن غريب الاتفاق ان ابن ملجم هذا كان قد خطب سيدتي خولة من ابيها ولكنها لم تكن تحبه ولم ترض به »

ولم يكن بلال عارفا باطلاع سعيد على هذا الخبر من خولة فلم يشأ سعيد ان يعترف له به فظل صامتا لسمع بقية الحديث فقال بلال : « ولا شك ان سيدتي خولة ستفرح اذا سمعت بمقتل هذا العاقد لنجاتها من شره »

قال سعيد : « وما الذي يحملها على قبوله اذا لم تكن ترغب فيه ؟ » قال : « ان اباها هو الذي اطعمه بها ووعدته بزفافها اليه ، اما هي فانها كانت قد عازمت على رفضه مهما تكن العاقبة » .

تذكر سعيد حديث خولة ، وتمثلت له صورتها ملكا كريما وما هي عليه من الحمية والانفة والمروءة ، وما شعر به من الميل اليها يوم لقيها في القسطنطينية ايام كان لا يزال مخدوعا بمواعيد قطام ومشغولا بأمر الامام علي ، فلم يترك لقلبه يومئذ مجالا للحب ، فلما سمع ذكرها الآن تجددت ذكراها واحب ان يسمع حديثا عنها فقال : « وهل انت واثق من انها كانت مصممة على رفضه ولو اغضبت اباها ؟ »

قال : « نعم اني واثق بما اقول وقد لحظت شيئا آخر . . » . وسكت وهو يتسهم

قال : « وما هو ؟ » . قال : « ألم تلحظه انت ؟ »

قال : « كلا وما هو ؟ . قل » . قال : « لحظت أنك وقعت من نفسها موقعا

عظيما ، ولحظت ايضا انك لم تجهل ذلك «

قال : « كيف عرفت انى لم اكن اجهله «

قال عرفته مما رايت من خروجها اليك غير مرة ليلا ، التماسا لنجاتك
وهي تستجهلنى ولا تنتبه الى . ولكنك كنت فى شغل يومئذ بلهفتك على
انقاذ الامام على من كيد الحاقدين «

فعجب سعيد لما ظهر له من اطلاع بلال على سره ، وتذكر انه شعر بشيء
منه يوم كان فى الفسطاط وان اشتغاله بأمر الامام وخوفه عليه مع تعلقه
بقطام وعهودها حال بينه وبين تمكين جبل المودة مع خولة . فلما سمع
ما سمعه من بلال ساعتئذ احب ان يستطلع جلية الخبر فقال له : « افصح
عما فى نفسك انى لم افهم مرادك «

فقال بلال : « ان مرادى واضح مما ذكرته لك ، وها انذا افشى لك سرا
هو ان مولاتى خولة حين امرتنى بأن اسير فى ركابك ، اوصتنى بأن انتظر
حتى تكشف دسياسة ابن ملجم وننقذ الامام عليا ثم اطلعك على رغبتها فى
عودك الى الفسطاط لانها تكون قد نجت من خطبة ابن ملجم وتكون انت قد
فرغت من مهمتك ، ولا أدري ما تنويه هى فى رجوعك ؟ «

ففهم سعيد ما وراء ذلك فقال له : « اما رجوعى الى الفسطاط فلا يخلو
من مجازفة لما فى ذلك من الخطر على لائى انما جئت منها فرارا من القتل .
فاذا عدت فانما اعرض نفسى لما هو شر من القتل ، وابن العاص لا يعفو عني ،
ناهيك بكرهى لبلد فقدت فيه ابن عمى « . وسكت هنيهة وتنهى ثم قال :
« وهل انت واثق من ميلها الى ، فانى والحق يقال رايت فى خولة من الحمية
وعزة النفس مع التغانى فى نصره الامام ما جعل لها فى نفسى مقاما رفيعا .
ولا اكنمك ما خالج قلبى يومئذ من الميل اليها ولكننى كنت بحالق القلب
بقطام اخزاها الله فانها خدعتنى «

فابتدره بلال قائلا : « لا تذكر هذه الخائنة يا مولاي ، انى والله اكره ان
اسمع ذكرها ، لائى اشعر بقصورى وجهلى اللذين سببا نجاتها ، وهى والحق
يقال اصل هذا الشر العظيم . . . فى سبيل انتقامها لابيها واخيها ارتكبت
اعظم اثم حدث فى الاسلام . فقتلت ابن عم الرسول (صلعم) ولكننى سوف
اذيقها حتفها واسفك دمها ولو بذلت فى هذا حياتى « . قال ذلك وهو يحرق
اسنانه حنقا وأسفا

فقال سعيد : « وما ظنك بها الآن . اباقية هى فى الكوفة ؟ «

قال : « لا اظنها تبقى بعد ما ارتكبت فيها ، وقد افترض امرها وعلم الخاص
والعام انها شريكة فى القتل «

قال : « واين تراها تذهب ؟ «

قال : « لا أدري ، وسأبحث في ذلك صباح الغد ، أما الآن فلنعد الى ما كنا فيه فانك اذا لم ترجع معي الى الفسطاط أحسبني مقصرا فيما عهد الي فيه . وخولة يامولاي يندر مثلها بين البنات جمالا وتعقلا وانفة ، ولولا ابوها وتشيعه لمعاوية لانت بما لم يأتها أعظم الرجال . ولكنه كثير التشيع لابن ابي سفيان وكثيرا ما كانا يختلفان امامي ويختصمان على أمور أستدل منها على ذلك »



واحس سعيد بعاطفته تتجدد ، وشاقه حديث خولة وتاقت نفسه اليها ، ولكنه استثقل الذهاب الى الفسطاط مخافة الوقوع في قبضة عمرو بن العاص . ثم تذكر ان المتآمرين كانوا قد اجمعوا على قتله وقتل معاوية في مثل ذلك اليوم ، فقال : « ألم أخبرك ان اثنين آخرين تأمرا على قتل ابن العاص ومعاوية ايضا »

قال : « بلى أخبرتنى ولكننى لا أخاف على ابن العاص الوقوع في الشرك » قال : « وما الذى ينجيه منه وهو لا يدري ما يمكرون ، فاذا فنكوا به سهل على الدخول الى الفسطاط ويكون ذلك أسهل ايضا اذا قتل معاوية في الشام »

قال بلال : « ان البحث عن ذلك يحتاج الى وقت ، ولا بد لنا من التربص حتى تأتينا الأخبار أو ان نذهب نحن للبحث عنه »

قال سعيد : « لا صبر لى على الانتظار ، ولا أظنك تصبر عليه . فأرى ان تسير أنت على عجل الى الفسطاط تستطلع جلية الخبر ، وتعود باليقين . واذا جعلت طريقك على الشام جئت بالخبرين معا »

قال : « أمرك يا سيدى . وأنت ماذا تفعل ؟ »

قال : « أنقى هنا للبحث عن تلك الخائنة قطام ، فانى اتوق للانتقام منها فاذا لم اوفق الى ذلك عشت منغص العيش طول عمري . انها قتلت ابن عمى وأمير المؤمنين وكادت تقلبنى ! »

قال : « بالله دع امرها لى ، فانى أريد ان أشفى غليلى منها ومن عبدها الزنيم ريحان لا أراحه الله ، ولكننى أرى سفرى الى الفسطاط ادعى الى العجلة »

فأعجب سعيد بحماسة بلال ، وزاد ميلا اليه وشوقا الى خولة . واخذ يعيد الى ذهنه ما آنسه فيها من الخلال الحميدة والغيرة عليه ، وكيف كان التقاؤه بها سببا في نجاته من القتل ليلة ذلك الاجتماع . فضلا عما راه فيها

من الغيرة على أمير المؤمنين . ولكنه لم يكذب يذكر عاقبة ذلك السعى وحيوط ما دبره حتى اشتعل غيظا ، ولكنه لم ير حيلة فيما مضى فقال : « لقد قضى الأمر يا بلال ولم تبق لنا حيلة فيما مضى ، فاذهب أنت الى الفسطاط وعرج في طريقك على الشام ثم عد الى بالخبر اليقين عن عمرو ومعاوية . وأما أنا فاني باق هنا أبحث عن قطام وعجوزها وعبيدها ، فاذا عدت فوافني الى هذا المنزل »

قال : « وخولة ؟ ماذا أقول لها ؟ »

قال : « اذكر لها ان شوقى اليها لا يوصف ، وان ما عندي اضعاف ما عندها ، ولها منى عهد الله ان لن ينالها سواي »

قال : « أما رضاها فانا الضمين لك به » . وسكت بلال وقد أبرقت أسرته سرورا بما سمعه . ثم قطب وجهه بغتة وقال : « ولكن هب أن ابن العاص ما زال حيا وأبوها كما تعلم شديد التشيع له فلا أظنه يرضى بك زوجا لها ، فما الحيلة ؟ »

قال : « هذا راجع الى اختيارها ، ومتى عدت الى بالخبر نتدبر الأمر في حينه ، أما الآن فلا نضيع الوقت . امض الى الفسطاط على عجل وعد الى بالخبر اليقين وعلى الله الاتكال »

فأخذ بلال يستعد للرحيل ، وسعيد صامت يفكر فيما هو فيه . وأصبح الحصول على خولة شغله الشاغل ، ولكن فشله في انقاذ الامام اثار فيه حب الانتقام من قطام . فصمم على الفتك بها اما بيده واما بمساعدة الحسن بعد تبوئه عرش الخلافة



نجاة عمرو بن العاص

فلنترك سعيدا وبلالا على حالهما ، ولنعد الى خولة في الفسطاط . فقد تركناها عائدة في ذلك الليل الى منزلها على طريق عين شمس . وكان ابوها قد حبسها فيه . فلما أخرجها سعيد منه وسارا معا الى الدير ثم خرجت هي وحدها لم تر خيرا من أن تتظاهر بالبكاء والخوف فهرعت الى منزل أبيها باكية وكان هو لا يزال غائبا يتداول مع عمرو بن العاص في شأن الدين قبض عليهم في ذلك اليوم . فلما فرغ من أمرهم وحرص ابن العاص على اشراقهم سار الى محبس ابنته فرأى الباب مفتوحا وليس هناك أحد . فاستغرب الأمر وعاد توا الى منزله فرأى خولة جالسة في غرفتها تبكي . فتجاهل سبب بكائها وقال : « ما بالك يا خولة ؟ »

قالت : « كيف تتركني وحدي في ذلك البيت الم تخف على من ابتداء السبيل ؟ »

قال : « ألم ترى انى أقفلت الباب واوصدته خوفا عليك من ذلك ؟ »
قالت : « كيف تفعل بي هذا ؟ أعاصية أنا أمرك ؟ » . واستغرقت في البكاء فتحركت فيه عاطفة الأبوة ، وظنها تقول ذلك عن سداجة فقال لها :
« وكيف خرجت ؟ »

قالت : « لما رايت نفسي حبيسة هناك خفت على حياتي فجعلت اناديك واستغيث بك ، ثم سمعت قرقعة وضجيجا ووقع حوافر كثيرة فازداد خوفا فصحت واستجرت ، فقيض الله لى رجلا فتح الباب بالعنف فخرجت وهرولت الى البيت وانا ارتعد من شدة الاضطراب »

فطيب خاطرها ولامها على خوفها ، ولكنه سر لظنه أن حيلته قد انطلت عليها ، وما زال يهون عليها حتى تظاهرت بالرضاء فتركها وخرج وهو يظنها عازمة على الرقاد . ثم سمعت لفظ الناس في المدينة فانتبهت الى أن الجند لا يلبثون أن يفتحوا بيت الفقارى ، فاذا راوا سعيدا هناك قبضوا عليه فخرجت لانقاذه كما تقدم . وقبل خروجها اوصت عبدها بأن يوصد الباب ، واذا سال ابوها عنها يقول له انها نامت وأقفلت الباب عليها لئلا ياعراها من الخوف في ذلك المساء . فبات ابوها تلك الليلة وهو يحسبها نائمة ، أما هم . فبعد انقاذها سعيدا عادت الى غرفتها مضطربة فلم تسنطع رقادا ،

وجعلت تفكر في وسيلة تنقذ بها عبد الله ، ولم تمكث قليلا حتى سمعت لفظا في دار ابيها ، وفهمت من خلال اللفظ ان ابن العاص عول على اغراق اسراه في النيل ، وسمعت اباها يضحك سرورا لهذا القرار ، فأسفت أسفا شديدا، ولبثت برهة تفكر فيما تفعل، حتى حدثتها نفسها لفرط انفعالها ، بأن تخرج في أثر الخارجين لعلها تستطيع انقاذ عبد الله . فغافلت اباها وكان قد ذهب الى فراشه وخرجت وأوصدت الباب وولعها * وبلال نائم امام عتبته ، وسارت في اتجاه ضفة النيل حيث ظنت انهم ساقوا الأبرى وهي عزلاء دفعتها حماسها الى الخروج هكذا . فالتقت هناك بسعيد ودار ما دار بينها وبينه ووعدته بارسال عبدها ليصحبه الى الكوفة كما تقدم . ثم عادت وحدها

فلما أشرفت على المنزل راته هادئا وأهله نيام ، فانسلت الى الدار فرأت عبده بلالا نائما فأيقظته فهب من رقاده مدعورا وكانت تعلم شدة تعلقه بها وتفانيه في مرضاتها ، فدعته الى غرفتها فتبعها فلما خلت به قالت :

« أتدرى لماذا دعوتك ؟ »

قال : « كلا يا مولاتي ولكنني رهين اشارتك »

قالت : « اتطيعني يا بلال ؟ »

قال : « كيف لا وأنا عبدك وطوع أمرك ؟ »

قالت اريد أن اعهد اليك في امر خطير فهل تقوم به ولو أدى الى الموت ؟ »

قال : « ان الموت هين في سبيل مرضاتك . مري يا سيدتي بما تشائين

فاننى في خدمتك »

قالت : « أسمعك بما حدث اليوم في عين شمس وما فعل ابن العاص

بالمجتمعين هناك ؟ »

قال : « نعم وقد ارتكب اميرنا فيه امرا جسيما وقتل كثيرين »

قالت : « أما سرك ما فعله ابن العاص بأولئك العلويين ؟ »

قال : « اذا كان سرك فانه يسرنى »

قالت : « وما ظنك بى ؟ »

قال : « لا أظنك راضية عن هذا العمل ، لعلمى أنك على غير دعوة الأمويين،

وان يكن سيدى ابوك متفانيا في سبيل التشيع لهم »

قالت : « وكيف عرفت ذلك ؟ »

قال : « أنت تحسبيني ساذجا وقد قضيت في خدمتك أعواما طوالا

واطلعت على مكنونات قلبك وأنت لا تعلمين . وأما الآن فقد دفعتنى الى

التصريح بأنى اعلم غرضك ولم يفتنى شيء مما تقاسينه في سبيل الدفاع

عن الامام على ولا سيما امس ، وانت لا تعلمين شيئا الا انى احرس هذا الباب الموصل واكنتم خروجك منه عن ابيك »

فاستغربت خولة قوله ولكنها سرت به وقالت : « وما قولك فيما حدث امس ؟ »

قال : « اتحسبيني غافلا عما قاسيته في سبيل انقاذ ذلك الشاب الغريب الليلة ، وقد كان في جملة من خيف عليهم الوقوع في شرك ابن العاص فأنقذته بهمتك ؟ »

فتحققت انه كان يراقب حركاتها وسكناتها . فتهلل قلبها سرورا فقالت : « اما والحال على ما ارى فاخبرك ان ذلك الشاب مسافر الآن الى الكوفة ، واريد منك ان تذهب اليه بالجملين الى سفح المقطم ، فاذا التقيت به هناك فسر في ركابه الى الكوفة واحذر ان يدري بك احد او ان تذكر ذلك لاحد » ولم تتم كلامها حتى خرج مسرعا بهم باعداد الجملين ، فاسترجعته وقالت : « قف يا بلال بورك فيك واسمع كلمة اخرى اقولها لك » فعاد وقال : « لبيك يا مولاتي قولى ما تشائين »

قالت : « انك ذاهب مع هذا الشاب الى الكوفة لانقاذ الامام على من القتل ، وستعلم تفصيل ذلك منه . واما الآن فيكفينى ان اوصيك به خيرا ، واذا انتهيتما من تلك المهمة فارجع به الينا ، فانى اكره ابن ملجم الذى يريد ابي خطيبا لى . هل فهمت ؟ »

فضحك بلال وهز رأسه ولسان حاله يقول : « فهمت »

فقالت : « سر فى حراسة الله ، وكنت اود ان ازيدك بيانا ، ولكن الوقت ضيق فاذهب وعد سالما باذن الله ، واحذر ان تبوح لاحد بما سمعته او رايته »

فخرج وهو يلتفت اليها كأنه عاتب على ما ظهر من ضعف ثقتها بأمانته ، ولكنه كان فرحا بما كلفته به ، فأعد الجملين وخرج الى سفح المقطم وصحب سعيدا كما تقدم



ولما خرج بلال عادت خولة الى غرفتها ، وغلقت الباب واستلقت على فراشها وقد تعبت مما قاسته في ذلك اليوم من المشاق ، وكان قد هم بها العاس لولا ما شغل ذهنها من عظام الأمور ، وما تخلل ذلك من شعورها بالميل الى سعيد ، ولولا الحياء واهتمامها بانقاذ الامام لصرحت به . وذلك لما آنت فيه من الرغبة فى انقاذ الامام على ، مع ما فى قلبها من النور السديد .

من ابن ملجم حتى كرهت أباه من أجله ومن أجل تشييعه للأمويين
قضت بقية ليلها لم يغمض لها جفن ، وهي تفكر في سعيد ، وقلبها
يخفق ميلا إليه وخوفا من فشله في مهمته . فجعلت تقدر الوقت اللازم
لسفره الى الكوفة فرأت انه اذا أسرع لا يفوته الوصول اليها قبل الأجل
المضروب للقتل . وكان يعترض مجرى افكارها خوفا مما قد يطرا عليه في
الطريق فيعيق وصوله فترتعد فرائصها فرقا على حياة الامام . وفي قتله
ضربتان كبيرتان : الاولى موته ، والاخرى عودة ابن ملجم اليها . ولكنها كانت
تتعزى بأن ابن ملجم اذا ظفر بقتل الامام لا ينجو من القتل . ثم تحول ذهنها
الى ابيها وخروج عبدها بالجميلين ، وأعدت أعدارا تنتحلها في سبب خروجه
فلم تجد خيرا من أن تدعى فراره الى حيث لا تعلم

وكان أبوها قد افلق في اثناء الليل وهي غائبة فجاء غرفتها ليراها فوجد
الباب موصدا فسأل العبد عن ذلك فقال : « ان سيدتى استولى عليها الخوف
على غير المعتاد فأوصدت الباب وأوصتنى بأن أنام خارجا »
فقال أبوها في نفسه : « مسكينة خولة ان رعبها من ذلك الحبس لا يزال
مؤثرا فيها » . وعاد الى فراشه وهو مصدق ما قاله العبد

وفي الصباح جاء الغرفة فرأى الباب لا يزال موصدا ولكن بلالا ليس امامه
فقرعه فنهضت خولة وفتحته وهي تتظاهر بالذبول لطول استغراقها في
النوم . فأمسكها بيده الواحدة ووضع الاخرى على كتفها وهو يقول :
« لعلك لا تزالين خائفة يا بنية ؟ »

قالت : « كلا يا سيدى انى تحت جناحك فى امن وطمأنينة »
فقال : « بورك فيك تعالى نتناول الطعام » . ثم نادى بلالا فلم يجبه احد
فقال : « أين بلال ؟ »

فقالت : « لا أدري لعله ذهب الى السوق »
فانتظر هنيهة فلم يجيء ، فأرسل خادما فى اثره فلم يقف له على خبر
ثم علم بضياح الجميلين ولما انقضى معظم النهار ولم يعد بلال ولا الجملان اشكل
عليه امره ، فقالت خولة : « يظهر انه اخذ الجميلين وفر » . فبعث اناسا فى
اثره الى ضواحي المدينة فلم ياتهم بخبره ، فصدق انه فر



اما خولة فلما تحققت انطلاء الحيلة على ابيها عادت الى هواجسها وتذكرت
المهمة التى ذهب فيها سعيد ، وأخذت تفكر فى امره وهي خائفة ان يتأخر فى
الطريق عن الوقت المضروب لقتل الامام فيذهب سعيها هباء منثورا ، ولكنها

كانت مع ذلك فرحة لنجاتها من ابن ملجم ، لعلمها انه ان فاز بقتل الامام علي فلا ينجو من سيوف أشياعه وهم كثار في الكوفة . ولكنها شغلت من ناحية أخرى بسعيد بعد ان انتهت من تدبير سفره ولم تكن واثقة من وقوعها من نفسه مثل وقوعه من نفسها وتمنت لو يعود عبدها بلال ليطمئن قلبها ، علي انه لم يكن قد أرف زمن رجوعه بعد فصبرت علي مضض تترقب أحداث القدر

وجاء أبوها ذات مساء بعد عودته من حانوته وعلي وجهه سيماء البشر وقرات فيه خيرا جديدا ، فأخبت ان تعرف كنهه . فلما جلسا الي الطعام احتالت علي استطلاع حديثه فذكرت له أمر العلويين والقبض عليهم وتفنتت في استرضائه ، فابتسم وانقاد الي الكلام مع ما هو فيه من الالتهاء بالطعام ، وكأنها أدركت ما في ضميره فتوقفت عن طعامها تنتظر حديثه ، فالتفت اليها وقال وهو يبتسم : « لقد عودتني يا خولة ان أحاذر في الكلام معك فيما أخشى افشائه »

فاستغربت وقالت : « انى لأعجب يا ابتاه من سوء ظنك بي ، فأنا فتاة متحجة في هذا البيت لا أعرف من أهل الدنيا احدا سواك ، فكيف تقول انك تحاذر ان تذكر أمامي ما تخشاه افشائه . أى سر بحت به الي فأفشيته ؟ » . قالت ذلك وهمت بأن تتباكي

وعاد هو فابتسم وقال : « لم اقل انك تبوحين بالسر ولكن . . . » . وسكت

فقالت : « ولكن ماذا يا ابتاه ؟ انك تظلمني بظنونك ، ويسوءنى الا يكون لى نصيب من الثقة حتى ولا من أبى الذى لا أعرف احدا سواه »
قال : « لا أخفى عليك يا ابنتى اننى كنت ولا أزال أعتقد انك ميالة الي الأعداء و »

فابتدرته وقالت : « واى أعداء تعنى ؟ . أعوذ بالله من هذه التهم ! كيف تقول ذلك ؟ ! » . وتنحت عن المائدة وأعرضت عن الطعام

فقال : « انى الحظ ميلك الي العلويين ، وانت تعلمين ان عليا حاربنا وقتل جماعة منا في النهروان وغيرها . ولا ألومك على ميلك اليه ، لأننى كنت أنا ايضا مثلك في جملة المتشيعين له ، ولكنى أصبحت بعد وقعة صفين ناقما لغيره لما ارتكبه في مسألة الحكمين بحيث أخرج الخلافة من يده وجعل لمعاوية يدا فيها »

فأدركت انها اذا أقرت بحقيقة ميلها القت نفسها في تهلكة ، فلم تر خيرا من الانكار فقالت : « وما أدراك انى باقية على الراى القديم ، فانك ان كنت انت انحرفت عنه فمن اكون أنا حتى أخالفك فيه »

قال : « لو لم تكونى على هذا لما تمنعت عن زواج ابن ملجم وانت تعلمين ان هذا الرجل قد عاهد نفسه على القيام بعمل لم يقدم عليه احد من المسلمين فى هذا العصر . فقد صمم على قتل على »

فأجفلت عند سماعها ذلك التعريض وحدثتها نفسها بان تبوح بحقيقة ميلها ولكنها خافت ضياع الفرصة وهى انما افتتحت الحديث لتستطلع ما فى نفس ابيها ، فأنكرت التهمة كل الانكار وقالت : « ان ما تنسبه الى من امر ابن ملجم ظلم يا مولاي ، فانى لم ارفض الرجل وهو خطيبي متى عاذ من رحلته هذه . وكيف تقول انى لم أقبله وأنا لم أفه بكلمة فى هذا الشأن ؟ »

فضحك ابوها وهو يتشاغل بتقطيع فخذ من الضان بين يديه ، وقال : « نعم انك لم تفوهى بكلمة ، ولكننى أدركت من مجمل حالك انك غير راضية به . » وكان قد أتم تقطيع اللحم فقدم لها قطعة فأبت ان تتناولها وأعرضت دلالة وحنقا

فقال لها : « خذى كلى ياخولة ولا يسؤك كلامى »

قالت : « انما ساءنى لانى ارانى مظلومة واظنك عاملتنى معاملة العدو فحبستنى فى ذلك البيت المظلم بناء على هذه الظنون »

قال : « لقد اذكرتنى حديث تلك الليلة وما كان فيها من الاهوال ، وهو الامر الذى جئت لاقص خبره عليك ، ولكننى لا أقول كلمة قبل ان تصدقينى الخبر : هل انت على ولاء ابيك تأتمرين بأمره . ام ماذا ؟ »

فتفاضبت وقالت : « انى اراك تخرجنى وتلجئنى الى الانحراف عن دعوتك بما تشير به على من الظنون وأنا لا ابغى من هذه الحياة غير مرضاتك » فمد يده وهو لا يزال قابضا على قطعة اللحم وقال : « خذى اذن هذه اللقمة وأصغى لما أقوله لك »

فتناولتها من يده وقالت : « قل » . ووضعت اللقمة فى فمها وهى لا تمضعها لانشغال ذهنها بما ترجو سماعه فقال : « اعلمى ياخولة ان امرنا حفظه الله علم بقدم رجلين اتيا من الكوفة للاجتماع ببعض كبار العلويين الذين كانوا يجتمعون سرا فى خرائب عين شمس ، فبعث جندا من شرطته فقيض عليهم فى مجتمعهم تحت الارض . ألم تسمى بهذا ؟ »

قالت : « عرفت بعض خبره بعد حدوثه »

قال : « فاعلمى اننا وجدنا بين المقبوض عليهم فى تلك الليلة واحدا من ذينك الاثنيين اسمه عبد الله . واما الثانى فقد نجا ، ولا ندرى من هو ، ولعله لم يشهد الاجتماع . اما الاول فساقوه مع من سيق تلك الليلة الى دار الامارة وقد يكون وقع اليك ان الامير رأى ان يقتل اولئك المتأمرين ، وكنت أنا ممن أشار عليه بذلك مخافة الفتنة اذا ظلوا احياء . فامر عمرو باغراقهم فى النيل

وعبد الله معهم ، وقد عدت أنا من حضرة الامير وهم يتهبأون لارسالهم الى النيل وعلمت في اليوم التالي انهم أغرقوهم «

فلم تر خولة في حديثه شيئاً لم تكن تعرفه ، ولسكنها رأت ان الحديث لم يتم فصبرت وتظاهرت بخلو الذهن من هذا الموضوع الغريب

أما هو فقال : « وقد كنت أعتقد انه أغرقهم جميعاً حتى كان اليوم وأنا في منزل الامير فرايت في بعض جوانبه عرفة مقفلة كنت كلما جئته أراها مغلقة فلم أهتم بشأنها ، فلما كان عصر اليوم دخلت على الامير وأنا عائد من عملي ، فذكرت له أمر ابن ملجم ومهمته وطفقنا نتحدث فيما عسى ان يكون من أمره في الكوفة ، فلما وصلنا الى ذلك رأيت يبتسم ، وتوسمت في وجهه خيراً فرغبت اليه ان يطلعني على ما حدث ، وأنت تعلمين ما لي من الدالة عليه . فتردد اول الامر ، فألححت عليه فقال لي : « أتعلم من هو المقيم بهذه الغرفة ؟ » قلت : « لا يامولاي ، لا أعلم ، وليس من شأنى السؤال عما في منزل الامير » فضحك عمرو حتى رقصت لحيته وقال : « انى حبست فيها رجلاً سينقذ حياتي من القتل »

فعجبت لقوله واستغربت ما يشير اليه ، ولبثت أنتظر الافصاح فقال لي : « اعلم يا صاحبي انى حبست في هذه الغرفة عبد الله الاموى الذى كان قدومه سبباً في قتل العلويين منذ ايام »

فلما سمعت خولة ذكر عبد الله علمت انه رفيق سعيد ، وخفق قلبها فرحاً بنجاته ، ولسكنها استغربت سبب تلك النجاة ، على انها ظلت متجاهلة تتوقع سماع تنمة الحديث ، وأبوها يتشاغل عن اتمامه بالمضغ والبلع ، وكان اكولا فلما خلا فمه من الطعام عاد الى الحديث فقال : « فاستغربت كلامه وسألته عما عساه ان ينجيه من الموت ؟ فذكر لى ان صاحبك ابن ملجم خطيبك هر احد المتأمرين على قتله ايضاً مع على في يوم واحد ، وانه سمع ذلك من عبد الله هذا فلم يصدق قوله لغرابته وأساء به الظن لعلمه ان ابن ملجم من رجال دعوتنا ، ولكنه لم يسعه الا ان يستبقيه ويحبسه في منزله ريثما يأتى الاجل المضروب لقتل على وقتله وهو يوم ١٧ رمضان ، فاذا تحقق صدق قوله أفرج عنه والا ضرب عنقه . فلما سمعت ما قاله الامير استغربته كل الاستغراب وخفت ان يكون قد أساء الظن بى ، فأقسمت له الايمان المغلظة انى لم أكن عالماً بغير عزم ابن ملجم ، وسألته هل عرف اسم الرجل الآخر الذى تعهد بقتله فذكر لى ان الاموى الاسير لا يعرف الاسم »

قالت خولة : « وماذا تنوى ان تصنع ؟ » . قال : « الحق يا ابنتى انى لم أدر كيف اؤكد للأمر صدقى واخلاصى بخافة ان يبقى على سوء ظنه بى ، فبالفت في اظهار الغضب من ابن ملجم ، وقلت له : (انى لو عرفت خداع الرجل ما رضيت به صهراً ، وأنا منذ الآن مانعه من خولة) . ولما قلت له ذلك

التفت الى وقال : (لا يكفيني هذا الوعد وانا اعرف خولة واعرف مقامها ، وطالما كنت اريدها لاحد اولادى ، واما الآن فانى اطلب اليك اذا صدق هذا الاموى فى قوله ان تكون ابنتك خولة عروسا له ، لان الرجل اموى وكان على دعوتنا حتى اغراه بعض الناس بالتشيع لعلى) . . «

فلما وصل الى هذا الحد علمت خولة ان عبد الله لا يزال حيا ، واطمان قلبها وادركت انه لم يذكر اسم المتآمر الثالث على قتل معاوية مخافة ان يرسل عمرو بخبره الى الشام فينجو معاوية منه

ولكنها لما سمعت ذكر خطبتها له اطرقت حياء وسكتت وقلبها يختلج فرحا بنجاتها من ابن ملجم ، ثم تذكرت حبها سعيدا وما بعثت به اليه مع عبدها بلال ، فاحتارت فى امرها على انها لم يسعها الا كتمان كل ذلك والتظاهر بالاستغراب فقالت وهى تهز راسها استغرابا : « اصحيح انهم تأمروا على قتل عمرو ايضا انها لمصادفة غريبة ؟ »

قال : « حقا انها مصادفة نادرة ، ولكن ما قولك فى اقتراح عمرو ؟ » فسكتت ولم تجب

فقال : « ما معنى سكوتك وانت تعلمين اننا لانستطيع رد ذلك الاقتراح ؟ » قالت : « دع هذا الآن ، فانه ليس بالامر المهم ، وما خولة الا جارية حقيرة لاتستحق هذا الاهتمام ، ولنصبر الى الاجل المسمى لترى ما يكون »

فقال : « اننا صابرون ، وارجو ان يكون خطيبك الجديد اهلا لك وليس مثل ابن ملجم الخائن ، على انى ادركت من خلال حديث عمرو ان عبد الله رجل كريم ، وهو اموى ربي فى منزل الخليفة عثمان ، ولكنهم اغروه بالتشيع لعلى ، ثم عاد الى ما كان عليه . واذكر انى رايت ليلة قبضوا عليه فاذا هو شاب فى مقتبل العمر واظنك سترتاحين اليه »

فظلت خولة ساكنة ، فحسب والدها سكوتها قبولا فسكت ، وكانا قد فرغا من الطعام فنهض ونهضت خولة فغسلت يديها وذهبت الى غرفتها وهى تفكر فيما سمعته من ابيها وتحسب نفسها فى حلم



فلما خلت بنفسها تذكرت سعيدا وحبها له فتقاذفتها الهموم ، وهى تخاف ان يحملها عمرو على الاقتران بعبد الله قبل ان تعلم مصير سعيد ومهمته فى الكوفة ، وقد اعجبت بدهاء عبد الله لانه باح بخير المؤامرة على قتل عمرو وكنتم امر المؤامرة على معاوية ، ولكنها خافت الا تتم نبوءته فلا ياتى القاتل فى الاجل المعين فيقتله عمرو . وكانت اذا تصورت صدق نبوءته ونجاته من القتل يخفق قلبها لاضطرارها عند ذلك الى قبوله زوجها لها وهى تحب سعيدا ،

فهاجته اشجانها وارتبكت في امرها ، وجعلته تبحث عن سبيل تنجو به من هذا التردد فلم تر خيرا من الصبر والنزول على حكم القدر
اما عبد الله فكان قد جنح الى هذه الحيلة خوفا على حياته ، وكان يخشى ان يتأخر المتعهد بقتل عمرو عن المجيء لسبب من الاسباب فيذهب سعيه عبثا

وظل عمرو اياما لا يخرج للصلاة ، فلما كان فجر ١٧ رمضان شكوا لما في بطنه فلم يخرج ، واتفق خروج خارجة بن ابي حبيبة صاحب شرطته للصلاة وهو لا يعلم بخبر المؤامرة ، ولم يامرهم عمرو بالخروج ولو علم بخروجه لمنع ، على انه لم يكن يحسب ان القاتل ياتي لقتله في الفجر وهو يصلي ، بل كان يحسب انه سيراقب خروجه في اثناء النهار في بعض شئونه . ولكن منية خارجة عاجلته فخرج فجر ذلك اليوم الى الجامع ليصلي بالناس ، ولم يكذبها حتى هم به رجل من الوقوف وهو يحسبه ابن العاص فضربه بالسيف فقتله فقبضوا عليه وساقوه الى عمرو . فلما رآه عمرو بغت وصاح به : « ويلك قد قتل صاحب شرطتي قتل خارجة بن ابي حبيبة » . فأجابه الرجل بقلب لا يهاب الموت : « والله اني كنت أحسبه أنت »

فقال له عمرو : « اردتني واراد الله خارجة . من أنت يا غادر ؟ »

قال : « عمرو بن بكر » . قال : « وممن أنت ؟ » . قال : « من تميم »

فقال : « اقتلوه » . فقتلوه ، وقد حزنوا لمقتل خارجة ولكن ما قدر كان اما خولة فانها باتت ليلة ١٧ رمضان على مثل الجمر وهي تتوقع ان تسمع خبرا جديدا في اليوم التالي ولم تكن تتوقع ان يفعل الفادر فعلته في الفجر فأصبحت وقد ضجت الفسطاط بخبر خارجة وجاءها ابوها فأخبرها به ولسان حاله يقول : « لقد صحت أقوال عبد الله فتأهبي للاقتران به »

تحققت وقوع المحذور ولم تعد تدري ماذا تفعل وندمت لأنها لم تفادر بيت ابيها سرا قبل ذلك اليوم على انها لم تكن من الجهة الاخرى موقنة من ان سعيد يبادلها ودا بود ، فانها لما لقته في الفسطاط لم تتحقق ميله اليها . فوقع في حيرة ولكنها كانت مع هذا في قلق على الامام على لا تدري هل نجا كما نجا عمرو ام ذهب فريسة ابن ملجم وتمنت لو ان عبدها يعود في ذلك اليوم بالخبر اليقين

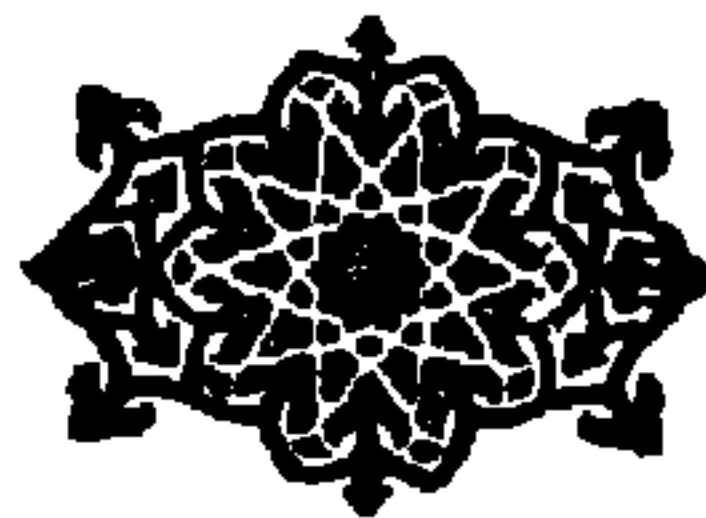


تركنا سعيدا وبلالا في الكوفة وقد اخذ الاخير يتأهب للسفر الى الفسطاط ، واخذ سعيد يفكر فيما يفعل بعده وكان هو الذي امره بالذهاب الى الفسطاط ليعود اليه بالنبا اليقين عن عمرو . ثم رأى انه قد يطول به الانتظار ولا صبر له عليه . فقال لبلال : « كنت قد امرتك بالذهاب الى الفسطاط ، ولكني ارى

اجل عودتك بعيدا فلهدا رايت ان اذهب الى دمشق لانتظرك بها ، على ان
توافيني الى مسجدنا بعد عشرين يوما ، وسواء اتمكنت من الفتك بقطام ام
لا ، فاني سأعرف هناك مصير معاوية »

وسافر بلال ، وصبر سعيد الى الغد ثم خرج قاصدا بيت قطام فراه
مقفرا من أهله ، فوقف عند باب الخديقة يتأمل نخلاتها وطرقاتها ويفكر فيما
مر به هناك من الاحداث وما انطلى عليه من مكر قطام غير مرة ، وتذكر آخر
مرة زارها في ذلك المنزل ومعه ابن عمه عبدالله فازداد ميلا الى الانتقام منها .
وفكر في المكان الذي عساها ان تكون قد ذهبت اليه ، فخطر له ان تكون قد
سارت الى اهله في جوار الكوفة ، فمضى للبحث عنها هناك ، ولكنه لم يقف
لها على اثر ، فمل البحث وخاف ان ينقض الاجل الذي ضربه لبلال كيما يوافيه
هذا في دمشق ، ولاح له ان قطام قد تكون سافرت الى دمشق لتلتجىء الى
معاوية بعد ان نجحت في قتل الامام على منافسه ، فحزم امره وقصد الى
دمشق على ناقه تسابق الرياح

اما قطام فكانت قد علمت من ريحان بقدمه في الليلة التي وصل فيها الى
الكوفة ، اذ عاد اليها ريحان واخبرها بما دار بينه وبين بلال عبد خولة ،
وحكى لها ما فضحه هذا من سره وكيف كان سببا في انكشاف امره لدى سعيد
فلم يعد يصدقها ولم يرض المجيء معه الى بيتها ، فحنقت على بلال وعلى
سيدته خولة ، وشعرت مع كرهها لسعيد بالغيرة تأكل قلبها من اجل علاقته
بخولة ، ولا سيما ان هذه كانت عونا على عرقلة مساعيها لقتل الامام على ،
فأضمرت لها السوء ولكنها شغلت عنها تلك الليلة بما كانت فيه من انتظار
الفتك بعلي . وكان ابن ملجم يائسا عندها . فلما كان الفجر خرجت هي
وعجوزها وعبيدها ، وضربت قبتها في المسجد كما تقدم . وفي ذلك من الجراءة
ما فيه ، ولم تكن تخشى كشف حيلتها لما دبرته من ارسالها لبابة المحتالة
بالصك بعد تغييره الى قنبر حاجب الامام



نجاة معاوية

قتل الامام علي ، وراة قطام انه قد قبض على ابن ملجم كما توقعت فسارعت الى الفرار بعدها وعجوزها الى مكان خارج الكوفة ، وقد شفت حزاة صدرها بقتل الامام . ولكنها بقيت نائمة على سعيد وزادت تقمتها بعدما علمته من امر خولة ، فعزمت على الذهاب الى الفسطاط ، لتشي بها الى عمرو ابن العاص لاعتقادها انه لا بد مقدر لها ما انبأته به عن سر اجتماع العلويين . ولم يخامرها شك في نجاح وشايتها بخولة ، لانها من انصار علي ، فيقتلها اذا كان هو قد سلم . اما اذا كان قد قتل ، فانها لن تعجز عن تدبير حيلة اخرى . واستشارت لبابة فيما عن لها فاستحسنت رايها ، وحسنت لها المسير الى الفسطاط . واستشارت ريحان فقال لها : « اني في ركابك ، اينما توجهت » . فاثنت على غيرته ، واصبحت في اليوم التالي قاصدة الفسطاط على ان تمر بدمشق وتستطلع حال معاوية وما كان من امره بعد ١٧ رمضان . فاذا كان قد قتل ، فتحمل الخبر الى عمرو ، وتحرضه علي طلب الخلافة لنفسه فلما وصلت الى دمشق سمعت ان رجلا اسمه البرك بن عبد الله التميمي الصريمي ، قعد لمعاوية في فجر ١٧ رمضان في مسجد دمشق . فلما خرج معاوية للصلاة شد عليه بالسيف فوقع السيف في اليته . فلما اخذوه اليه قال له : « ان عندي خيرا اسرك به ، فهل ينفعني ان انبئك به ؟ » فقال له معاوية : « نعم » قال : « ان اخالي قتل عليا هذه الليلة » فقال : « لعله لم يقدر على ذلك » قال : « ان عليا ليس معه احد يحرسه . فلا بد ان يكون قد قتله » فامر به معاوية فقتل ، ومضى هو يطيب جرحه فلما علمت قطام بنجاة معاوية لم يبق لديها الا الشخوص الى الفسطاط للايقاع بخولة



اما عبد الله فلبث في سحنه بمصر وقلبه واجف لما يخشى من حبوط

المؤامرة . وقد خطر له أن يحتاط لذلك ، فلما باح لعمره بالسر اشترط عليه الا يطلع احدا عليه لانه اذا شاع وبلغ خبره المتآمر فقد يعدل خطته ، فيقدم الميعاد أو يؤخره ، واقتنع عمرو بهذا ، فكتب امر المؤامرة عن كل الناس حتى صاحب شرطته . اما أبو خولة فقد كان من أكثر الناس تقربا من عمرو ، وأعظمهم غيرة عليه ، وكان عمرو يثق فيه ، على انه لولا رغبته في معاتبته على خيانة صهره ابن ملجم لما كشف له الامر

فلما كان ليل ١٧ رمضان أخذ القلق من عبد الله مأخذا عظيما لعلمه انه أصبح بين الحياة والموت . فلما كان الصباح وهو في سجنه يطل من كوة ليرى أو يسمع ما يجري وصل الى اذنيه لفظ لم يفهم منه شيئا صريحا ، فانتظر حتى جاءه الحارس بالطعام على عادته ، فعلم منه ما حدث ، فاطمأن . وبعد العشاء جاء احد رجال عمرو الى السجن فحل قيوده ودعا الى مجلس الامير ، فمشى في أثره وهو يرى نفسه قد خرج بذلك من عداد الاموات . فقاده الرجل الى قاعة جلس فيها عمرو بن العاص على وسادة ، وفي يده درة (سوط) يلاعبها بين أصابعه ، وليس في القاعة احد سواه . فلما اشرف عبد الله على القاعة نزع حذاءه ودخل توا الى مجلس الامير وهم بتقبيل يده ، فأمسكه ابن العاص بيمينه وأجلسه الى جانبه وهو يقول بصوت منخفض : « لقد كانت نجاتنا على يدك فحق لك علينا التكريم ، ولكن وقع صاحب شرطتنا في الشرك الذي كان منصوبا لنا ، ولو علمنا الساعة أو المكان المعين لتلك القعلة الشنعاء لاستطعنا تداركها ، أو لاطلمت خارجة على سر الامر فربما كان نجا بنفسه ، ولكنى لا أظنه كان يستطيع ذلك وهو لا يعلم الزمان والمكان المعينين »

فقال عبد الله : « ان حياتي كانت رهنا ببقاء الامر سرا ، ولو انه شاع لغير الفادر خطته تأخيرا أو تقدима ، وكنت انا المقتول الآن بدلا من خارجه ، لأنك كنت تسيء الظن بي فتقتلني »

ولم يتم كلامه حتى دخل خادم يقول : « ان أباخولة بالبواب » . فقال عمرو : « ادخلوه »

فدخل أبو خولة ولم يكن من مصاف الامراء ولا من القواد الانداد حتى تكون له تلك المنزلة عند عمرو ، ولكنه نال الحظوة عنده عندما اطلعه على عزم ابن ملجم على قتل على . وظل يتردد على دار عمرو ويبدل وسعه في خدمته حتى عده عمرو من أصحابه

فلما دخل أبو خولة القاعة حيي ، وقبل أن يجلس قال له عمرو : « أغلق الباب ، ومر الخدم الا يأذنوا لاحد » . ففعل ودخل . فدعا عمرو الى جانبه وعرف اليه عبد الله ، فأعجب أبو خولة به لانه كان شابا جيلامع نباهة وذكاء ، وسر لما دبّره عمرو من مصاهرته له . واما عبد الله فكان خالي الدهن من كل هذا

فلما جلس الثلاثة التفت عمرو الى عبد الله وقال له : « لقد عرفتك بصاحبنا
أبي خولة ، وأزيدك علما انه من أعز أصدقائي ، وقد كتبت أمر المؤامرة عن
كل احد سواه ، ولكنني اشترطت عليه شرطا أظنه يعود عليك بالمنفعة ، وقد
فعلته مكافأة لك على خدمتك لي »

فوقف عبد الله متأديبا وقال : « أياذن لي مولاي في كلمة ؟ »
قال : « قل » . قال : « لاتحسب أيها الامير أن لي فضيلا بما بحث لك به ،
فاني والحق يقال انما فعلته استبقاء لحياتي ، فلأتظنني اخذتك أو اخذت نفسي »
فأعجب عمرو بصراحة عبد الله وقال له : « لم تزدني بما قلت الا رغبة في
مكافأتك ، ان ابن العاص لا يجهل قدر الرجال وليس من السذاجة بحيث
لا يدرك انك لو لم تقع في يده وتشعر بالخطر على حياتك ويألا نجاة لك بغير
افشاء ذلك السر ، ما أقدمت عليه . ولكنني مع كل ذلك أقدر جميلك ، وأريد
مكافأتك . وقد رأيت من صدق قولك ما أكد لي انك لو كنت من أنصارنا
لكان لنا بك نعم النصير ، وأنت أموي على ما علمت فليس تشييعك للعلويين
معقولا » . قال ذلك وفي صوته غنة استفهام كأنه يستفهم عن سبب تشييعه
فسكت عبد الله . فقال عمرو : « ولكنك لم تسألني عن المكافأة التي أعدتها
لك »

قال : « قلت اني لا استحق مكافأة »

قال عمرو : « امتزوج انت ؟ »

قال : « كلا يا مولاي »

قال : « اذن فاعلم ان في الفسطاط فتاة يتحدث بجمالها وتعقلها اهل هذه
المدينة ، وهي ابنة صاحبى هذا (وأشار الى ابي خولة) . ولا أخفى عليك
انها كانت مخطوبة لعبد الرحمن بن ملجم ، وهو احد المتأمرين على قتلى وقتل
على بن ابي طالب ، ولا ندري ما كان من أمره اليوم فانه الموعد المضروب »

ولما قال عمرو ذلك تذكروا عبد الله ما كان قادما من أجله مع سعيد وكيف
فشلت مهمتهما فانقبضت نفسه ولكنه تجلد وصبر الى آخر الحديث

فأتم عمرو كلامه قائلا : « ان خولة هذه كانت مخطوبة لابن ملجم ، على ان
يتزوجها بعد عودته من الكوفة ، ولا ريب ان ذلك الخائن كان عالما بتواطؤ عمرو
ابن بكر على قتلى فكتم ذلك ، وسار ولم يطلعني على شيء منه ، ولهذا عددته
شريكا في قتلى ، فحرمته من خولة ، ولني دالة على ابيها لانها بمنزلة ابنتي ،
وقد خطبتها لك منه ، ومتى رأيتها تحققت ان قد أزوجناك زهرة الفسطاط
وخير بناتها » . ثم التفت عمرو الى ابي خولة وقال : « ولا تظننا فرطنا في
خولة ، فان هذا الشاب من سلالة الامراء ، ويكفى انه أموي وبينه وبين الخليفة
معاوية نسب قريب . أما الخائن ابن ملجم فان عاد اليها فلا أبقاني الله ان أبقيته
حيا . ولكنني لا أظنه الا مقتولا في دار ابن ابي طالب فاز في مهمته ام لم يفر » .

قال ذلك والغضب باد على وجهه ، فعزح عبد الله بما ناله من الحظوة في عيني عمرو ، وارتاح لما سمعه عن خولة ، ولكنه بقي قلقاً على ابن عمه سعيد ، وما كان من أمره يعد أن فارقه في مسجد القسطنطين يوم اجتماع عين شمس . وحدثته نفسه ان يسأل عمرا عنه مخافة ان يكون وقع في أيدي رجاله ، ولكنه لبث ساكنا يتردد ، وقد نسي اقتراح عمرو . فظنه عمرو غير راض فقال : « ما بالك لم تجيب ؟ لعلك لم ترض بخولة ، والله اني ارضاها لأعز اينائي »

فابتدره عبد الله قائلا : « عفوك يامولانا ، كيف لا ارضى بما رضيتته انت لي ؟ وما سكوتى الا لاني حسبت اقتراح الامير امرا نافذا لاخيرة لي فيه ، على اني ارجو ان تسألها هي رايتها في الزواج بغريب مثلي » فقال ابو خولة : « ان خولة جارية مولانا الامير ، وما يرضاه لها لامندوحة لها عنه ، وانا وهي طوع ارادته »

واستولى السكون عليهم لحظة ، ثم التفت عمرو الى عبد الله فقال : « كنت اظنكما اثنين جئتما معا الى القسطنطين ، ولكنني لم ار سواك »

فاضطرب عبد الله ، ونظر الى عمرو وقال : « هذا هو الامر الذي شغل بالي في اثناء حديث مولاي . ان رفيقي هو ابن عمي ، وقد جئنا معا الى هذه المدينة ولكنني يمت عين شمس وحدي وتركته في المسجد على ان استطلب المسكان واعدوا اليه ، فقبضوا على ولم اعد اعرف شيئا عنه الى الآن . فهل عثر الشرطة به فقتلوه ؟ »

قال عمرو : « لم اسمع عنه شيئا ، ولا اخبرني احد بخبره ، فقد يكون نجا بنفسه لما سجع بما وقع لكم في ذلك الاجتماع »

فهذا روع عبد الله ، ولكنه ظل مشتاقا لاستطلاع حال سعيد وتمنى ان يسير توا الى الكوفة فيستطلع كل شيء ويتحقق ما وقع للامام علي ، ولكنه خجل من ابداء رايه هذا لعمرو ، وراى ان يتظاهر بالرغبة في السفر للبحث عن ابن عمه فقال : « لقد اوضحت لمولاي ما انا فيه من القلق على ابن عمي هذا ، فهل ياذن لي الامير بالذهاب الى الكوفة لاستطلاع حاله ثم اعود ، واكون في خدمتك الى الممات فقد اوليتني جيلا لا انساها ؟ »

قال عمرو : « يكون ذلك بعد عقد قرانك بخولة ، حتى اذا صرت من اصهارنا ، كان لك ان تسير الى حيث شئت »

وكان عمرو لدهائه وحسن سياسته قد ادرك ان رجلا حرا صادقا مثل عبد الله لا يفرط فيه . لانه اذا اخلص الخدمة كان نفعه عظيما . فلم ير لكي يقبده خيرا من ان يبادئه بالجميل ، وأن يزوجه ابنة صاحبه وهو بحسب خولة على دعوته فتحبب اليه الرجوع الى حزب الامويين . ولم يكن يعلم انشد هل نجح ابن ملجم في مهمته بالكوفة ام لا . فلما اقترح على عبد الله عقد قرانه قبيل السفر ، قبل عبد الله واطاع ، فضرب عمرو أجلا لذلك وقال :

« تقيم عندنا في أثناء ذلك ضيفا كريما ، فاذا آن الزمن عقدنا لك على خولة
ثم تنصرف للبحث عن ابن عمك »

فوقف عبد الله بين يدي عمرو بهم بتقبيل يده وقال : « لقد غمرني فضلك
ولست بمستطيع ان أفي يدك على حقها » . وأستاذن في الخروج فأذن له

وخرج أبو خولة أيضا وهو يكاد يطير فرحا لما رأى من خلق عمرو . وسره
الخطيب الجديد لابنته ، فسار توا الى المنزل وكانت خولة جالسة هناك على
مثل حجر الغضا تتقاذفها الهواجس بعد ان تحققت نجاة عمرو وعلمت بما
فرضه من زواجها بعبد الله . بينما هي تؤثر البقاء على حب سعيد وهو اول
من وقع في نفسها مع عدم نفورها من عبد الله ، فلما كان المساء وأبطأ أبوها في
العودة الى البيت قلقت ولبثت تنتظره بفارغ الصبر لعلمها انه لا يد من مروره
بعمر و على أثر ما كان من نجاته في ذلك اليوم . وحسبت لابطائه ألف حساب .
وأخوف ماخافته من ذلك الابطاء ان يكون سببه البحث في أمرها وأمر عبد الله
وهي لا تريد ذلك



فلما انقضى العشاء ومضى بعده ساعتان سمعت قرع الباب فأسرعت دقات
قلبها وعلت وجهها صفرة الوجل ، وظلت مستلقية على الوسادة في حجرتها ،
وما لبث باب الدار أن فتح . فاتجه أبوها توا الى غرفتها فقرع الباب فنهضت
لتفتح له وركبتها تصطكان من الاضطراب . فدخل والمصباح في يده فوضعه
على مسرجة وجلس اليها وعلى محياه امارات البشر والسرور ، وهو يحسب
ان قد جاءها ببشرى عظيمة . فراها مضطربة الحواس قلقة الخاطر رغم
تجلدها ، فقال لها : « ما بالك يا بنية ما الذي أزعجك ؟ »

قالت : « لم يزعجني شيء ، ولكنني قلقت لغيابك وانا وحدي في هذا البيت
لا ارى فيه احدا غير الخدم »

قال وهو يتسهم : « لقد دنا الوقت فلن تكوني وحدك بعد الآن »

فتجاهلت مراده وقالت : « يظهر أنك علمت بما أقاسيه من الوحدة فعزمت
على ألا تتركني وحدي ؟ »

فضحك لسذاجتها وقال لها : « ليس هذا قصدي يا خولة ، ولكنني اذكرك
باقتراح الامير الذي اطلعتك عليه منذ بضعة ايام ، فانه قد تم اليوم بعد أن
صدق قول عبد الله الاموي ، فجمعني عمرو به الليلة في داره ، فرأيت شسبا
جيلا عليه مهابة الامراء ، تتجلى الشجاعة والانفة في وجهه . ويكفي أن الامير
سحر به وبالغ في اطرائه امامي . فهذا هو خطيبك ومتى عقد قرانكما لا تكونين
وحدك »

ولم يتم كلامه حتى صبغ وجهها حمرة الخجل وظلت صامتة ، ثم أخذ العرق ينسكب عن جبينها كاللؤلؤ المنثور وهي مطرقة لاتفوه بكلمة

ولم يكن الخجل وحده سبب اضطرابها كما ظن أبوها ، ولكنها أصبحت كريشة في مهب الريح حائرة بين أن تطيع عواطفها وبين أن تطيع أباه وأمرها . ولو أنها لم تبعث إلى سعيد مع بلال بخبر حبها له لكانت المعضلة أيسر ، وقد علمت أنها إذا رفضت عبد الله رفضا باتا تغضب عمرا وأباه . وهي مع ذلك لاتدرى مصير سعيد ولا ما آلت إليه مهمته بعد خروجه من الفسطاط مع بلال ، ولم تر فرجا الا بالاصطبار فصبرت حتى يعيد أبوها السؤال فتستمهله أما هو فلما آنس فيها ذلك الاضطراب حمله يحمل الخجل ، وهو أمر عادى في الفتيات في مثل هذه الحال . فوضع يده على شعرها المسدول على كتفها وقال لها : « لا تخجلي يا بنية ، ان أباك هو الذي يخاطبك ، وقد تم الامر على يد الامير وهو شرف كبير لنا لو تعلمين »

فأجابت وهي مطرقة وقالت : « وهل ضرب لذلك أجلا ؟ »
قال : « لقد ضرب أجلا لذلك أسبوعا »
قالت : « فليكن ثلاثة أسابيع »

قال : « وما الداعي الى هذا التأجيل فاني أخشى ان يغضب عمرو فأطيعيني وعلى تبعة ذلك . فان عبد الله فتى قلما يجود الزمان بمثله ، واني بمصاهرته لفخور فلا محل للاعتراض » . قال ذلك وفي كلامه شيء من الخشونة على عادته معها إذا أصر على أمر . فخافت سوء العقبي إذا جادلته فسكتت وأظهرت الارتياح . فلما رآها هكذا قال لها : « بورك فيك يا بنية ، بعد أسبوع تتم معدات الزواج »

فظلت مطرقة وقد عولت على اتخاذ وسيلة اخرى للتأجيل



الزفاف الكاذب

اما عبد الله فأخذ في البحث عن بيت يقيم به ، وبينما هو في ذلك جاءه بعض رجال عمرو وأخبروه بأن الامير قد أمرهم بأن يعدوا له منزلا في داره ضيفا عليه . فازداد عبد الله اعترافا بجميل عمرو ، وفرح لأنه غريب لا يدري أين يذهب . وتبع الرجل الذي كلمه الى غرفة فيها فراش وغطاء وبعض الأنية ، وسأله الرجل : « هل تحتاج الى طعام ؟ » . فاعتذر وسار توا الى فراشه

ولما خلا بنفسه جعل يفكر في نجاته وصورة ابن عمه سعيد عالقة بذهنه لا تبرح ذهنه . على انه اطمأن على حياته ، وأحب أن يتم ما أتى الفسطاط لأجله ويعلم ما حدث للامام على

وكانت ذكرى خولة تعترض تصوراته واشتاق رؤيتها والتحدث اليها ، وقضى ليله هكذا

ولما أصبح سار الى المسجد فصلى وهو يتوقع ان يرى ابا خولة لعله يدعوه الى منزله فيتيسر له رؤية خولة ولو خلسة . وكان أبو خولة قد مر بالجامع في ذلك الصباح عمدا ، فلقية نسلم عليه ودعاه الى العشاء فقال له : « انى في ضيافة الامير ولا يليق بى قبول الدعوة الا بعد استئذانه »

فقال : « انا استاذنه عنك »

قال : « حسنا » . وافترقا . فمشى عبد الله في طرق الفسطاط واسواقها ، فمر ببيت خولة وهو لا يعرفه . وكانت خولة قد أصبحت في ذلك اليوم مضطربة قلقة ، فخرجت تمشى في الدار فوق نظرها على عبد الله وهو مار ، ولم تكن رآته من قبل ، ولكنها استنتجت من لباسه وقيافته وشبهه سعيدا انه هو عبد الله خطيبها ، فاختلج قلبها في صدرها ونفرت لأول وهلة ، ولكنها ارادت ان تتبين حاله فتفرست فيه وهو ماش فرآته معتدل القوام رشيق الحركة فارتاحت لرؤيته وسرت به لمشابهته سعيدا ولكنها ما لبثت ان نفرت منه لما تذكرت انه سيحرمها من حبيبها وما زالت تثبعه بنظرها حتى توارى ولم ينتبه

وعادت خولة الى غرفتها منقبضة النفس، وقضت نهارها لم تذوق طعاما .
ولما كان الغروب آن موعد مجيء أبيها ، وكان الخدم فد أعدوا المائدة له ولضيفه
وخولة لا تدري . وما عتم أن دخل الدار ، وسعل على عادته كأنه ينبه اهل
المنزل الى مجيئه . فتظاهرت خولة بارتياحها الى قدومه ولكنها تمارضت
ومالبتت أن رات معه شابا عرفت انه عبدالله فخفق قلبها وسادها الاضطراب،
وتوارت في حجرتها



وأما أبوها فذهب بضيفه الى قاعة الضيوف ، وأجلسه هناك ، وجاء الى
خولة فرآها مستلقية على الفراش، وقد امتقع لونها فنحفت للنهوض وهى
تتظاهر بالضعف . فقال : « ما بالك يا خولة ؟ »

قالت : « لا شيء ، غير انى أشعر بانحطاط في قواى لا أدرى سببه »
فدنا منها وهمس في اذنها قائلا : « شددى عزمك فقد جاءنا ضيف عزيز »
فأجابت متجاهلة : « مالى وللضيوف ؟ انى لا أستطيع النهوض لمقابلة
الضيوف »

قال : « ان الضيف أصبح من انسبائنا ولا بأس من رؤيته نزولا على امر
الامير عمرو بن العاص »

فقالت : « ولكننى منحطة القوى . دعنى الآن وسأراه فى فرصة اخرى
وأنا فى عافية ان شاء الله »

قال : « لقد كنت اظنك اكثر رغبة منى فى رؤيته بعد ان ابلغتك امر خطبتك
له ، ايليق بنا الآن ان نظهر له الجفاء »

فتحيرت خولة ولم تدر بماذا تجيبه وهى تخشى غضبه لما تعلمه من سوء
خلقه وحقه ، فظلت صامتة

فأمسك بيدها وأنهضها ، فوقفت مرغمة وسارت معه مطرفة ، فلما وصلا
الى باب الغرفة وقف وقال لها : « ضعى خمارك على رأسك وتسجعى واستقبلى
الرجل بما يليق بأمثالك ، لئلا يبلغ عمرا عنا ما يدل على عصيان امره فيعضب »
فراحت خولة من الحكمة أن تتجلد وتصبر اشفاقا من غضب أبيها ، فخفت الى
خمارها فوضعتة على رأسها وأصلحت هندامها وخرجت فى أثر أبيها حتى
دخلت على عبد الله

وكان عبد الله قد استنبطاً مجيئها فحملة على محمل الخفر والدلال ، وازداد
شوقا الى رؤيتها ولو الماماً . فلما اشرفت على الغرفة وتبين جمالها واعتدال
قوامها انشرح قلبه وحمد الله على توفيقه بعد نجاته من الموت . فدخلت
وحيث نما يجدر بمثلها فى مثل هذا المقام ، وجلست على وسادة بجانب أبيها

وكان عبد الله يسارقها اللحظ فلا يزداد الا اعجابا بها ، ولم تمض تلك الليلة حتى علق بها ووقعت من نفسه موقعا ساميا لما آتسه من جمالها وذكائها وتعقلها في اثناء الحديث مما يندر مثله في امثالها من ربوات الحدور . فخرج مأخوذا بخولة



قضى عبد الله بقية الاسبوع في مثل ذلك ، وهو يتردد على بيت خولة ويزداد تعلقا بها . ولما اذف يوم الزفاف دعاه عمرو اليه وقال : « أريد ان اعقد لك عليها في داري ، وتقيما عندنا حتى يتراءى لكما غير ذلك » . فعل عمرو ذلك التماسا لما عزم عليه من كسب عبد الله الى حزبه ، فشكر له عبد الله ، ولما حل الميعاد زفت خولة الى عبد الله ، وعقد قرانه بها على العادة المتبعة ، وعبد الله مغمم سرورا بهذا النصيب ، ولولا ما يجول في خاطره من القلق لغياب سعيد والخوف على الامام على لكان أسعد خلق الله لانه رأى في خولة ما طالما تاقته اليه نفسه في النساء من التعقل والرزانة مع الجمال والذكاء

فلما انقض حفل العرس دخل العروسان الى مخدعهما

فلما خلا عبد الله بخولة تقدم لنزع الغطاء عن وجهها فأمسك النقاب ورفع فاعادته الى ما كان عليه ، فظنها تداعبه فضحك وقال لها : « يلوح لى انك لا تحبين عبد الله ؟ »

قالت وهي مطرقة : « يعلم الله انى لا اكرهه »

فمد يده الى النقاب ثانية وحاول رفعه فمنعته . فتحير في امره ، وامسك يدها وقال بلهجة الجد ونغمة المحب العاتب : « ما بال خولة تمنعنا مما احله الله ودعانا اليه القلب ؟ »

وكانت خولة واقفة بجانب الفراش فابتعدت عنه واسندت ظهرها الى الحائط تبالغ في غطاء النقاب مطرقة ولم تحر جوابا

فاستغرب عبد الله سكوتها وتمنعها وظن في الامر خديعة ، فأظهر الجد وهو لا يزال قابضا على يدها حتى وقف بجانبها وقال لها : « ما الذى اراه يا خولة ؟ ما الذى تحدثك به نفسك ؟ ان كنت انما تفعلين ذلك خفرا فهو غلو لا محل له وقد عقد قرانا بحضور امير مصر ونخبة الاعيان والامراء . وان كنت قد اكرهت على القبول وانت تحبين غيرى فقولى »

فلما قال ذلك رفعت رأسها اليه ، وجذبت يدها من يده بلطف وقالت : « نعم انى احب غيرك ، ولكننى قلت لك انى لا اكرهك بل احببك محبة الاخ لا محبة الزوج »

فبغت عبد الله وعلته الدهشة ، وكاد الغضب يغلب عليه لو لم يتجملد ليعرف جلية الامر . فنظر اليها غاضبا وقال : « لقد رايت منك العجب ،

واعجب منه احتقارك اياي مما لم اكن اتوقعه بعد ~~عصيتك~~ هلا كشفت
عن السبب ؟ »

فأمسكت النقاب وازاحته عن وجهها وقالت : « انى لا ارى الحجاب واحد
بينى وبينك ، و لانا خائفة من اطلاعك على ما فى ضميرى . ولكننى اسأل
سؤالا اذا اجبتنى عنه بحت لك بسرى »

فقال : « اسألى فانى مجيبك »

قالت : « كيف رضيت عقد قرانك وابن عمك غائب ؟ »

فقال : « واى ابن عم تعنين ؟ »

قالت : « اعنى ابن عمك سعيدا الذى جئت معه الى الفسطاط ، الا يهملك
ان تعرف ما آلت اليه حاله ؟ »

فاستغرب ذلك منها ، ولم يكن يعلم اطلاعها على شىء من ذلك فقال : « من
أين لك ان تعرفى ابن عمى وما جئت من اجله الى الفسطاط ؟ »

فتنهدت وقالت : « عرفته بقدر من الله ، وانى أعجب من نسيانك تلك
المهمة التى جئتما من اجلها . هل تظن الامام عليا نجا من القتل ؟ »

فازداد عبد الله استغرابا ، ونسى ما كان يعد به نفسه من قربها وهاجت
به اشجانه ، وتذكر ابن عمه فقال : « لقد أذهلتنى ياخولة بما سمعته منك ،
فافصحى عما فى ضميرك واخبرينى كيف عرفت ابن عمى وما العلاقة بينه
وبين تمنعك الليلة ؟ »

قالت : « أتعدين بالكتمان وحفظ الدمام ؟ »

قال : « نعم أعدك وعدا صادقا ، فافصحى فليس لى صبر على هذه
الرموز »

فتنهدت وعلت وجهها حمرة الخجل ، وهمت بالكلام فارتج عليها ، وعبد الله
يتأمل ملامحها ويراقب ما يبدو منها صامتا ، فلما لم يسمع منها شيئا . قال
لها : « بالله لاتطيلى السكوت فقد نقدصبرى ، قولى ماابدا لك وفرجى كربتى »

قالت : « اقول ولاخشى لوما انى احببت سعيدا قبل ان اراك ، وهو احببني
على ما اظن ، وحبنا قائم على اشبراكنا فى الدود عن الامام على ما استطعنا .
وقد ذهب سعيد ضحى الليلة النى اغرق فيها عمرو أصحاب عين شمس ،
وهو يظنك فى جلة الفرقى . ولا اظنه اذا عرف بقاءك حيا الا طائرا اليك من
الفرح » . وقصت عليه حديثها مع سعيد من اوله الى آخره

ولم تكذ خولة تتم حديثها حتى اسنولت الدهشة على عبد الله ، وخيل
اليه انه فى حلم ، ولما تحقق ان خولة تحب سعيدا وثابتة على حبه ، احس
لساعته انه لم يبق له حق فيها . وازدادت رفعة فى عينيه فقال لها : « اعلمى
ياخولة انى أعدك أخا لى من هذه الساعة ، وانى سأبذل جهدى فى جمعك

سعيد فانه بمنزلة اخي . وقد اوصيت بكفالاته وصية مقدسة ، وقد احسنت انت بما بسطته من حقيقة حالك ، وعلى هذا سأسافر غدا الى الكوفة ، لابحث عنه واستطلع ماجرى للامام على »

فابتدرته خولة قائلة : « لا تعجل يا عبد الله في ذهابك ، لاننا لانلث بعد قليل ان نسمع الخبر من عبدى بلال الذى رافق سعيدا الى الكوفة ، فقد اوصيته بالعودة حالا واظنه يصل الينا بعد ايام . واما الآن فاكتب مادار بيننا واجعل كأنك زوجى ريشما نرى ما يكون »

فالتفت عبد الله اليها وقد ازداد اعجابا بحميتها وثبات جأشها ، وقال : « انى اهنيء اخى سعيدا بمثلك ، وارجوان يكون قد نجا من مكاييد الغادرين » . وقد اراد بذلك قطام ، فانه ما زال يسىء الظن بها وقد أدرك انها هى التى وشت بهما الى عمرو بن العاص

فقالت : « انى اتوقع رجوع بلال لاسمع منه ما آلت اليه حال الامام على ومعاوية ، هل نجا احدهما . اما عمرو فقد نجا والفضل فى ذلك راجع اليك » فقال : « ولكننى انما بحث بذلك لعمرو فرارا من الهلاك ، ولم اذكر له المؤامرة على قتل معاوية لثلا يبعث اليه بمن يحذره فينجو »

قالت : « انى لم الملك قطام . فهذه مشيئة الله . فالان لا بد من الصبر فامض الى فراشك وانا افترش هذا البساط »

قال : « لا والله انك لا تبينين الا على الفراش وانا اولى بهذا البساط » وباتا تلك الليلة ، وقد سرت خولة بنجاتها مما كانت تخشاه . واما عبد الله فانه بات معجبا بخولة كل الاعجاب وقد اسف لحرمانه منها بعد ان عرف فيها هذه الخصال . ولكنه فرح لأنها ستكون من نصيب سعيد

واصبحا فى اليوم التالى والناس لا يعلمون الا انهما زوج وزوجة ، وظلا مقيمين فى دار الامير حتى قدرت خولة دنو الوقت الذى كانت تتوقع رجوع بلال فيه ، فاستاذنت فى المضى الى بيت ابيها مخافة ان يأتى بلال فى اثناء غيابها فيطرده ابوها او يتهدده فلا يراها هناك فيعود من حيث أتى

فوافقها عبد الله على ذلك ، واستأذنا عمرا فى الذهاب الى بيت ابيها فأذن لهما فاستقبلهما ابوها بالترحاب



ولم يمض يومان على مكثهما فى بيت خولة حتى قدم بلال ، وكان وصوله الى القسطنطينية فى اثناء النهار ، وابو خولة فى حانوته ، وكان بلال قد دخل القسطنطينية فمر بحانوت سيده ونظر اليه خلسة فلما وجده هناك هروا الى البيت ودخلوا الى غرفة سيدته بلا استئذان ، فوجد عندها

شابا لا يعرفه ، وراهبجانبه كأنها جالسة الى شقيق أو قرين . فبغت لذلك ولكنه أخذ بما آتسه من ترحابها به فقالت له : « أغلق الباب وأدخل » . ففعل ودنا منها وهو ينظر الى عبد الله شزرا . فأدركت خولة ما يجول في خاطره فقالت له : « لا تسيء الظن ، ان هذا أخى بعهد الله فاقصص علينا خبرك ، وقل لنا بادية ذى بدء كيف فارقت الامام عليا ؟ »

فسكت ولم يجب ، فألحت عليه وقد ذهلت ، فأجابها بصوت مختنق : « ان عليا ذهب ضحية القدر »

فدقت خولة يدا بيد وضاحت : « وا لهفى عليك يا ابا الحسن » . وقال عبد الله مثل ذلك . ثم قالت : « وماذا جرى لابن ملجم ؟ » . قال : « انه قتل شر قتلة وأحرق بالنار لعنه الله »

فقال عبد الله : « وكيف فارقت سعيدا ؟ »

قال : « فارقته بخير وعافية وقد سار للبحث عن تلك الخائنة اللعينة »

قال عبد الله : « أو تعنى قطام ؟ »

قال : « نعم ، وما أدراك ، انى اعنيها ؟ وكيف عرفتها ؟ »

قالت خولة : « ألم تعلم من هذا ؟ » . قال : « كلا »

قال : « ألم يذكر سعيد أمامك انه فقد ابن عمه هنا »

قال : « بلى » . قالت : « هذا هو عبد الله ابن عمه »

فبهت بلال وغلب عليه البكاء من الفرح وصاح : « انت حى يامولاي ؟ من لى بمن يحمل هذه البشرية لابن عمك ؟ . والله انى حاملها اليه الساعة بعد ان أسر الى سيدتى كلاما أوتمنت عليه »

فالتفتت اليه وقالت : « قل يا بلال ، ليس على عبد الله سر ، فهو أخى كما قلت لك . قل كيف فارقت سعيدا ؟ »

قال : « فارقته يامولاي وهو مشتاق لرؤيتك ، ولم يات معى مخافة ان يكون عمرو قد نجا من المكيدة فلا يأمن على حياته . وقد علمت وانا مار فى القسطنطينية الساعة انه نجا وقتل غيره خطأ ، ولا أدرى كيف حال سيدي معك فلا آمن عليكما منه »

قالت : « اعلم يا بلال ان ابن العاص تقم على ابن ملجم ورضى عنى ، وهو يحبني حبه لأولاده . وهو لا يعرف سعيدا ولا أبى رآه ، فاذا جاء لم يكن عليه بأس وشأنه فى القسطنطينية شأن كل غريب يدخلها . فاقصص علينا خبر ابن ملجم والامام على وكيف قتله »

ثم أمرته بالجلوس فجلس متادبا وقص عليهما الخبر . فلما بلغ الى حديث قطام وما أرادته من قتل سعيد هاجت فى نفسها الغيرة والانتقام وقالت :

« قبح الله هذه المرأة ، انى اعرفها واسمع بدهائها فكيف انطلت حيلتها على سعيد ؟ »

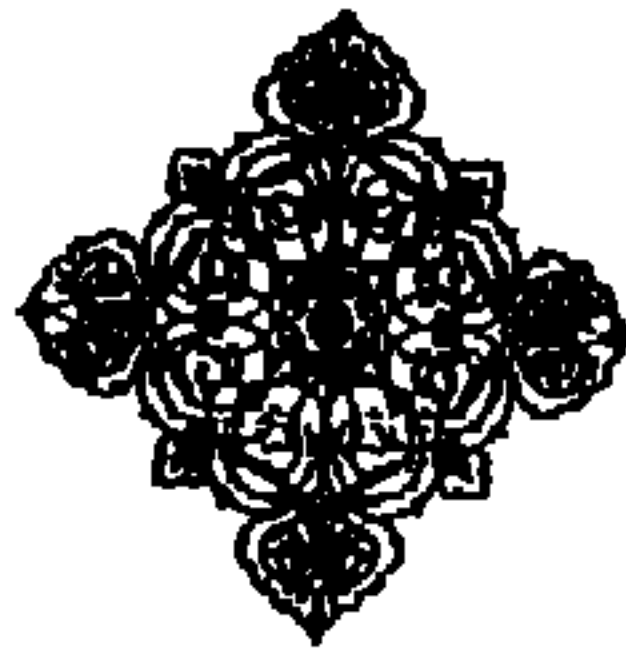
فابتدرها عبد الله قائلا : « انى والله توسمت فيها الشر عندما رايتها »
وقص عليها ما كان من امره معها ، فانكشفت لهما الحقيقة وشكرا الله على نجاه
سعيد ، ولكنهما حزنا على مقتل الامام على ، ثم استدركت في حديثها فقالت :
« وهل سمعت شيئا عن معاوية ؟ »

قال : « لقد مررت بدمشق في طريقى فعلمت انه نجا ايضا . وقص عليها
خبره كما سمعه فعجبت لاحكام القضاء كيف تسمح بقتل على وتبقى على
معاوية وعمرو ، ثم قال عبد الله : « واين سعيد الآن ؟ »

قال : « هو في انتظاري بدمشق ، فاذا امرت مولاتى عدت اليه حالا وجئت
به على عجل ، وارجو ان يكون قد ظفرتلك الخائنة وانتقم منها ، واذا لم يظفر
هو بها فلست انا بتاركها حتى انتقم منها لما ارتكبته من الاجرام »
قالت خولة : « بورك فيك يابلال ، فاذهب الآن وات بسعيد على عجل »
فقال : « وهل آتى به الى بيتك هنا ؟ »

فاستصوبت خولة سؤاله ، لان مجيئه الى بيت ابيها يعقد الامور ، فنظرت
الى عبد الله كأنها تستفتيه في الامر فأشار اليها بأنه يريد البحث معها في ذلك
سرا

فالتفتت الى بلال وقالت : « اخرج الآن قبل ان يأتى ابنى وهو ناغم عليك ،
لاعتقاده انك فررت بالجملين من داره ، وانتظر عبد الله في المسجد الليلة وهو
ينبئك بما تفعل »



العزم على الكوفة

خرج بلال وبقى عبد الله وخولة على انفراد فقالت خولة : « وما العمل يا عبد الله ؟ اخاف اذا جاء سعيد واردنا الطلاق ان يفتح علينا باب للأخذ والرد ونحن نود كتمان الأمر فما الرأي ؟ »

قال : « أرى ان نلتمس من عمرو الاذن بالخروج من الفسطاط والذهب الى الكوفة ، فقد كنت طلبت منه ذلك فأخبرني الى ما بعد عقد القران . فهم لا يعرفون الآن الا انك امرأتى ، والرجل يذهب بامرأته حيث شاء . فاذا سرنا الى الكوفة وأوصينا بلالا بان يوافقنا بسعيد الى هناك عقدنا قرانكما هناك ، ولا رقيب علينا ولا واش . واذا طاب لنا ان نعود الى الفسطاط عدنا بعد ذلك والا فاننا نقيم بالكوفة الى ما شاء الله »

فصمتت خولة برهة تفكر في الامر ، فرأت عبد الله مصيبا فقالت : « نعم الرأي رايتك ، ولكننى اعتدت الحياة في الفسطاط والفت الاقامة بواديهما ولى فيه الاهل والاصدقاء ، فاذا اتيح لى البقاء فيها كان اولى وابقى »

قال : « لا انكر ذلك ، وهو ميسور لك فيما بعد ، واما الآن فلا ارى خيرا من الذهاب الى الكوفة »

قالت : « وأخشى الا ياذن ابى فى ذهابنا الى الكوفة فهو يريدنى ابدا بقربه ، وليس له سوى فلا اخاله يرضى بغير اقامتنا هنا »

قال : « نحتال ونتملقه حتى ياذن لنا ولو بعد حين ، ونوصى بلالا بان يخبر سعيدا ان يبقى بانتظارنا حتى نأتيه »

قالت : « افعل ما بدالك وعلى الله التوفيق »

قال : « فلنعد الآن الى دار الامير ، فان خروجنا من عنده اسهل ، لانه هو الذى وعدنى باخلاء سبيلى للبحث عن ابن عمى سعيد ، فأذكره بوعدده ولا أظنه يمنعنا من السفر »

قالت : « نبيت الليلة هنا ونصبح الى دار الامير »

قال : « حسنا » . فلما كان العصر خرج الى المسجد ، فوجد بلالا فى انتظاره فأوصاه بان يذهب بسعيد الى الكوفة ويبقى بها حتى ياتيا اليه ، فسر بلال وابتسم وقال : « هذا ماكنت أرجوه من مولاي ، لانى أقدر على الانتقام من قطام اللعينة اذا كنت بالكوفة »

فضحك عبد الله وقال : « وأوصيك اذا انت ظفرت بها بالآ تعفون عن عجزها
لبابة فانها شر منها »



ولما رأى عبد الله نفسه بباب المسجد ، والصلاة قائمة والناس يدخلون
افواجا ، دخل مع الداخلين . فرأى ابن العاص على المنبر يعظ الناس وهم
صامتون ، فوقف حتى انتهى عمرو من خطبته وانفضت الصلاة ، فهم بالخروج .
ولم يكذب يبارح صحن المسجد حتى اعترضه بعض الشرطة قائلا : « تمهل
يامولاي ان الامير يستوقفك لأمر يريد ان يخاطبك في شأنه » .
فقال : « واين الامير ؟ »

قال : « كان في المسجد ، وقد ذهب الآن الى داره من باب في المحراب »
قال : « وهل يريد مقابلتي الآن ؟ » . قال : « نعم »

فاضطرب عبد الله وخاف ان يكون قد وشى به احد ممن اطلعوا على
مهمته في الفسطاط ، ومشى حتى اقبل على مجلس عمرو ، وكان اذا وصل الى
المجلس دخل بلا استئذان . فلما هم بالدخول اعترضه الحاجب قائلا : « تمهل
حتى نستأذن لك » . فوقف عبد الله ودخل الحاجب ثم عاد فقال : « ان الامير
يريد الخولة بك هذه الليلة ، فاذا اتيت في العشاء تعال وحدك »

فاستغرب عبد الله ذلك الشرط ، واشكل عليه المراد منه ، فاستزاد الحاجب
ايضا وسأله : « هل المراد ان آتى وحدى من غير خولة ؟ »
قال : « اظن هذا هو مراده ، فانه قال : (ليات وحده لكلام سألقيه اليه
على انفراد) . »

فعظم الامر على عبد الله وحسب لذلك الف حساب . ولم تكن الشمس
قدمالت الى الغروب فعاد الى البيت والهواجس تتقاذفه وظهرت عليه علامات
القلق ، فلما اقبل على خولة ورأت على وجهه آيات الاضطراب ابتدرته قائلة :
« ما بالك يا عبد الله ؟ ماذا اصابك ؟ انى ارى في وجهك قلقا ، قل رعاك الله
ما اوجب ذلك ؟ »

قال : « ليس هناك ما يوجب القلق » . واعتذر وابهم
فلم تقنع ، ولكنها سكنت على ان تستطلع السر بلباقة بعد قليل . فقالت :
« وهل رأيت بلالا ؟ »

قال : « نعم وقد اوصيته بما يقوله لسعيد » .

قالت : « وهل سافر ؟ »

قال : « اظنه يستريح الليلة خارج الفسطاط ويرحل في الغد مبكرا »

وفيما هما يتحادثان جاء أبوها والغضب باد عليه وكانت خولة تعرف حاله
تو النظر اليه . فلما رآته هكذا ازداد اضطرابها وجعلت تفكر في غضب
الاثنين . فخطر لها انهما تخاصما ولكنها لم تجد سببا لذلك . ولم تجسر على
سؤال والدها ؛ ولم ترد ان تلخ على عبد الله فتركت ذلك الى الاختلاء به

وبعد قليل حضر الطعام فجلسوا اليه وليس فيهم من يتكلم الا تفضلا
فلما انتهى عبد الله من طعامه نهض وقال لخولة ولابيها : « انى ذاهب في
حاجة تقتضى غيابى ساعة » . وكان قوله جاء طبق ما يرجوه أبو خولة ، فلم
يسأله عن سبب ذهابه ولم يطلب منه التعجيل بالعودة

فازدادت خولة حيرة وظلت ساكته ، ولم يخطر لها ان لذهاب عبد الله علاقة
بما بدا لها في وجهه من الانقباض . ولكنها رافقتة الى باب الدار وتوسلت اليه
الا يطيل الغياب . فأجابها بأنه لا يدري متى يعود ، ولم يشأ ان يبوح لها
بسبب ذهابه ولا ترك لها فرصة للاستفهام ، فودعها وخرج وهو يسرع في
مشيته ، وأفكاره تائهة فيما عسى أن يكون غرض عمرو من دعوته اليه في مثل
هذا الوقت

ولما وصل الى دار عمرو خفق قلبه مخافة ان يسمع من الحاجب خبرا جديدا
يزيد بلباله فلم يزد الحاجب على قوله : « ان الأمير في انتظارك في غرفته »

فمشى عبد الله يقدم رجلا ويؤخر آخرى ، حتى وصل الى الباب فلذا هو
مغلق فقرعه ووقف ينتظر فتحه فسمع خطوات تسرع نحو الباب يتخللها
همس لم يفهم منه شيئا . وبعد هنيهة فتح الباب فاذا بعمرو نفسه يفتحه
بيده ، فبغت لما رآه امام عينيه وعلى وجهه دلائل الغضب . فحياه عبد الله فلم
يزد عمرو على قوله : « وعليكم السلام » . وسار الى صدر الغرفة فتبعه
عبد الله وهو ينظر الى جوانب المكان لعله يرى أحدا . فلم يجد . فالتبس
عليه الامر لما سمعه من الهمس وهو واقف خارجا . ولكنه رأى في جدار من
جدران الغرفة بابا عليه ستار والباب يستطرق الى غرفة اخرى فظن ان احدى
نساءه كانت عنده فلما علم بقدومه صرفها من الباب الآخر واستقبله . وظل
يفكر في ذلك وهو ماش في اثر عمرو . فلما جلس هذا على مقعده وقف
عبد الله بين يديه ينتظر أمره بالجلوس ، فأشار اليه فجلس على وسادة بالقرب
منه وهو ينتظر ما يقوله وقد نفذ صبره

سكت عمرو لحظة وهو يعبث بكرة (سوط) كأنه يتشاغل بها عن قلق
بخامر ذهنه ، ففتح عبد الله الحديث قائلا : « كيف حال مولاي الأمير ، وما
الذى يأمر به عبده فقد لبيت دعوته وانا راج ان يكلفنى امرا اقوم بقضائه
جزاء لبعض ماله من اليد على ؟ »

فالتفت اليه عمرو وهو يمشط لحيته وقال : « انما دعوتك لاسالك سؤالا
واحدا ، وارجو ان تصدقنى الجواب بما احسبني اجزته لك من الجميل

وابقيت عليك بعد ان رايت الموت، راى العين «
فوقف عبد الله احتراما وقال : « يعلم الله انى لا انسى جيلا اوليتنى اياه ،
باغضائك عن جريمة اقترفتها ، ثم بانعامك على بحياتى وهى خير هبة ، فكيف
لا اصدقك القول ؟ » . قال ذلك وقلبه يخفق خوفا من سماع ما قد يكون
سبب تقمته عليه

فاقعده عمرو وقال : « بلغنى اليوم من مطلع على احوالك انك انما جئت
الفسطاط مع رفيقك سعيد للفتك بى فهل هذا صحيح ؟ »
فنهض عبد الله ثانية وقال ولهجة الصدق بادية على وجهه : « كلا يامولاي ،
ان ما بلغته كذب وافتراء »

قال : « وما الذى جاء بكما اذن ؟ »
قال : « اما وقد سالتنى ، فاسمح لى بان اقول الحق وارجو منك ان
تصدقنى »

قال : « قل الصدق ولا تبال ، فلا بأس عليك الا اذا رايت فى كلامك عوجا
فلا تلم الا نفسك »

قال : « اقسام برأس الامير انى لا اقول غير الحق ، ولكن حديثى طويل فهل
ابسطه كله ؟ »

قال : « اجبنى اولا عن سؤالى موجزا ، فاذا رايت ما يدعوا الى التفصيل
طلبتة . سالتك عما دعاكما الى المجيء الى الفسطاط والاجتماع بتلك الزمرة
المعادية ؟ »

قال : « انما جئت للبحث عن الغادر الطامع فى قتل الامام على »
قال : « ولماذا ؟ » . قال : « لسكى ابدل جهدى فى زجره وانتقاذ الامام من
الموت ؟ »

قال : « كيف تفعل ذلك وانت اموى على ما اعلم ؟ »
قال : « لقد الجأتنى يا مولاي الى بعض التفصيل . ألم تعرف جدى
ابا رحاب ؟ »

قال : « بلى اعرفه وقد سمعت بوفاته قريبا »
قال : « نعم انه مات وقد كان الى يوم مماته يكره عليا ويدعو الى قتله ،
ولكنه فى يوم مماته استحلقتنى واستحلقت ابن عمى سعيدا الا نبغى شرا بعلى ،
بل اذا راينا سبيلا الى الدفاع عنه ان نفعل ، فلما سمعنا بالوامرة علمنا ان
التأمر من اهل مصر ، ولكننا لم نعلم من هو فنجئنا للبحث عنه وردعه بالتى
هى احسن . ولم نر سبيلا لمعرفة الا عن طريق اصحاب عين شمس لانهم
على دعوة على »

فقال : « ألم تكن عالما ايضا بتأمر رفيق ابن ملجم على قتلى ؟ »

فقال : « بلى ولولا ذلك لم استطع اطلاقك عليه »
قال : « وكيف لم تطلعي عليه حال قدومك ؟ الا تعلم أنك تعدد شريكاً مع
القاتل ؟ » . قال ذلك ولحيته ترقص غضباً ولسان حاله يقول : « لقد لزمته
الحجة وتبينت خيانتك »

فقال : « نعم اعلم ذلك ، ولكن حلمك قد وسعني من قبل فعفوت عما مضى
وعمرتني بانعامك ، فاذا رأيت أن تعود الى مطالبتي به كان لك الأمر . ولكنني
لا أخال مولاي الأمير اذا عفا عن مذنب يعدل عن عفو »
فلما سمع عمرو كلامه أفحم وسكت

وشعر عبد الله عند ذلك بقوة اثبتت فيه ، وثارت الحمية في راسه فهم بان
يستأنف الكلام فابتدره عمرو قائلاً : « لقد علمت أنك عرفت خولة قبل أن
أخطبها لك ، وأنها كانت عالمة بخبر المؤامرة فكيف لما ذكرتها لك ليلة الخطبة
نجاهلتها ؟ »

فارتبك عبد الله ولم يدر كيف يجيب ، ولكنه ما لبث أن استرد رباطة
جاشه ، فاعتزم التزام الصدق على طول الخط فقال : « حاش يا مولاي أن
أخدعك ، فاني ورأسك وكل غال عندي ، لم أكن أعرف هذه الفتاة قبل أن
تذكرها لي »

قال : « وما تقول في اطلاعها على خبر المؤامرة ؟ »

فتحير عبد الله في الجواب ، ولكنه تخلص فقال : « ليس لي أن أجيب عنها ،
فهي جاريتك ورهن اشارتك ، فادعها للمثول بين يديك واسألها ، ولا أشك في
أنها تقول الصدق . ولكنني أرتب إلى مولاي أن يخبرني بمن وشئ بنا إليه
لعلنا نكذب بين يديك »

قال : « سأجمعكم جميعاً وأسمع حججكم جهاراً ، فاذا سمعت أقوالكم
حازيت كلا بما يستحقه . اذهب الى فراشك عندنا ، وعد الينا غدا » . قال ذلك
ونادى « يا غلام » . فدخل حاجبه فقال له : « خذ عبد الله الى غرفة يبيت
فيها الليلة واتنى به غدا متى دعوته » . فقال الحاجب : « سمعاً وطاعة »
وخرج عبد الله والحاجب يسير امامه ، حتى دخل به غرفة في دار الأمير
التمس فيها النوم ، ولكنه لم يغمض له جفن طول ذلك الليل

وأصبح عبد الله حائراً ، لا يدرى ايخرج الى الأمير ام ينتظر حتى يدعوه
إليه . ولبث جالساً حتى الضحى واذا بالحاجب قد جاء يدعوه الى مجلس خاص
عقده الأمير في غير مكان مجلسه العادي ، فمشى وهو يفكر فيما عسى أن يكون
امر تلك الجلسة ، ومن هو الواشى ، وهل تستطيع خولة الدفاع عن نفسها بما
بضمن نجاتها

ولاحت منه التفاتة الى ساحة الدار ، فرأى عمداً تذكر أنه رآه فيما مضى ،

ولم يلبث ان عرف انه ربحان عبد قطام فاختلج قلبه وقال في نفسه : « انها والله وشاية هذه الخائنة ، واظنها ارسلته الى عمرو »

وما زال ماشيا يفكر في ذلك وقد زلزل زلزالا عظيما ، حتى راي الحاجب دخل من باب ، فدخل هو في اثره ، فاذا هو في قاعة تصدرها الامير عمرو بين العاص ، كانه جالس للقضاء وعليه جبة بيضاء ، وعلى راسه عمامة كبيرة ، وقد قعد الاربعاء على وسادة من الدمشق ، وفي يده الدرة والسبحة معا . فتقدم عبد الله نحوه وحياه دون ان يلتفت الى سواه . فامر عمرو بالجلوس ، في فتور لم يعهده فيه في مقابلاته الاولى . فجلس عبد الله في بعض جوانب الغرفة ، وارسل نظره فرأى الى جانبه اباخولة ، وعن يساره عمرو ثلاث نسوة قد ارسلن النقاب على رؤوسهن فلم يظهر منهن غير العيون من ثقوب فيه . فعرف منهن خولة ولم يكن يجرؤ على التفرس في الآخرين حياء . فجلس وهو يسترق اللحظ ويفكر ، فخطر له ان احدهما قطام ، جاءت هذه المرة لانفاذ حيلتها بنفسها . ثم ما لبث ان عرف الاخرى فاذا هي لبابة العجوز ، فتحقق انها وشتابه ويسعيد . وكانت قطام قد خلعت الحداد على ابيها واخيها بعد قتل الامام علي ، فارتدت كساء من الحرير الاحمر القاقع المزركش بالقصب ، من صنع فارس ، لا يستطيع لبسه الا الاغنياء . وكان نقابها مزركش الاهداب يدل على يدخ وترق . وتصور عبد الله جمالها وفصاحتها وحيلتها فعلم انها قلبت عمرا على رايه ، فاخذ يتاهب للدفاع

ومضت برهة والكل صامتون ، وعمرو ينظر الى الارض والدرة في يده كانه ينكت اليساط بها ، ويده الاخرى على لحيته يداعب شعرات منها بين انامله ، والاهتمام بادب في وجهه . ثم رفع بصره ونظر الى الباب ونادى غلامه ، فدخل فقال له : « لاتاذن لاحد » . قال : « سمعا وطاعة » . وخرج

ثم التفت عمرو الى ابي خولة وقال : « اهذا جزاء احسانى اليك يا اباخولة ؟ » فوقف ابو خولة وقد عرته دهشة وقال : « ماذا حدث نامولاي ؟ . انى ما زلت مخلصا لك ، خادما لمقاصدك »

قال : « ربما كنت كذلك ، ولكن خولة هذه (واشار اليها) تواطىء الناس على قتلى ، وتسعى في انقاذ ابن ابي طالب »

فلما سمع ابو خولة قوله ، مشى مسرعا حتى امسك ابنته وقال : « انى لا اعرفها الا جارية من جوارى مولاي ، فاذا ارتكبت شيئا من ذلك فانى اذبحها بين يديك » . قال ذلك وجذبها كانه يريد تقديمها لعمرو

فقال له عمرو : « عد الى مكانك ، ودعها تتكلم ، فانى لا اريد ان اعاقبها الا بعد مقاضاة ، فاذا صح ما قيل عنها كان القتل اخف قصاص لها »

فلما سمع عبد الله تلك اللهجة الشديدة ، اختلج قلبه في صدره ، وخاف عاقبة تلك الجلسة ، ولكنه تجلد وصبر

دعوى قطام على خولة

ثم التفت عمرو الى خولة وقال : « ما قولك يا خولة ؟ »
فوقفت وقالت بصوت رائق وجاش ثابت : « ماذا أقول يا سيدى ؟ وأنا
لا أعرف التهمة التى وشى بها اليك الواشون . فاذا تنمعتها ذكرت لك
الحقيقة ، ولك الامر بعد ذلك ، فاذا استوجبت القتل فما أنا خير ممن قتل
من رجال الاسلام فى هذه الفتنة ! »

فعجب عمرو لتلميحتها الى الأحداث التى وقعت أخيراً فقال لها : « مالك
ولهذا الكلام يا خولة ؟ قولى ما جوابك عن سؤالى »

قالت : « اذا كان الأمير حرسه الله قد جعل دمي حلالاً أن ثبتت التهمة
على فلا اقل من أن اسمع التهمة الموجهة الى »

قال : « صدقت وسأمد لك فى حبل الدفاع حتى تبدي كل ما لديك منه ،
ولا أظنك الا مقرة بجنايتك ، لأنها ثابتة ثبوت النور فى النهار » . قال ذلك
ثم أمرها بالجلوس ، فجلست

فقال عمرو وقد وجه حديثه الى قطام : « ما قولك يا قطام فى خولة ، وما
تعرفينه عنها ؟ »

وكانت قطام لما ارتاح بالها من أمر على وقتله ، وعلمت مما دار بين خادمها
وبين بلال خادم خولة أنها تحب سعيداً وهى التى وجهت عندها معه
واستحثته فى الوصول الى على قبل انقضاء الأجل المضروب لقتله ، قد حملتها
الفيرة ، وهاجها حب الانتقام وطاوعها خلق السوء الذى فطرت عليه أن تاتى
الفسطاط لتشى بها وبسعيد ، وهى لا تشك أنها تثبت الخيانة عليهما فتتقرب
بذلك من عمرو فتنال حظوة فى عينيه ، فتقيم عنده مكرمة أو يتزوجها أحد
أبنائه . وكان عمرو يعرفها من قبل ، فأسرعت الى الفسطاط ومعها عجوزها
وعبيدها ، فوصلت اليها أمس ، وأسرعت الى عمرو وبشرته بمقتل الامام
على ، ووشيت اليه بخولة وأنها كانت متواطئة مع سعيد على انقاذ الامام
على ، وأنهما كانا يعلمان خبر المؤامرة على عمرو وسكتا عنها ، وقد كانا
يستطيعان لو اخلصا له أن يطلعاه عليها . فأعارها عمرو أذناً صاغية ، وبعث
الى عبد الله كما تقدم . ثم رأى من الحزم أن يجمعهم ويسمع أقوالهم قبل
اصداره حكمه

فلما قالت خولة قولها ، وطلب عمرو من قطام ان تبسط التهمة ، نهضت ومشت خطوتين نحو الأمير ، وثوبها المزركش يجر وراءها تيهها وبدخا . ثم وقفت وقالت بلسان مبين : « أما ما يسألني الأمير عنه فلا احتاج في اثباته الى دليل . وتفصيل الامر ان مولاي الأمير يعلم اخلاصي له ورغبتى في خدمته ، حتى اننى عندما سمعت بمجتمع العلويين في عين شمس بعثت اليه رسولا يخبره خبره . ولو لم أجد من أبعثه في تلك المهمة لجئت بنفسى . ولم أذكر هذا الدليل الصغير الا تدليلا على اخلاصي . أما خولة واطلاعها على خبر المؤامرة فأمر لا شك فيه لانى أعلم علم اليقين ان سعيدا ورفيقه هذا (وأشارت الى عبد الله) لما قدمنا الفسطاط كانا عالمين بخبر تلك المؤامرة ، وقد سمعت ذلك منهما بأذنى . وهما انما أتيا للاجتماع بالعلويين . وبعثت يومئذ عبدى بخبر ذلك الى مولاي الأمير ، فلما عاد عبدى أخبرنى ان جند الأمير قبضوا على العلويين ، وان عبد الله وسعيدا في جملتهم . ولم يكن يعلم ان سعيدا نجا بمساعدة خولة هذه . اما أنا فانى عرفت ذلك لما عاد سعيد الى الكوفة مسرعا ، لاطلاع على بن ابي طالب على خبر المؤامرة ، غيرة منه عليه . وقد ترك حياة الأمير عمرو بن العاص في خطر . وكان رفيقه في عودته بلالا خادم خولة هذه ، فانه صحبه الى الكوفة ، وهناك التقيا وعبدى ربحان ، واتضح له من خلال الحديث ان بلالا وخولة عالمين بسر الامر . ولما لم ينجح مسعاهما في انقاذ على ، قنصا بأن يكون مولاي حرسه الله قد أصيب بما أصيب به ذاك . ولكن الله سبحانه وتعالى أنقذه من مخالب الموت وحرسه بعين عنايته . فترى يا مولاي مما قدمت ان خولة كانت عالمة بخبر المؤامرة ، كما كان يعرفها عبد الله وسعيد ، فلو كانت مخلصه لمولانا الأمير ما كتمتها عنه »

فقال عمرو : « وما الذى يثبت لنا ان سعيدا وعبد الله كانا عالمين بالمؤامرة على قتلى لما أتيا الفسطاط ؟ »

وكانت لبابة العجوز صامته الى تلك الساعة ، فلما طرح عمرو هذا السؤال ابتدرته هى قائلة : « لا شك انهما كانا عالمين لانهما أخبرانا بها ليلة سفرهما الى الفسطاط »



كانت قطام تتكلم وخولة مطرقة تفكر بماذا تجيب . اما عبد الله فانا لعن الساعة التى أتت فيها تلك الحائنة ، وخاف على خولة ان تتلغثم او تفحم بالأدلة التى قامت على اتهامها

اما أبو خولة فلم يكذ يسمع حديث قطام حتى استشاط غضبا ، وصاح فى خولة بأعلى صوته : « الله عليك يا خائنة ، لقد فهمت الآن تلاعبك ونفاقك »

ثم التفت الى قطام وقال : « متى لقي عبدك عبيدى مع ذلك الرجل فى الكوفة ؟ »

قالت : « ليلة ١٧ رمضان »

فأطرق برهة ثم اقترب من خولة وجذبها بيدها الى وسط القاعة وقال لها : « لقد انكشف لى القناع الآن وعلمت سبب سفر بلال ، فقد أرسلته مع حبيبك ليساعده على انقاذ أبى تراب (على بن أبى طالب) . وقلت لى : (أنه فر بالجملين) . والواقع أنه أخذهما معه ليركب هو ورفيقه » . ثم التفت الى عمرو وقال : « ان أبنتى يا سيدى تستحق القتل ، فاقتلها أو دعنى أقتلها بين يديك »

فوقف عبد الله وقد تارت فيه الغيرة على خولة ، وهو يظن سكوتها خوفا أو ارتياكا ، لأنه لم ير ملاحظتها من وراء النقاب ، فأمسك أباهما وقال برزانة وسكينة يخاطب عمروا : « التمس من مولاي الأمير وقد أمر ان تكون خولة زوجة لى ، ان يوقف أباهما عند حده ، فهو الآن لا يملك من أمرها شيئا . أما اذا اقترفت هى ذنبا يستوجب قصاصا فالأمر فيه لمولاي وليس لأحد سواه »

وكان عمرو قد اقتنع بثبوت الجريمة على خولة ، ولكنه أحب ان يسمع دفاعها ، ورأى عبد الله يتكلم بحق موعدل ، فقال لأبى خولة : « دع خولة فانت كما قال عبد الله لا تملك من أمرها شيئا »

فتنحى أبو خولة وهو يلهث ويدمدم ، ولحيته ترتعش على صدره . وتنحى عبد الله أيضا وخولة لا تزال واقفة . أما قطام فقد أزاحت خمارها فبان الابتهاج على وجهها لنجاح مهمتها

فقال عمرو : « ما بالك يا خولة لا تدافعين عن نفسك ؟ . اليس ما قالت قطام عنك صحيحا ؟ هل كنت عالمة بخبر المؤامرة على قتلى ؟ »

قالت : « نعم »

قال : « وهل عاونت سعيدا على انقاذ الامام على ، فأرسلت معه خادمك وجليك ؟ »

قالت : « نعم كل ذلك صحيح »

فتعجب عمرو وسائر الحاضرين من صراحة اقرارها ، وقد كانوا يتوقعون انكارها أو تلعثها أو سكوتها . فلما رآها تجيب بهذه الصراحة قال لها : « وكيف تظهرين الغيرة على صاحب الكوفة (على) مع علمك ان أباك لا يريد ذلك ، ثم لا يخطر ببالك ان تخبرى أباك بالمؤامرة على قتلى لى يطلعنى عليها ؟ . الا تعلمين ان عمالك هذا يعد خيانة تستوجبين عليها القتل ؟ . وها انى لا ازال أطيل لك حبل الدفاع لأسمع كل أقوالك ، فأخبرينى كيف

تكونين على غير ما يريدك وأمر البلاد ؟ وكيف تسعين في انقاذ علي بن
أبي طالب ولا تسعين في انقاذ أمير مصر ؟ »

وقبل ان تهم خولة بالجواب اعترضتها قطام قائلة : « أرى مولاي الأمير
يتعب نفسه بما لا طائل تحته . هل بعد اقرارها الصريح شيء ؟ . وهل
لهذه الخائنة من دواء الا القتل ؟ »



قالت خولة وهي تنظر الى قطام شزرا : « سوف يتضح من هي الخائنة ،
وقد كان يجدر بك التأدب في حضرة الأمير ، فانه اعلم منك بقواعد الحكم .
ثم وجهت خولة خطابها الى عمرو وقالت : « أرجو من الأمير ان يطلق
للساني الحرية لأقول كل ما يجول في خاطري »
قال : « قولي ما بدا لك »

قالت : « اما سبب مخالفتي ابي في رايه وتحزبي للامام علي ، فلانى صادقة
مخلصة في فكري وقولي ، وهو المنحرف المتقلب . وما كنت لاصف ابي بهذا
العيب لو لم يضطرنى الى ذلك »
قال عمرو : « وما معنى هذا ؟ »

قالت « يعلم مولاي الأمير ان ابي ربي في نعمة الامام علي ، وانا في حجره ،
مع ايماننا بانه ابن عم الرسول (صلعم) وانه علي الحق في أعماله » . فأراد
ابوها ان يقطع حديثها ، فاعترضه عمرو والزمه السكوت فقالت : « فلما
كانت وقعة صفين كان ابي في جملة من خالفه من الخوارج في امر التحكيم .
فهو الذي انحرف عنه . اما انا فضلت علي رأبي ولا أزال عليه الى اليوم »
فقال عمرو وهو بمعجب بشجاعتها : « ولكن عليا شارك الجهال في قتل
الخليفة عثمان ، فقتلوه ظلما ونحن انما قمنا نطالب بدمه »

قالت : « اما مقتل الخليفة عثمان فأرجو من مولاي الأمير الا يلجئني الى
الخوض في شأنه ، لاني ربما اضطرت الى ما اتجنب ذكره »
قال : « وما الذي يخيفك بعد ما ابديته من الجرأة »

قالت : « يخيفني غضب الأمير لأمر يعلمه »

قال : « قولي كل ما يبدو لك ولا تخافي »

قالت : « اما مقتل الخليفة عثمان فلا اظن مولاي عمرا الا من الراضين به »
فبغت عمرو وقال : « كيف تقولين ذلك يا خولة ؟ »

قالت : « ألم يكن مولاي في جملة المحاصرين لعثمان ؟ ألم تقل له : (قد
ركبت يا عثمان أمورا ركبناها معك ، تب يا عثمان وارجع الى الله) . فاسمعك

هو كلاما جارحا . ثم لما قال لك : (انى تأب) . قلت له : (رأيناك تتوب
ثم تعود) .. «

قال : « وهل يؤخذ من ذلك أنى كنت اريد قتله ؟ »

قالت : « كلا ولكنه يدل على أنك كنت ناقما عليه »

قال : « انما كنت ناقما عليه ليرجع عن أعماله ويبقى على خلافته »

قالت : « لو كان هذا قصدك فقط لما فرحت بقتله »

فذهل عمرو من سعة اطلاعها على خفايا الأمور فسألها : « وما دليلك
على ذلك ؟ »

قالت : « دليلي قريب اذا أمنى الأمير قتله »

قال : « قولى »

قالت : « ألم تكن فى فلسطين يوم قتل عثمان ؟ فكنت اذا لقيت احدا
حرصته على قتله ؟ ألم تحرض عليا وطلحة والزبير عليه ؟ . ثم لما جاءك رجل
أخبرك بمقتل عثمان ، ألم تقل : (أنا عبد الله اذا حككت قرحة نكأتها) .. ؟ »

فلما سمع عمرو قولها استغرب جراتها وغضب لتصريحها بأمور كان يود
كتمانها ، ولكنه كان قد أمنها . وكان داهية يحول الكلام كيف يشاء فقال لها :
« لقد أعجبنى دفاعك يا خولة ولكننا لسنا فى معرض الدفاع عن على أو عن
عثمان ، ولا يهمنى انحرافك أو انحراف أبوك ، وانما يهمنى اطلاعك على خبر
المؤامرة على قتلى ثم سكوتك الى آخر ساعة وأبوك بين يدي كل يوم فكأنك
اشتركت فى المؤامرة » . قال ذلك وهو يحسب أنه سد عليها أبواب الدفاع .
وكان أشد الناس خوفا عليها عبد الله وقد خيل اليه أنها لم تعد تستطيع
دفاعا بعد اقرارها السابق

اما هى فهمت بالكلام فاذا بقطام تقول : « انى لأعجب من حلم الأمير ، وما
يرجوه من دفاعها عن ذنب اعترفت به صريحا »

فلم تعبأ خولة بكلام قطام ولكنها أجابت عمرا قائلة : « انى لا انكر عليك
عظم هذا الذنب بالنظر الى ما كنت ترجوه من قيامى بأمر الخوارج وموافقة
أبى على تأييد أمركم وتصديق دعواكم ودعوى معاوية من انكم على الحق ،
وقد قدمت لمولاي انى فعلت ذلك وانا على دعوة الامام على فذنبى من هذا
القبيل لا يعد شيئا بالنظر الى ذنب هذه المرأة (وأشارت الى قطام) التى
انما جاءت بهذه الوشاية غيرة عليك وضنا بحياتك فاتهمتني بالخيانة لانى
كنت عالمة بخبر المؤامرة ولم أخبرك بها . فما الذى منعها هى عن اخبارك
بذلك يوم ارسلت بعدها عبد السوء للوشاية بأصحاب عين شمس . فاذا
كانت هذه المرأة صادقة فى دعواها ألم تكن هى اولى منى باطلاعك على ذلك
الامر ؟ اسألها وانظر فى جوابها »

فانتبه عمرو وكأنه صحا من ذهول فرأى خولة على حق في دعواها
فالتفت الى قطام لفتة استفهام فلم يسمع منها جوابا . فقال لها :
« ما تقولين يا قطام ؟ لماذا لم تخبريني بخبر تلك المؤامرة »
فارتبكت واجابت مترددة وقالت : « لاني لم اكن عالمة بخبرها يومئذ »
فظهر لعمرو التلاعب في كلامها ، ولكنه اراد تحقق ذلك فقال لها :
« ولكنك قلت الآن انك سمعت خير المؤامرة منهما ، فهل سمعته قبل
ارسال عبدك الينا او بعده ؟ »

فانخدعت قطام بسؤاله فاجابت على الفور : « لم اسمعه الا بعد سفر
عبدى وكنت عازمة على ارسال غيره فلم اتمكن لمشاغل انتابتني »
فتقدم حينئذ عبد الله وهو يكاد يرقص فرحا بخذلان قطام وقال : « ولكن
عبدك يا مليحة لم يسافر من الكوفة الا بعد سفرنا ، لانه انما قدم الفسطاط
ليخبر الأمير بخروجنا من الكوفة »

فأشار عمرو اليه فسكت ، وعاد هو الى السؤال فقال : « ان هذه العجوز
ذكرت انكما سمعتما الخبر متهما ليلته سفرهما . فما تقولين ؟ »
فغلب الحنق على قطام فقالت : « هذه عجوز حمقاء غلب عليها الخرف فلا
يعتد بقولها »

فغضبت لبابة لعقوق قطام واهانتها اياها على هذه الصورة ، وهي تعتقد
فضلها عليها فقالت لها : « أنا لم اقل ذلك الا بعد قولك ، تبا لك من خائنة .
كيف تقولين ان الخرف غلب على وانت انما غلب عليك النفاق ؟ »
فاشتد حنق قطام ولم تعد تسمى ما تقول لفشلها وخجلها فقالت : « اخرسى
يا مجنونة ولا تتكلمى بين يدي »

فقالت لبابة : « بل أنت المجنونة وانت الخائنة ، واذا لم تلزمنى حدك اطلعت
الأمير على سرائرك وفضحت أمرك »

فقالت : « وماذا عسى ان تقولى وانت خادمة لا يعتد احد بأقوالك ؟ »
وكانت لبابة قد تحققت وقوع قطام في شر أعمالها ، فأرادت ان تخلص
نفسها وتنجو بحياتها ، فلم تر أهون عليها من التخلي عن قطام بفضح
اسرارها فقللت على الفور : « ان اسرارك كلها في يدي ، واذا اذن مولاي
الأمير كشفت له عن كل شيء »

فسرت خولة وعبد الله بذلك الخصام . أما عمرو فرأى لدهائه وتعقله ان
خولة ممن يحرص على صداقتهم ، وانها اذا كانت على دعوته لا يخشى
انقلابها . وأما قطام فانها اذا اخلصت له اليوم لا يأمن ان تخونه في الغد
فقال للعجوز : « قولى ياخاله ماذا تعرفينه ؟ »

فأخذت لبابة تسرد حديث قطام مفصلا من اوله الى آخره ، والكامل مصغون صامتون ، ففضحت أسرارها ، وعرف عمرو أن ارسالها عبدها اليه لم يكن حبا له ولا نصرة لحزبه ، بل انتقاما من سعيد . وعبد الله . وتبين لديه أن هذين إنما اندفعا للدفاع عن علي بوصية جدهما أبي رحاب ، واتضح له جليا أن قطام خائنة لا يوثق بقولها ولا يعتمد عليها ، وأن بقاءها على قيد الحياة شر على العالمين . ولم يكن اعتقاده في لبابة بأحسن من ذلك لأنه رأى خيانتها رأى العين فصمم على التخلص من كليهما

وكانت قطام في أثناء حديث لبابة واقفة وقوف الصنم ، وقد جمد الدم في عروقها واصطكت ركبتها . وكانت في أول حديث لبابة تهم بتكذيبها وعمرو يسكتها ، ثم سكتت من تلقاء نفسها . فلما فرغت لبابة من حديثها نادى عمرو : « يا غلام » . فلما جاء حاجبه أمره أن يسوق قطام وعجوزها الى السجن



فلما خرجتا من المكان ساد السكوت هنيهة ، وقد غرق عمرو في التفكير في خولة وشهامتها وصدق مودتها فرأى أنها إذا كانت على دعوته لا يخشى ضررها بل قد تكون أكبر عون له إذ يندر مثالا بين النساء ، وغلب على اعتقاده أنها بعد مقتل الامام على لم يبق لها سبيل لنصرته ، فلا مانع يمنعها من الاخلاص له هو ، ولا سيما إذا عفا عنها وعن زوجها عبد الله

وبعد السكوت هنيهة خاطبها قائلا : « والآن ما قولك ياخولة ، ما الذي نصنعه بك ؟ »

قالت : « لا أبالي يا مولاي أن تصنع بي ما تصنع بعد أن بسطت لك الحق فقد صدقتك القول ، فاذا أمرت بقتلي فاني لا أزيد عدد الموتى ولا أقلل عدد الاحياء ، ولا فائدة من بقائي ولا ضرر من مماتي ، وقد ذكرت لك في أول حديثي انه قد قتل ودرج تحت التراب من لا اقا من أنملة من أنامله . فهل أنا أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان ؟ أم أنا خير من ابن عم الرسول ؟ (صلعم) . فاذا شئت فاقتلني وأرحني من حياة لا عدل فيها ولا حق . ولكنني اطلب اليك اذا قتلتنى ألا تعفو عن تلك الخائنة الفادرة » . قالت ذلك ودمعت عينها

فتأثر عمرو من صدق لهجتها وثبات جأشها فقال لها : « واذا عفوت عنك ؟ » قالت : « واذا عفوت فالففو من شيم الكرام ، وتكون حياتي هبة من عندك » فتقدم عبد الله للحال وجشا بين يدي عمرو وقال : « أرجو من مولاي أن

يهبني حياة هذا الملاك الطاهر ، كما وهبني حياتي فتكون بدا تضاف الى
أيديه السابقة »

وكان أبو خولة واقفا وقد سحر بما أبدته ابنته من الحمية والشهامة ،
وخجل لأنه لم يكن صادقا في إخلاصه لعلی مثلها . فلما رأى عبد الله يلتمس
العفو لابنته تقدم هو أيضا وقبل يدي عمرو وقال : « لقد كنت ياسيدى أشد
نقمة منك على خولة ، ولكنني أراها والله خيرا مني ، وأرائي أصغر منها
فألتمس لها العفو أيضا » . قال ذلك ونادى خولة فذنت فقال لها : « قبلي
يد الأمير واستغفري لذنبك » . ففعلت

وتصافح أبو خولة وعبد الله ، وعادا الى مقعديهما ، وقد تذكر عبد الله ابن
عمه سعيدا وعلاقته بخولة ، فقال في نفسه : « أنها فرصة لا ينبغي ضياعها » .
ثم خاطب عمرا قائلا : « أما وقد وهبتنا حياتنا جزاء لصدق لهجتنا ، فلا
يسعني والحالة هذه الا ان اتم الصدق بكشف سر لا يزال مكتوما »

فلما قال ذلك علمت خولة انه سيتكلم بشأن سعيد ، فخفق قلبها وغلب
الحياء عليها ، فانزوت في بعض جوانب الغرفة
أما عمرو فقال لعبد الله : « قل ما بدالك »

قال : « أنت تدعوني الآن زوج خولة ، وما أنا والله الا اخوها »

فبغت عمرو وأبو خولة ، وقال عمرو : « كيف ذلك وقد عقد قرانكما ؟ »
قال : « نعم انها زوجتي في الظاهر ، ولكنها لا تزال بكرا وقد اخبتها فهي
اختي بعهد الله والرجل لا يتزوج اخته »

فازداد استغراب عمرو وقال : « وكيف ذلك ؟ أفصح يا عبد الله »

قال : « ان خولة احبت ابن عمي سعيدا قبلي ، ولا بد انكم لحظتم ذلك من
خلال حديث قطام ، ولكنني لم أعلم ذلك الا بعد عقد قراننا ، ونظرا الى حبي
الشديد لابن عمي ، وقد كفلته لدى جدي أبي رحاب ، فقد أمسكت نفسي
عن خولة و اخبتها . وأعترف لمولاي الأمير ، أننا توأمانا على الخروج بحيلة من
الفسطاط الى الكوفة وسعيد ينتظرنا هناك فأزف له خولة »

فلما سمع عمرو كلامه ازداد اعجابا بشهامته وصدق مودته ، ونظر الى
أبي خولة كأنه يستطلع رأيه في الامر ، فاذا هو لم يكن أقل اعجابا بتلك
الشهامة ولكنه لم يتمالك عن أن ينهض ويضم عبد الله الى صدره وقبل رأسه
وقال : « بورك فيك من صديق صادق ، أما وقد صارت خولة اختا لك فاقض
لها ما أنت قاض »

فقال : « اذا امر مولاي بعثنا الى سعيد في الكوفة مع بلال العبد ، فيقدم
اليها »

فقال عمرو : « على الرحب والسعة » . وأمر غلامه أن يمد عبد الله بما يريد ليتمكن من استقدام سعيد

فجهز عبد الله رسولا وكتب الى سعيد يستقدمه ويبسط له واقعة الحال ، وأوصى الرسول بأن يجعل طريقه على دمشق ، فسعيد كان فيها فلعله لا يزال هناك

واستأذن أبو خولة وابنته في الانصراف الى بيته ، فأذن لهما فخرجا وخولة تفكر في قطام ، وكانت قبل هذه الجلسة تريد الانتقام منها ، ولكنها لما رأت ما كان من فشلها انفتأت حياء انتقامها . على أنها تذكرت أن بلالا أقسم أن يقتلها ، ناهيك بحقد سعيد عليها ، فعولت أن تستعطفه لكي يعفو عنها ويكتفى بما أصابها من الفشل والاهانة

وأما عبد الله فاستبقاه عمرو عنده بقية النهار ، وبات تلك الليلة ضيفا في دار الأمير ، وقد ارتاح باله من كل جهة . ولكنه كان يفكر في قطام وما أصابها من البلاء وكيف سيقى الى السجن مهانة وقد انكشف أمرها وافتضح سرها ، فخفت نغمته عليها واكتفى بأن تبقى مسجونة حتى يرى ما يكون من أمرها بعد قدوم سعيد

وفي الصباح التالي بعث عمرو اليه ليتناول الطعام معه فذهب ، وفي اثناء تحدثهما في شأن قطام وعجوزها ، ذكر عبد الله ما يجول في خاطره من الشفقة عليها فقال له عمرو : « والله انه حلم لم يسبقك اليه معن . وما ظنك بخولة هل تقول مثل قولك ؟ »

قال : « لا أظنها إلا على رأيي »



الجريمة والعقاب

احب عمرو ان يعرف راي خولة في قطام فلما جاءت سالها عن رايها فيها ،
فقال مثل قول عبد الله

فقال لهما عمرو : « اتى والله لا اعجب من هذا التوارد في خواطر كما ، وانه
دليل صريح على طيب عنصر كما ، وقد كنت قاتلها لو اردتها قتلها لانها شريرة
تستحق القتل . فارى اذن ان اسجنها في سجن مظلم لتذوق جزاء ما جنته
بداها »

ثم نادى غلامه فحضر فامرته ان ينقل قطام الى سجن مظلم وان ياتي
بالمعجوز اليه

فذهب الغلام ثم عاد مضطربا وجلا

فقال له عمرو : « ما وراءك هل فعلت ما امرت به ؟ »

قال : « لا يامولاي » . قال : « ولماذا ؟ »

قال : « لاني وجدت الغرفة مفتوحة ، وليس فيها غير جثة المرأة المعجوز »

قال عمرو : « وقطام ؟ » . قال : « لم اقف لها على اثر »

فصاح عمرو : « تبا لتلك اللعينة الخائنة ، هيا بنا ننظر في الامر بانفسنا »

ونفض لساعته ، وتبعه عبد الله وخولة ، حتى اتوا باب الحجرة التي كانت

قطام مسجونة فيها . فاذا بالمعجوز صريعة لاجراك بها . فارسل عمرو الى

طبيبه ليرى رايه في وفاتها فجأة ، ففحصها هذا وقال : « انها ماتت خنقا بعد

جهاد وعراك فان في قمها حجرا ملفوفا بمنديل سد القائل به فاها لثلا

تستغيث فيسمعها الحراس فينكشف امره »

فقال عمرو : « ومتى كان ذلك ؟ »

قال : « اظنه وقع في منتصف الليل او نحوه »

ففحص عمرو باب الحجرة وعابن خلفه ، فتبين له انه خلع من الخارج لانه

راى آثار الاداة التي عولج بها ظاهرة في ظهر البسب فقال : « يظهر ان لقطام

شريكا ، لأن يدا عاجبت الباب وفتحته ، فمن فعل ذلك ياترى ؟ »

وكان عبد الله يشارك عمرا في الفحص ، فلما سمعه يشير الى خلع الباب اتتبه لساعته وقال : « لقد كشفت الغامض وعرفت القاتل ، انه ريجان عبد قطام ، فقد رأيتة في دار الامير آمن ، ولم أسمع أن الامير أمر بالقبض عليه ، فلعله اندس وخلع الباب وساعد سيده على قتل العجوز انتقاما لها أو خوفا من لسانها »

فقال عمرو : « لقد أصبت ، انه ذلك العبد بعينه ، ثم أمر بالجثة فحملت ودفنت ، وعاد الجميع آسفين لفرار تلك الخائنة من أيديهم وأمر عمرو رجاله أن يبحثوا ويأتوه بها

أما بلال فانه لما بعثه عبد الله لينتظره مع سعيد في الكوفة ، سار الى دمشق ولقى سعيدا فروى له ما قر القرار عليه ، واستنهضه للمسير الى الكوفة ، فاستمهله يومين ريثما يقضى بعض حوائجه . وفي أصيل اليوم الثاني حملا أحمالهما وخرجا على جليهما ، على أن يبيتا في غوطة دمشق ويستأنفا سفرهما الى الكوفة في الصباح

وبينما هما أمام باب المدينة المؤدى الى الغوطة اذ لقيهما رسول عبد الله القادم للذهاب بهما الى الفسطاط ، وهو يعرف بلالا فأوقفه ودفع الكتاب الى سعيد فقراه وهو لا يكاد يصدق لعظم فرحه بالقبض على قطام وبرضاء عمرو وشوقه الى خولة

وأما بلال فأسف للقبض على قطام في غيبته ، مخافة أن يعفى عنها أو أن يقتلها أحد سواه وهو يريد أن يتولى أمرها بيده

فقال سعيد للرسول : « كنا في طريقنا الى الغوطة لنبيت فيها ونصب ووجهتنا الكوفة ، فأرى بعد أن حملنا أحمالنا أن نظل في طريقنا الى الغوطة فنبيت هناك ، ونصبح في الغد نلتمس الفسطاط ، فساروا جميعا حتى وصلوا قبيل الغروب الى بحيرة صغيرة حولها أشجار الحور تهب عليها ريح ناعمة فيسمع لأغصانها حفيف يمتزج بتغريد الطيور مما يشرح الصدر ولا ترى مثله الا في تلك الغوطة

وبعد المغرب حطوا أحمالهم ، واشتغل بلال ورفيقه بأعداد العشاء

وكان بلال يعرف صاحب البستان ، وقد نزل عليه ليلة قدومه من الفسطاط ، فترك سعيدا والرسول ومشى بين الأشجار في الظلام يتلمس طريقه الى بيت البستاني فما لبث حتى ضل الطريق لتكاثف الأشجار ، وجعل يتلمس على غير هدى ويزداد بعدا عن رفيقيه حتى أصبح بينه وبينهما ميل وبعض الميل وهو لا يدري ، فوقف ينظر من بين الأشجار لعله يرى نورا أو

يتبين المنزل . وليث برهة يعمل فكره ويحاول ان يعرف الجهة التي ترك فيها رفيقيه لكي يعود اليهما

وفيما هو في ذلك اذا بصوت اجفله وهو هدير جل ، اعقبه هدير جل آخر ، فعلم ان القادمين ركب امسى عليهم المساء قبل الوصول الى المدينة . فمكث ينتظر وصولهم ليستأنس بهم ويسألهم عن الطريق . فاسند ظهره الى شجرة وتطاول بعنقه ليتحقق الجهة التي منها الصوت . فسمع لفظا وكلاما فأصاح بسمعه فاذا بقائل يقول : « دعنا نزل هنا ياريحان ، فاذا اصبحنا دخلنا دمشق لأنى اخاف ان يشك في امرنا اذا دخلناها في الظلام ، الا تظننا في امان هنا ؟ »

وسمع الجواب : « نعم يامولاتى »

فاقشعر جسمه عند سماعه ذلك الصوت اذ عرف فيه صوت قطام تخاطب ريحان وهي خائفة ، وتؤكد انها آتية فرارا من سجن الفسطاط



وكانت قطام لمبا ارسلت الى سجنها حقدت على لبابة كما مر . ونظرا الى ما فطرت عليه من اللؤم والقسوة لم يكن اسهل عليها من قتل لبابة . وكان ريحان يومئذ واقفا في دار الامارة ، فلما رأى سيدته ولبابة سائرتين مخفورتين علم انهما في ضيق ، فراقب القوم ببصره حتى عرف الحجره التي حبسوهما فيها . واعمل ذهنه لاتخاذهما ، وكانوا عند وصولهم الى الفسطاط قد نزلوا في دار الامارة فاحتال في اخراج الجمال والامتعة الى مكان خارج الفسطاط . ولما توسط الليل غافل الناس وجاء الى سجن قطام واخذ يعالج الباب ، فسمع لفظا فاذا هو خصام احتدم بينها وبين خادمتها . فاستعجل فتح الباب بالعنف ودخل ، فلما رآته قطام اشارت اليه ان يساعدها في قتل لبابة فصاحت هذه : « تبا لك ياظالمه يا فاجرة ، انى اتوب الى الله عما ركبت في سبيلك من الذنوب . واما انت فلا نجاك الله من عواقب آثامك و » . فابتدرها ريحان ففسد فاهما وخنقها ، وخرج بسيدته من باب كان قد اعده باسترضاء بوابه . فلما بعدا عن الفسطاط تحول بها الى مامن كان قد اعده عند موقف الجمال . فركبا وهي تثنى على شهامته . فخيرها في الجهة التي تسير اليها فاخترت دمشق ، لأن فيها نفرا من اهلها كانوا قد هجروا الكوفة بعد وقعة النهروان وفشل الخوارج واقاموا بدمشق

فسارا حتى اتيا الغوطة في تلك الليلة بعد وصول رسول عبد الله بيضع ساعات كما مر

فلما تأكد بلال انهما قطام وريحان لم يعد يقر له قرار من فرحه . وقال في
سه : « لقد اجاب الله سؤالي . والله انى سأذيقها الموت بيدي هذه . وجس
لقتة فرأى الخنجر فيها . قلبت مستظلا بالشجرة ليرى ما يكون منهما .
فاذا هما قد سارا خطوات قليلة حتى أتيا الى قناة لانحدار مائها خزير وبجانب
ة شجرة من الصفصاف يستظل بها المارة في أثناء النهار . فنزلا عن الجملين
بحان القبة كالعادة وأوقد النار ثم قال لمولاته : « استريحى ياسيدتى
استانى وآتى اليك ببعض الزاد والفاكهة وأنت هنا فى مأمن

ولا تطل الغياب » . فانصرف



وكان بلال واقفا ينظر اليه . فلما رآه توأرى نظر الى قطام على بصيص
النار فاذا هى قاعدة وقد كشفت عن وجهها وعنقها وشمرت عن ساعديها ،
ثم رآها نهضت وضافتها مدلاة على كتفيها وظهرها وفى أطراف الضفائر
دنانير معلقة اذا تصادمت فى أثناء المشى سمع لها رنين . ومشيت الى حافة
القناة ودما لجها وخلاخلها تخش خشيشا . فخاف بلال اذا أبطأ أن تفوته
الفرصة ، فوثب عليها وهى تهم بالجلوس على حافة القناة وأمسك بطوقها
وجذبها اليه فوقعت على قفاها فجثا على صدرها . فصاحت : « ريحان » .
وقبل ان تتم كلامها وضع بلال قبضته فى فمها وقال لها : « لم يبق لك فى
هذه الحياة الا دقائق قليلة ، فاعلمى قبل ان تفارقىها انى بلال خادم خولة
وسعيد ، وانى منتقم للامام على » . فأشارت اليه انها تريد الكلام فاستل
الخنجر وصوبه الى عنقها وقال لها : « تكلمى بهدوء ، واذا رفعت صوتك أغمدت
هذا الخنجر فى عنقك »

قالت : « ارحمنى يا بلال واشفق على حياتى »

قال : « لا يرحمنى الله ان رحمتك ، فقد ضاقت ابن ملجم وحرضته على
قتل شابين من خيرة الشبان . ولكن حيلتك فيهما لم تنجح . وأخيرا جئت
الفسطاط لاغراء أميرها بخولة . . كيف ارحمك يا خائنة ؟ »

قالت : « ذلك قد مضى يا بلال وأنا تائبة بين يديك ، فاعف عني ، ولك كل
ما أملكه »

قال : « هل يتوب الهر ؟ ! . أما العفو عنك فوالله لو عرفت قصاصا أعظم
من القتل لقاصصتك به ، لأن القتل قليل على فاجرة خائنة مثلك »

فهمت ان تجيبه فأدرك أنها تماطله ريثما يعود ريحان

فقال لها: « اعلمى يا قظام انى قاتلك انتقاما للامام على ». قال ذلك وانجهد
خنجره فى عنقها وأسرع فاحتز رأسها وترك الجثة ولها شخير رن فى اذنيه إلى
مسافة بعيدة . وكان لما رأى القناة قد تعرف الطريق المؤدى الى مقر سه
فانسل بين الاشجار وقد أمسك الرأس من جدائله وتركه يتدلى والدم يقطر
منه



وكان سعيد ومعه الرسول قد اشتبها بلالا ، وشغلا عليه
وقع أقدامه صاح سعيد فيه قائلا : « أين الفاكهة يا بلال ، لقد
علينا الجوع »

فلم يجبه بلال ، ولكنه ظل ماشيا حتى وقف امامه وزمى الجمجمة بين يديه
وقال : « هذه فاكهتى »

فأجفل سعيد ونظر فاذا هو رأس قظام بأقراطه وضمفائه ، فاستغرب
الامر ، وسأله عن تفصيل الخبر

فقال : « ليس هذا وقت السؤال ، هلم نخرج من هذه الغوطة الآن ، فاذا
أمننا عيون الحكومة أخبرتكما الخبر »

فنهضوا ولم يدوقوا طعاما ، وركبوا جمالهم واستحثوها جهيد طاقتهم ،
وهم تارة يصفدون تلا ، أو ينزلون غورا ، وآونة يفوصون فى الماء ، وطورا
يدوسون الاشواك أو تتصادم رؤوسهم واكتافهم بفصوصون الاشجار . نختى
أنتصف الليل فانتهوا الى سهل قليل الاغراس وقد بعدوا عن دمشق فواصلوا
السير الى القجر ، وتحققوا أنهم أمنوا العيون

جلسوا للاستراحة على مصطبة بالقرب من عين ماء جارية ، وسعيد فى
شوق شديد الى سماع تفصيل مقتل تلك المرأة

فقص بلال حديثه وقلبه يرقص فرحا . واتماما لأسباب شروره أخرج
الجمجمة من جراب كان قد خباها فيه ووضعها على المصطبة بين يدي سعيد
وكان شعرها قد تجمد بالدم ، والعينان مطبقتان والشفتان مفتوحتان عن
أسنان كاللؤلؤ ، ومسحة الجمال لاتزال تنجلي فى عجا تلك المرأة مع صفاء اللون
واصفراره وما تلتطخ به من الدماء



مد سعيد يده الى جبين جمجمة قظام ، ولمسه فاذا هو بارد كالثليج فقال :
« آمنت بالله كأنه سبحانه وتعالى قد كتب لى الألس هذا الجبين الا وهو

ميت وقد كنت اشتاق لمسه منذ اعوام . ثم وجه خطابه الى الجمجمة وقال
« انت قطام بنت شحنة ؟ وقد جاز دهاؤك ومكرك على مئات من الرجال
ابهايتين العينين فتنت ابن ملجم كما فتنتني ؟ وبهايتين الشفتين اغرخته بقتل
الامام كما فعلت معي . انك ستلاقيه عاجلا في مكان لا تخفى فيه خافية . في
مكان تنال فيه كل نفس جزاء ما قدمت »

ثم التفت الى بلال وقال : « ماذا نعمل بهذه الجمجمة ؟ »

قال : « نحملها الى الفسطاط لأضعها بين قدمي خولة ذلك الملاك الطاهر »
قال : « لا اظنها تسر بهذا ولاانا سررت به . وزد على ذلك ان هذه الجمجمة
لا تصل الى الفسطاط الا بعد ان تتن وتتصاعد منها رائحة تنفر منها النفس »
فأطرق بلال هنيهة أسفا لحرمانه حمل الرأس الى خولة ثم قال : « فاسمع
لى اذن ان أحمل أثرا منها »

قال : « وما هو هذا الاثر ؟ »

قال : « اقطع الاذنين وفيهما الاقراط واقص هذا الشعر وفيه الضفائر
الذهب »

قال : « لك ذلك فافعل »

ثم قرروا ان يسنريحوا هناك ويتناولوا الغداء ثم يبرحوا المكان الى
الفسطاط

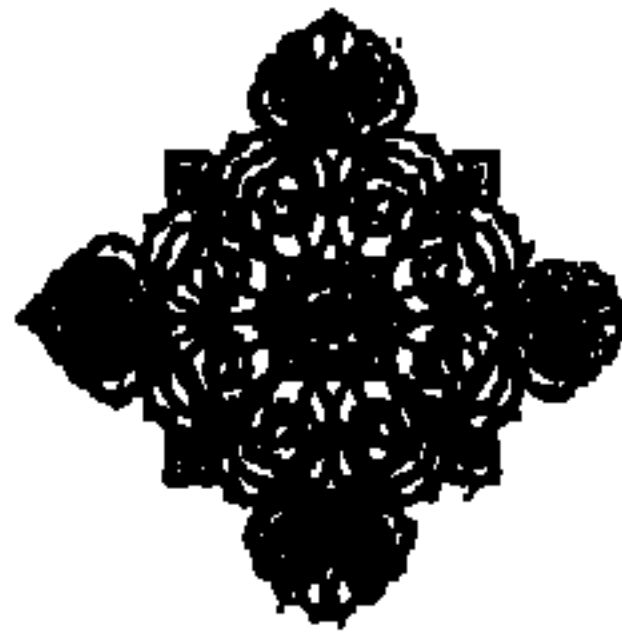


عاد ريحان من عند البستاني وقد أعد كل ما ترتاح اليه سبده من
الفاكهة والاطعمة وأمر البستاني أن يشوي بعض اليمام . ولما دنا من الخيمة
سمع شخيرا كشخير النائم وكانت قطام اذا نامت شخرت وهو يعرف فيها
ذلك . فقال في نفسه لعلها غلبها النوم على امرها من شدة التعب . ودنا منها
فاذا هي بجانب القناة والظلام حالك والنار التي أوقدها قد خدت فلم ينتبه
بحالها : فقال في نفسه : « لانيرن الشمع وأعد الطعام ريشما بفيق » . فأثار
الشمع . ولاحت منه التفاتة الى سيدته فراها تتحرك فأقبل اليها فاذا هي
لختلج اختلاج النزاع وقد أصبحت جثة بلا رأس ، ورأى دمها قد عكر القناة .
فبغت ولطم وجهه ووقف لحظة يفكر فيمن عسى أن يكون قد فعل ذلك ،
فقال في نفسه : « لا بد أن يكون قد حدث هذا بايعاز من عمرو بن العاص ،
والقاتل قد فر الآن ولا سبيل اليه . فاذا أنا صحت وجمعت الناس تقع التهمة
على رأسي »

فتجبر في أمره ثم تذكر ما ارتكبته قطام من الفظائع كأنه يحاول أن يلتصق
لنفسه. عذرا اذا تخلى عنها . فرأى انها أقدمت على جرائم تستحق القتل على
كل واحدة منها . وتذكر ما وراءها من المال الكثير والحلى الثمين ، وانه هو
وحده يعرف مخبأاتها في الكوفة . فطمع في الميراث وصمم على اغتنام الفرصة
فهم بما عليها من الحلى فنزع الاساور والدمالج من يديها والعقود من عنقها ،
وجمع ما في جيوبها وصناديقها من غالى الثمن وخفيف الحمل . وتركها غارقة
في دمها ولسان حاله يقول : « ذلك جزاء القوم الظالمين » . ودخل الشام في
الصباح التالي فاشترى اثوابا تنكر فيها ، وقصد الكوفة فأخرج ماخبأته قطام
هناك من الاموال ، وأبتاع لنفسه ضيعة أقام بها

وأعد البستانى الطعام وحمله وفيه الجبن والفاكهة والخبز في كيس
من القش ، وجاء الى موضع الخيمة وهو مسرور بتلك الضيفة لأنها كانت
كريمة تعطى الناس بسخاء . ولكنه ما وصل الى الخيمة حتى رأى
الحال كما ذكرنا ، وليس هناك الا جثة قطام وكانت قد همدت وسكن
شخيرها واختلاجها . فلا تسل عن رعبه لما رآها في تلك الحال . فقال في
نفسه : « لا شك أن جماعة اقوياء تجرأوا على هذا العمل ، وقد فعلوا ما فعلوا
ونجوا بأنفسهم ، واذا انا اظهرت هذه الجثة جلبت على نفسى البلاء ، فمالى
الا أن احفر لها حفرة اخفيها فيها »

فاشتغل بالحفر وهو يحاذر أن يراه احد أو يسمع فأسنه . ثم دفن الجثة
واخفى آثار الدماء وحمل كل ما بقى من الامتعة الى بيته ، وساق جملا كان
باقيا هناك ، وكنتم خبر تلك الحادثة عن كل انسان



طلاق . . وزواج

أما وفد الفسطاط فلما أشرفوا عليها من سفح المقطم ظهر لهم جامع عمرو في وسط المدينة كالبدري بين الكواكب ، فأرسلوا الرسول إلى عبد الله لينبئه برجوعهم ، وأوصوه بأن لا يذكر له خبر قطام

وكان عبد الله قد خلا له الجو ، وصفا قلب الأمير له ، ولكنه بقي مبلبل الخاطر على سعيد ، وكلما تذكر فرار قطام من سجنها انقبضت نفسه ، وكلما لقي خولة تحادثا بما مر بهما وذكرا سعيدا وتمنيا سرعة وصوله ، وعبد الله يدبر أسلوبا يخبره به عن حقيقة حاله مع خولة

وفيما هو جالس ذات صباح في غرفته بدار الأمير ، إذا برسوله قد أقبل فصاح به : « ما وراءك ؟ »

قال : « ورائي سيدي سعيد وبلال »

قال : « واين هما ؟ »

قال : « تركتهما في سفح المقطم قادمين ، وجئت لأبشركم »

قال : « أهلا بالقادمين » . ونهض لساعته وخرج على فرس أسرج له ، ولم يكذب يخرج من الفسطاط حتى التقى بسعيد وبلال على جبلين ، فترجل بلال للحال وهم بيد عبد الله فقبلها

فقال عبد الله : « بورك فيك يا أسمر وبورك بشهامتك » . وهم سعيد بأن يترجل فأشار إليه عبد الله أن يبقى على جله لينزلا معا في دار الإمارة فساروا وسعيد يتسم فقال له عبد الله : « ما الذي يضحكك ؟ »

قال : « يضحكني أننا ذاهبون إلى دار عمرو بن العاص ، وقد كنا بالأمر نحاذر أن يسمع بنا أو يرانا »

قال : « لله في خلقه شؤون » . ثم قال بصوت خافت كأنه يحاذر أن يسمعه أحد : « لو أراد الله نجاح مسعانا ونجا الإمام على كرم الله وجهه لما أهدانا النزول بهذه الدار »

فقال بلال : « لا تذكرني بذلك الحادث الفظيع فقد شهدته بنفسى ، ورأيت ابن ملجم اللعين بأمر عيني يضرب الإمام بذلك السيف المسموم ، وقد كان بيننا وبين انقاذه لحظة لو أراد الله لمجلها . ولكن الأجل مهونة بأوقاتها »

قال : « ولكن الله سيجزي الظالمين ، أما نحن فقد صرنا الآن من حاشية ابن العاص ، وهو والحق يقال من دهاة العرب وكرامهم وكبار قوادهم »



وبقيا في مثل هذا الحديث حتى اقتربا من الدار فقال عبد الله : « لم أسمعك تذكر خولة . هل نسيتها ؟ »

فابتسم سعيد وقال : « كيف أنساها وأنا إنما جئت التمسها »

قال : « وماذا تلتمس منها ؟ »

قال : « لا أدري . . . »

قال : « أظنك تدري ، ألا فاعلم أن خولة الآن زوجتي ، وقد زوجني بها

عمرو »

فضحك سعيد وهو يظن ابن عمه يمازحه . . .

فتظاهر عبد الله بالجد وقال : « يلوح لي أنك لم تصدق قولي ، فأقسم

بالله وتربة أبي رحاب أن خولة قد زفت الي ، وعقد قراننا على يد الامير .

وإذا كنت لا تصدقني فاسأل كل من في هذه الدار عن ذلك »

فغلبت الشهامة على سعيد ولم يسهه الا ان قال : « وما يمنع أن تكون

زوجة لك ؟ بورك لك فيها . الست أخى ورفيقى وابن عمى ؟ »

قال ذلك وهو لا يزال يشك فيما سمعه من عبد الله

ووصلا الى الدار ، فترجلا وسارا توا الى غرفة عبد الله ، وبعثا الى عمرو

ينبئانه بقدمهما ، فأمر بأن يستقبل سعيد في غرفة خاصة ، وبعث الى

خولة وأبيها ، فلما جاءا أقبل عمرو الى الغرفة وقد اجتمع فيها الجميع

وبلال واقف خارجا ، فلما دخل عمرو تقدم سعيد لتقبيل يده والسلام

عليه ، فرحب به ودعاه للجلوس

فقال سعيد : « اذا أذن مولاي فليأمر عبده بلالا بالدخول ليحضر هذه

الجلسة »

فأمر بدخوله فانزوى في بعض جوانب الغرفة متأدبا وفي يده جراب

من جلد

وكان سعيد ينظر الى خولة من تحت النقاب ، ويفكر فيما سمعه من

عبد الله وهو يتردد بين الشك واليقين

فلما استتب بهم الجلوس خاطب عمرو سعيدا قائلا : « أظنكم تتوقعون

ان ترا اقطام سجيئة ؟ »

فقال سعيد : « نعم يا مولاي »

قال : « ولكنها فرت من السجن ورادت ذنبها اجراما بقتل خادمتها .
وكنا قد اردنا استبقائها مسجونة . اما الآن فاذا ظفرنا بها فلا قصاص لها
عندنا غير القتل »



فلم يتمالك سعيد عن الابتسام ، وقد ندم لانه لم يصرح بالامر بادىء بدء ،
وهم بالكلام فاعترضه بلال مستأذنا . فسكت فتقدم بلال الى عمرو وجثا
بين يديه والجراب بيده وقال : « هل يأذن لى مولاي بكلمة اقولها ؟ » .
قال : « قل »

قال : « كيف ترجون القبض على قطام وانتم لا تعرفون مقرها ؟ »

قال : « نطمع الناس فى البحث عنها بمال كثير »

قال : « وكم تعطون من يقبض عليها ؟ »

قال : « نعطيه مائة دينار »

قال : « أتشترطون أن يؤتى بها حية ؟ »

قال : « سواء علينا . جاء بها حية أم ميتة »

قال : « واذا جاء بخبر قتلها »

قال : « تقبل منه ذلك على أن يأتينا بما يثبت موتها »

فأخذ بلال يحل الجراب وهو يقول : « فليأمر مولاي الامير باعطائي مائة
دينار » . ومما أتم قوله حتى أفرغ الجراب بين يدي الامير ففاحت الرائحة
وظهر الشعر الملطخ بالدماء وبلال يبحث فيه بأصبعه حتى وجد الأذنين
وفيها الأقراط

فأجفل عمرو وسائر الحضور لذلك المنظر واشمازت نفوسهم من تلك
الرائحة الكريهة وصاح فيه عمرو : « ويلك ما هذا ؟ »

قال : « هذا هو شعر قطام ملطخا بدمها . وهذه أذناها واقراطها .

واذا اخرجتمونى جئتكم براسها . فانى انما تخليت عنه اجابة لامر مولاي
سعيد » . قال ذلك ووقف وهو يشير الى سعيد

فقال سعيد : « نعم يا مولاي ، انا أشهد أن بلالا قتل قطام وحده ، واحتز

راسها وجاءنى به وهو ينوى حمله اليكم ، فأشرت عليه بأن يكتفى بهذا الاثر
تخلصا من نتن الرمة »

وكان الحضور قد بهتوا وهم ينظرون الى الشعر والاذنين فأشار عمرو الى بلال ان احمل هذه الاقدار من هنا . فأعادها الى جرابه وتنحى فقال له عمرو : « لك عندنا مائة دينار »

فشكر واثنى وقال : « انى اشكر مولاي الامير على نعمته واعترف بين يديه بانى لم اقتل هذه الخائنة لمال ، وانما قتلتها انتقاما للعبد » . و اراد ان يفصل ما اجله فانتبه الى انه لا يجوز ذكر الامام على فى المجلس فاكتفى بما قال وتذكرت خولة ان اباهما كان قد غضب عليها من اجل بلال ، فاغتتمت هذه الفرصة لاكتساب رضا ابيها عنه فقالت : « يا بلال تقدم وقبل يدى سيدك » . وأشارت الى ابيها ، فتقدم بلال وقبل يده فلما هم القوم بالانصراف وقف عبد الله ووجه كلامه الى عمرو وقال : « أشهد ابيها الامير ان امرأتى هذه طالق منى ثلاثا » . وأشار الى خولة

فأدرك سعيد ان ما قاله له صحيح وانه كان قد عقد قرانه عليها . ولمح الامير عمرو الاضطراب على وجهه فقال : « طب نفسا ياسعيد انما كان الزواج سوريا وقد صح الموقف الآن بالطلاق » . والتفت الى ابي خولة وقال له : « انى اخطب خولة منك لسعيد ؟ »

فقال ابو خولة : « هى جاريتك يامولاي فاصنع بها ماتشاء »

فأطرقت خولة حياء ، وعندما آن الأوان عقد قران سعيد بخولة فى مجلس عمرو فبارك لهما وهنأهما بالزواج

وبعد أيام استأذن عبد الله ابن عمه سعيدا فى الذهاب الى مكة للاقامة بها مع ذويه ، وودع خولة والأصدقاء وسار الى مكة واقترن هناك بابنة عم له وعاش الجميع كل فى مقامه عيشة لا يشوبها كدر الا حين يذكرون مقتل الامام على . ثم حين سمعوا بعد ذلك عن تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان . فخرجت الخلافة من اهل البيت وصارت الى بنى أمية . وانما فعل الحسن ذلك حقنا للدماء ، ولم يتول الخلافة الا ستة أشهر ، فانتقل كرسيها من الكوفة الى دمشق ، وبقي فيها الى انقضاء دولة بنى أمية



روايات تاريخ الإسلام صدر منها

الانصلاّب العثماني	فتاة القيروان
العباسية أخت الرشيد	الأميين والمأمون
استيلاء المماليك	عزاه كربلاء
أبو مسلم الخراساني	الملك الشارو
شجرة الدر	عروس فرغانة
شارل وعبد الرحمن	عبد الرحمن الناصر
أحمد بن طولون	عزراء قریش
فتاة غسان	فتح الأندلس
أسير المماليك	ارمانوتة المصرية
الحجاج بن يوسف	جهاد المحببين
١٧ رمضان	صلاح الدين الأيوبي